الجزء الثاني المجلد الثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

صفر ١٤٢٦هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٥م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثاني المجلد الثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

صفر ١٤٢٦هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٥م

لجنة المجلة

الدكتور شاكر الفحام

الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة

الدكتور محمد إحسان النص

الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ جورج صدّقني

الدكتورة ليلى الصباغ

الدكتور محمود السيد

الأستاذ عاصم البيطار

الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

أمين المجلة

السيد سامر اليماني

الشرق والغرب والتواصل بينهما
حافظ الشيرازي و«يوهان فون غوتي»
مثال هذا التواصل

د. عبد الكريم اليافي

الشرق بلاد النور والسموّ والحب والانفتاح والتفاؤل والتواصل. يصل النور إلى بلاد الشرق أول ما يصل إلى الأرض ثم ينتقل منها إلى الغرب وبقية أنحاء العالم.

في بلاد الشرق نشأت الديانات السماوية الساميَة وسَعَت إلى أن تحدّ من غطرسة الإنسان وطغيانه.

فيها نشأت أوّل أبجدية في تاريخ العالم فكانت أهمّ مرحلة في الحضارة الإنسانية حين يسّرت الكتابة وتسجيل المعارف وخزنها، كما سهّلت بذلك التواصل والتعارف وتبادل المعرفة بين الشعوب. لقد نهض البطل السوري قدموس كما يدعوه اليونان وحمل تلك الأبجدية إلى بلاد اليونان، ومنها انتشرت إلى بلاد العالم.

ودليل أصلها السوري الفينيقي العربي أن «كلمن» وهو رئيس الأبجدية يوجد في سائر الأبجديات محافظًا على ترتيب حروف اسمه «ك ل م ن» «KLMN».

لقد أشاد اليونان القدماء ولا سيما أرسطوطاليس بعبقرية أبناء الشرق وذكائهم ومهاراتهم. كان ذكاء الفينيقيين وعبقرياتُهم وتجاراتُهم سلامًا وتضامنًا وتعارفًا في تاريخ العالم. لقد أنشؤوا فيما أنشؤوا مركزًا لهم في جزيرة كوثير

اليونانية، كما أنشؤوا قرطاجنّة في شماليّ تونِس للتجارة والحضارة. وكلمة كوثير تذكِّرنا بالجذر العربي وهو الكثرة وكانت مشهورة بالجمال والتحضّر والرفاهية وكثرة المتاع. وقد ترجمناها بالكوثرة حين تكلَّمنا عليها عرضًا في بحوثنا في علم الجمال.

كلمة Orientation في اللغات الأجنبية معناها الاتجاه أو التوجيه نحو الشرق ومعناها أيضًا التوجيه الرشيد السديد.

ليس هنا مجال للإفاضة في المآثر الإنسانية النورانية الشرقية. ولكني أقتصر على مثال حديث رائع يرد هنًا في تاريخ الأدب المقارن يدلّ على التواصل العميق والمحبّة والتفاؤل والانفتاح بين الشرق والغرب يجب أن نؤكِّده وأمثاله حتى نتعرف الأخوّة الإنسانية وتقدير الأدباء والمفكرين الكبار بعضِهم لبعض في أي مكان وهو قصة الشاعر والكاتب الكبير الألماني الحديث «يوهان غوتي» (١٧٤٩– ١٨٣٢) وحافظ الشيرازي الإيراني (١٣٢٥– ١٣٨٩). بينهما أكثر من أربعة قرون. وهذا دليل على أن الإبداع والمعرفة والاقتباس نسب خالد على مدى الأيام والأعوام.

لقد اهتم «غوتي» في صباه بالآداب الشرقية عربية وهندية وفارسية، مستجيبًا للنزعة الرومنسية التي غدت تستفيض في فنون أوربّة. اطّلع على ترجمة للقرآن الكريم وأُعجب به. فازدادت عنايته بالأدب العربي. قرأ المعلَّقات في ترجمة «جونز» اللاتينية وترجم هو قطعة من معلقة امرئ القيس. ثم حاول أن يتعلم اللغة العربية. ولكن لم يصل في تعلّمها إلاّ إلى الإلمام ببعض ألفاظها وقواعدها وبكتابة حروفها.

كذلك أُعجب كلّ الإعجاب بالأدب الفارسي. فقرأ قصة «ليلى

ومجنون» التي نظمها الشاعر الفارسي نظامي كنجوي في ترجمتها اللاتينية، وبقي اهتمامه بكنوز الشرق اهتمام الطُّلَعة البحاثة عن الغذاء الروحي أيّان وجده حتى ٧ حزيران عام ١٨١٤.

أما في هذا التاريخ فنجد دفتر يومياته يحمل على إحدى صفحاته هذين اللفظين: «ديوان حافظ». وكان المستشرق الدبلوماسي يوسف همّر قبل حينٍ نشر ترجمة ألمانية له. ولم يكد يطّلع «غوتي» على هذا الديوان حتى فجّر هذا الاطلاع مكامن جديدة للإبداع في شاعريته. وانتهى هذا الإعجاب إلى امتزاج روحيّ قويّ يستلهم الشاعر الألماني الكبير منه أنوار عبقرية حافظ، وغدا ينظم القصائد اللطيفة البديعة التي ضمّنها ديوانًا كتب هو نفسه عنوانه باللغة العربية: «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» وأصبح الشعر ينبعث من فيه كما يندفع الصداح الساحر من حنجرة عندليب.

إن هذا التحوّل لم يقتصر على الاستلهام واقتفاء الأثر والائتمام بالهَدْيِ والطريقة، بل كأن ديوان حافظ بما فيه من شاعرية أصيلة وإبداع مبتكر قد نفح «يوهان» بحيويّة جديدة ورَدَّه إلى شَرْخٍ من الشباب وإلى نضارة من التفاؤل والحبّ، فغدا يشارك حافظًا في مشاعره ومواجيده وإبداعه.

نجد «غوتي» في ربيع سنة ١٨١٥ وهو في سن الخامسة والستين يشكو من مرض «النقرس». فهو يركب عربته ويقصد إلى مدينة «فسبادن» ذات المياه المعدنية. وهو يشعر أن نفسه قد امتلأت بألحان الشعر العذبة. وكأنه يخاطب ذاته قائلاً: «لقد اشتعل رأسك بالشيب. ومع ذلك أمامك أن تحبّ». وحقًا نزلَ ضيفًا على أسرة من أصدقائه فأحب بينهم الحسناء «ماريان ڤِلِّمِر» وبادلته حبًّا بحبّ.

«الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» قسمان: شعر ونثر. أما النثر فهو تعليقات وضعها الشاعر نفسه إيضاحًا لمقاصد الديوان، وهي خاصة بتاريخ الآداب العربية والفارسية وغيرها من الآداب الشرقية. وأما الشعر فبناهُ الشاعر على اثني عشر كتابًا أو كُتَيِّبًا. وهي كتاب المغنّي وكتاب حافظ وكتاب العشق وكتاب التفكير وكتاب الغضب وكتاب الحكمة وكتاب تيمور وكتاب زليخا وكتاب الساقي وكتاب الأمثال وكتاب البارسي (أي الفارسي) وكتاب الخلد. وقد وضع الشاعر عنوانات هذه الكتب باللغة الفارسية وتحتها ترجمتها بالألمانية.

قصائد هذا الديوان فيض من الإلهام ولون من ألوان الانسجام والحبّ والحنان وبوحٌ بمشاعر المؤلف الكامنة. وقد أخذت «ماريان» فيه لقب «زليخا» عاشقة النبيّ يوسف التي تغنّى بها حافظ.

أما غوتي فيسمّي نفسه في الديوان باسم حاتم إشارة إلى حاتم الطائي العربي المشهور بالسخاء العظيم. إنه لم يختر لنفسه اسم واحد من العشاق المشهورين كقيس بن الملوّح مجنون ليلى وقيس بن ذريح عشيق لبنى وغيرهما. ولكنه اختار حاتمًا ذلك أن الحب العميق يبذل المحب فيه نفسه للمحبوب. والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

ولم يقصّر «غوتي» في تمجيد أستاذه حافظ وبيان تأثيره فيه. فقد وسم أحد كتب الديوان باسمه وهو «حافظ نامه» (أي كتاب حافظ).

القصيدة الأولى فيه بعنوان «لقب» وهي نوع بارع من الحوار بين الشاعرين: يسأل الشاعر الألماني حافظًا عن سبب تلقيبه بحافظ. ويجيبه بأنه يحفظ في ذاكرته القوية المحظوظة التراث المقدَّس وهو القرآن الكريم صحيحًا غير محرّف.

ويخاطبه «غوتي» بأنه يسير على خطاه وينهج نهجه فهو قد تمثَّل أيضًا الكتاب المقدَّس المسيحي وانطبع في قلبه انطباع صورة السيّد المسيح على المنديل المبارك. فهما في هاتين المأثرتين متشابهان كل الشبه. إنهما توأمان:

حافظ الأسبق و«غوتي» الأحدث.

وفي كلام «غوتي» ذِكْرُهُ للمنديل المبارك إشارةٌ إلى انطباع وجه السيّد المسيح على ثوب «فيرونيكا» الأبيض، وهي التي مسحت وجه المسيح وهو يصعد الجبل بقماش أبيض فانطبعت عليه صورة وجه السيّد المبارك.

وتوكيدًا لفضل حافظ يقول «غوتي» في القطعة الشعرية بعنوان «محاكاة» رقم ٧ من كتاب «حافظ نامه» نفسه:

«وكما أن الشرارة قادرة على أن تحرق مدينة السلطان
إذا سار اللهب وأنتج بنفسه الريح
فاشتعل من ريح نفسه، حتى إذا ما انطفأ
اختفى في أعلى السماء
كذلك احترق بلهيبك الخالد
قلبٌ ألمانيٌ قد أشعت فيه القوة من جديد».

كان «غوتي» قد أعلن عن كتاب «حافظ نامه» في (المجلة الشرقية) سنة ١٨١٦ برقم ٤٨ ص (١٨٩) كما يلي:

«هاهو ذا حافظ نامه أو كتاب حافظ. وقد كُرِّس لوصف هذا الرجل العظيم وتقديره وتمجيده. كما أن به تعبيرًا عن الصلة التي تربط بين الشاعر الفارسي والشاعر الألماني الذي تحمّس له وتعلّق به إلى درجة من الوجد هائلة، ونعته بأنه لا يستطيع أن يبلغ شأوه ولا أن يلحق به».

على أن السمة الغالبة في «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي» هي الرغبة في التحرّر والتحوّل أو الهجرة التي تتضمن التغيير من حالٍ إلى حالٍ أفضل وأسمى. «لغوتي» قطعة من أجمل الشعر الألماني بعنوان «الحنين السعيد» رقم ١٧ في الكتيّب الأول، كتاب «المغنّي» يضرب الشاعر فيها مثلاً، كثيرًا ما استعمله الشعراء الفرس على هذا التحوّل، وهو احتراق الفراشة (أي النفس الإنسانية) عاشقة النور بالنور نفسه لتصبح هي نفسها نورًا. (وقد نقلنا القطعة إلى العربية وأثبتناها في ديواننا «حصاد الظلال» بين الأشعار المترجمة).

في كتاب «المغنّي» أيضًا قبل هذه القطعة قطعة أخرى بارعة ومؤثِّرة بعنوان «الخاطر الحر» رقم٣ يصوِّر الشاعر نفسه بصورة رحّالة يريد أن يجوب الشرق ومختلف الآفاق يستهلها بقوله:

«دعوني وحيدًا أقيم على سرج جوادي
وأقيموا أنتم ما شئتم في دياركم ومضارب خيمكم
أما أنا فسأجوب من الأنحاء قاصيها على صهوة فرسي
فَرِحًا مسرورًا لا يعلو على قلنسوتي غير نجوم السماء..».

نظن، كما هي طبيعة الشعر البليغ، أن الشاعر يرمز هنا بنجوم السماء إلى ملوك الشعر الفارسي أمثال «نظامي كنجوي» و«فريد الدين العطار» و«جلال الدين الرومي» و«عبد الرحمن جامي» و«حافظ الشيرازي» وأمثالهم. وليس فوق قلنسوته سوى أولئك النجوم.

عاش حافظ في عصر مضطرب، عصر «تيمور».

وعاش «غوتي» مثله في عصر مضطرب، عصر «نابليون بونابرت».

ولم يَخْلُ اضطرابُ عصريهما دون إيراق موهبة كليهما أجمل إيراق،

واكتمال شاعريّتهما أروع اكتمال لتتفتّحا بأبهى الورود والأزاهير، وتنفحا بأزكى الشذا وأرقّ العبير. هذا العبير وذاك الشذا أغاريد حبٍّ وتفاؤل، ورسائل سلام وتواصل، تصدر هي وأمثالها عن قيثارة الإنسان الراقي الفاضل المحب للإنسان، والعريق في الحضارة وحلو البيان. إنها خالدة على مدى الزمان، وتعاقب الأجيال والحدثان.

ها نحن أولاء في أوائل القرن الحادي والعشرين نعيش في عصر مضطرب كما عاش «غوتي» وحافظ. بل نعيش في عصر أمرَّ وأدهى من عصريهما. أوليس لنا مع ذلك أن نقلدهما وغيرهما من البلغاء والأحرار ونتغنّى بالمحبة والتواصل والازدهار، وننشد ما طاب لنا في الخاتمة من الأشعار مستلهمين شاعرية حافظ المبدعة وما لديها من الأسرار:

ألا أيها الساقي أدر كأسًا وناولها
وأغرق مشكلات العيـ ـش في الصهبا وأبطلها
إذا ضاقت بك الدنيا بورد الكأس جمِّلها
ودعني أنا والحسنا مع الصهبا أغازلها
وإن ناءت بك الأوزا ر للرحمـن أوكلها
فيا ربّي على الفقرا ء سُحْبَ العفو أسبلها
ملأت قلوبهم عشقًا حيارى في الهوى بُلْها

* * *

دجا الدهر وما زلنا على فُلْك الهوى نسري
ونحمل راية العشا ق من عصر إلى عصر

ومن قطب إلى قطب ومن قطر إلى قطر
دعاة الحب في الدنيا وفي الأخرى وفي الحشر
سكارى منذ أن كنا بلا كأس ولا خمر
أتتنا نشوة الصهبا ء قبل القطف والعصر
سرى تأثيرها في الرو ح مثل النور في الفجر
فجدِّد نشوة سلفت ونفسك لا تحمِّلها

* * *

ألا يا أيها الدرويش حسـ ـبك كوبك الملآن
وزهدك في حطام العيـ ـش والرحمةُ والرضوان
فلا تحفل بما قالوا ومَا يجري ولا ما كان
فكم حلّ على شيرا ز من بغيٍ ومن طغيان
وزال البغي والباغي وغاب الملك والسلطان
ولكن بقي النِّسريـ ـن والنرجس والريحان
أليست هذه دار ك برج العلم والعرفان
صلاتَك حينما ليلى تجيء إليك أجِّلها

* * *

تؤاخذني على عاري ومجدي هو في عاري
وما عاري سوى حبي وصهبائي وقيثاري
وتهيامي بذات الشـ ـفة الحمراء كالنار
وما داري زوايا النسـ ـك بل حانة خمار

أنا السكران لكني أُرجِّي رحمة الباري
يدارون الملوك وأنـ ـتَ ربّاتِ البها داري
لباسهم الرياء وأنـ ـت من ثوب الريا عاري
ذنوبَك أيها العاصي بماء التوبة اغسلها

* * *

عجيب أمر هذا الشعـ ـر طفل عمره ليله
يطوف العالم المعمور يقطع وعره سهله
ويمضي خالدًا في كـ ـل قلب ملهبًا شعله
وكم من علة يأسو وكم ينقع من غله
كأن الله قد ألقى على تكوينه ظله
فيا وجدي إلى ثغر الـ ـحبيب كأنه فله
ويا ظمئِي إلى الصهبا ء تمسح لاعجي كله
فهيا يا شقيق الرو ح نحو الحان ندخلها

* * *

خلاف الأهل أضناني وإبليس هو الجاني
وما شان بهاء العيـ ـش إلا الحاسد الشاني
وما أحلى تلاقي الأهـ ـل في حب وإحسان
فيا لَلشمل ضُمُّوهُ لِيدفعَ كل عدوان
أليس المسجد الأقصى أسير قطيع ذؤبان
ألا إن سلام الأر ض نيروزي وبستاني

فيا رحمان كن معنا وبارك صلح إخواني
ويا ربّاه رحماك عقود الصلح أكملها

* * *

أدر كأسًا وناولها ألا يا أيّها الساقي
حميّا الكأس والمحبو ب زادا نار أشواقي
رعاكِ الله ياشير ز أنتِ ضياء آماقي
زكوتِ ربيعَ آفاق وفُزْتِ نعيم عشَّاق
أنا المجنون يا ليلى أنا المسقيّ والساقي
أنا كأسي وصهبائي أنا سمّي وترياقي
شرابي ما به صحو جنوني ما له راقي
جذوري في الثرى تمضي وجذعي سامق راقي
وتلك الشمس ميقاتي وهذي الأرض أوراقي
وأكتب بالشعاع الحلـ ـو ألحاني وأذواقي
إذا أفنتني الأيا م شعري خالد باقي
تحياتِكَ يا «يافي» إلى شيراز أرسلها
هنالك بيت أسرا رك للعشاق فصّلها
مزاياك التي في القلب ويحك لا تبدّلها
«متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها»

تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي

الدكتور عبد الله واثق شهيد

تطور التجربة السورية في تعريب التعليم العالي بعد الاستقلال[1]:

في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٤٦ افتتحت الجامعة السورية في دمشق كليتي العلوم والآداب والمعهد العالي للمعلمين، وافتتحت في حلب كلية الهندسة المدنية التي اتخذت لها مقرًّا إحدى الثكنات التي كان يشغلها الجيش الفرنسي في المدينة، كما اتخذت من بعض مباني الثكنة الحميدية، إحدى ثكنات الجيش العثماني فالجيشِ الفرنسيِّ في دمشق، مقرًّا لكليتي العلوم والآداب المحدثتين، ونقلت إليها معهد الحقوق العربي (كلية الحقوق)، وأحلت محله في بنائه الجميل على ضفاف بردى المعهد العالي للمعلمين[2].

وجهت الجمهورية العربية السورية منذ أيامها الأولى بعد الاستقلال جهودها إلى تزويد المدارس الثانوية (والإعدادية) بالمدرسين الأكفاء لسد حاجة تلك المدارس المتسارعة النمو، فأنشأت المعهد العالي للمعلمين، ونِيط عليه توجيه

---

(1) نشر الجزء الأول من هذا البحث في الصفحات ٤٦٧-٤٩٠ من المجلد ٧٩ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وعرضت فيه التجربة السورية في تعريب التعليم العالي منذ بداياته الأولى حتى نهاية عهد الانتداب.

(2) استمر إصلاح وترميم الثكنة الحميدية عدة سنوات ونقل إليها تدريجيًا كلية الطب، وكانت الصيدلة جزءًا منها، والمعهد العالي للمعلمين، فحلت وزارة التربية محله في مباني معهد الحقوق العربي، ثم آلت هذه المباني، في أيامنا هذه إلى وزارة السياحة فأصبحت مقرًا لها.

كليتي العلوم والآداب لتحقيق هذا الهدف. فأوفد المعهد العالي إليهما طلابه واختص هو بتدريس أولئك الطلاب المواد المتفرعة من علم التربية وأصول التدريس. وهكذا استجد في التعليم العالي أغلب ما له علاقة بالعلوم الإنسانية ، في كلٍّ من كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين. واستجد فيه، في كلية العلوم، العلوم الأساسية كلّها: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والنبات وعلم الحياة الحيوانية والجيولوجيا. كما استجد فيه من العلوم التطبيقية، في كلية الهندسة بحلب، كلُّ ما يرتبط منها بالهندسة المدنية وهندسة العمارة التي كانت تتفرع منها.

جرى تعريب العلوم الإنسانية في التعليم، بيسر في سورية وفي كثير من الأقطار العربية، للأسباب التي أتينا على ذكرها من قبل[1]، كما عربت في غير التعليم في أغلب الأقطار العربية. لذلك قصرنا الدراسة على تعريب العلوم في التعليم العالي: العلوم الأساسية والعلوم التطبيقية، والتِّقانة (التكنولوجيا) ضمنًا.

لم يلاق تعريب العلوم في كليتي العلوم والهندسة صعوبات تذكر، فمبدأ التعريب راسخ في نفوس المثقفين، وهذه طفرة ثانية من الشعور الفيّاض بالعزة والكرامة والقدرة على العطاء واكبت إعلان الاستقلال. ونجاح تجربة تعريب العلوم في المعهد الطبي العربي ذللت الصعوبات، وهيأت لأعضاء هيئة التدريس في كلية العلوم بدايات مشجعة في مصطلحات الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الحيوية.

كانت أهم مشكلات التعريب المطروحة في كلية العلوم هي مشكلات الرموز الرياضية والكيميائية، وكتابة المعادلات.وكان الدكتور صلاح الدين الكواكبي أستاذ

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٧٥، الصفحة ٤٧٦.

الكيمياء في المعهد الطبي العربي قد قام بمحاولة (تعريب) كتابة المعادلات الكيميائية فكتب المعادلات من اليمين إلى اليسار برموز لاتينية للعناصر الكيميائية وعربية لغيرها، أما التفاعلات الكيميائية فأبقاها من اليسار إلى اليمين بحروف لاتينية[1]. وتبنى الأستاذ نادر النابلسي مؤسس قسم الرياضيات في كلية العلوم مبدأ استبدال رموز عربية بأغلب الرموز اللاتينية وكتابة المعادلات من اليمين إلى اليسار. ورأى، على سبيل المثال، أن الاحتفاظ بإشارة التكامل (أو رمزه):∫ بعد قلبها لتنسجم مع الكتابة من اليمين إلى اليسار: هو كقلب الغربيين إشارة الجذر العربية لتنسجم مع الكتابة من اليسار إلى اليمين إذ تصبح: √ . وبمثل هذا التوجه، وعلى سبيل المثال أيضًا، استبدل إشارتي التفاضل والتفاضل الجزئي: نفا (تقرأ تفا وتكتب دون تنقيط) و برمزيهما الغربيين d و∂ وتبنّى أساتذة الفيزياء أسلوب الأستاذ النابلسي في الحالات البسيطة. إلا أن الرأي استقر فيما بعد على عدم استحداث رموز علميةٍ جديدة، لأن الرموز المستعملة أصبحت عالمية، وتتطور في اتجاه التحرر من الارتباط باليونانية واللاتينية. وهكذا جرت العودة تدريجيًّا عما تبناه الأستاذ النابلسي، واقتضى ذلك أيضًا كتابة المعادلات من اليسار إلى اليمين، والتحق بهذا التوجه فيما بعد أساتذة قسم الرياضيات ببطء. واستعمل أساتذة الكيمياء الرموز الغربية وكتبوا معادلاتهم أيضًا من اليسار إلى اليمين. واتّبعت كلية الهندسة في حلب ما آلت إليه جهود التعريب

(1) مجلة المعهد الطبي العربي — المجلد العاشر الصفحات ٣٦٢-٣٦٥و٦١٧-٦٢٤ ومن المجلد الحادي عشر، الصفحات ٥٧-٦٤و ١٢١-١٢٨، فالصفحات ٢٤٨-٢٥٥ منه.

في دمشق في هذا المجال. وهذا كل ما جدّ في أسلوب تعريب العلوم في التعليم العالي.

توسع التعليم الجامعي وتعددت فروع العلوم التطبيقية فيه منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي. وأحدثت كليات للهندسة الكهربائية والميكانيكية والزراعية والبترول والطب البيطري...وكان التعليم، منذ الشروع فيه، في كل كلية وفي كل معهد محدث جامعي أو متوسط، باللغة العربية وتابع بها وتطور، ولا نقول عرّب التعليم في كل منها، فلغة التعليم ترسخت، من قبل، عربية في كل اختصاص وعلى جميع المستويات، ولا يعاني هذا التعليم المشكلات في لغته.

ولقد كان توحيد المصطلحات منذ بداية تعريب التعليم العالي، كما ذكرنا[١] مطلبًا مهمًّا من مطالب أعضاء هيئات التدريس في كليات الطب ومعاهده والأطباء في المستشفيات والجمعيات الطبية العربية، في العراق وسورية ولبنان ومصر. كانوا جميعًا يدعون إلى بناء لغةٍ طبية عربية واحدة «يربط الأطباء بها بلاد الناطقين بالضاد في المشرق والمغرب برباط وثيق آخر هو لغة طبية عربية واحدة» [٢]. ودعا المعهد الطبي العربي إلى تأليف لجنة من أعضاء الهيئة التعليمية فيه للنظر في المصطلحات التي وضعوها وانتقاء الأصلح والتزامهم جميعًا به[٣]. ولايزال هذا المطلب هدف جميع الهيئات العلمية في الوطن العربي. وهو في سورية من مهام مجلس التعليم العالي، الذي أنشأ لتحقيقه لجنة تنظر في مصطلحات الكتب الجامعية المُعدَّةِ للنشر بقصد توحيدها وإقرار الجديد منها. وأنشأت المنظمة العربية

(1) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد ٧٩ ، الصفحتان ٤٨٩و ٤٩٠.

(2) مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر، الصفحة ١٧٧.

(3) مجلة المعهد الطبي العربي المجلد الثامن عشر ص ٤٨.

للتربية والثقافة والعلوم مركز تنسيق التعريب ليحقق هذا المطلب على مستوى الوطن العربي كله.

ولئن كانت مشكلة توحيد المصطلحات لا تزال قائمة فإنها لا تُعدُّ اليوم عائقًا. كانت بالأمس موضوعًا هامًّا للنقاش، إذ كانت المصطلحات في مرحلة الوضع، وكان على كل عضوٍ من أعضاء هيئة التدريس أن يبذل جهودًا مضنيةً لوضع مصطلحاته، وكان جلهم يمتلك رصيدًا طيبًا من المعرفة الرصينة باللغة العربية، أو ما يمكّنه على الأقل من تكوين ذلك الرصيد تدريجيًّا. ولذلك لم يكن يقبل المدرّس بسهولة مصطلحات اقترحها غيره. أما اليوم فقد أصبحت المعاجم الحديثة للمصطلحات متوافرة في الأسواق،فقد أصدرت منظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، بالتعاون مع اتحاد الأطباء العرب واتحاد منظمات أطباء الأسنان العرب، المعجم الطبي الموحد في عام ١٩٧٣ وهو لا يزال في تطور مستمر إلى يومنا هذا، كما أصدرت حديثًا معجم طب الأسنان الموحد. ونقل معجم مكروهيل إلى العربية ما بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٨ باسم «معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا» ، أصدره معهد الإنماء العربي باللغتين العربية والإنكليزية ونشره في أربعة مجلدات تضم زهاء ٣٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، واشتمل على نحو مئة ألف مصطلحٍ معرّف في أكثر من مئة تخصص. وأصدر اتحاد المهندسين العرب «المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنية للهندسة والتكنولوجيا والعلوم»، فنشرته في عام ١٩٨٦ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ويربو عدد صفحاته على ٥٥٠٠ صفحة. وأصدر مكتب تنسيق التعريب أكثر من ثلاثين معجمًا موحدًا مختصًّا.وأصدرت هيئة الطاقة الذرية السورية «معجم المصطلحات العلمية والتقنية»، وتعمل على تطويره وتحديثه دوريًّا. ووضعت لجنة من المجمعيَّين

الجامعيَّن الدكتور عبد الرزاق قدورة والأستاذ سعيد الأفغاني، والأستاذ مأمون الكناني من قسم الفيزياء بجامعة دمشق، وثلاثة من مهندسي وزارة الدفاع، معجم الكهرباء والإلكترونيات وهو معجم عربي فرنسي إنكليزي روسي، أصدرته وزارة الدفاع في سورية في عام ١٩٧٥. ونشير أخيرًا إلى «معجم الرياضيات المعاصرة» الذي وضعه ثلاثة من أساتذة الرياضيات في جامعة دمشق هم الدكتور صلاح أحمد والدكتور موفق دعبول والدكتورة إلهام حمصي، ونشرته مؤسسة الرسالة في عام ١٩٨٣...

شارك في ترجمة هذه المعاجم وصنعها مجموعات من العلماء والفنيين العرب ومن أعضاء مجامع اللغة العربية، وكان نصيب الجامعيين السوريين فيها كبيرًا.ويزداد الإقبال بشدة، يومًا بعد يوم، على صنع المعجمات العلمية المختصة في فروع العلم المختلفة، أساسيةً وتطبيقيةً وتقانيةً وإنسانية، وتلاقي رواجًا كبيرًا في دور النشر وفي الأسواق.

هذه المعجمات وما تشتمل عليه من مصطلحات، ستثري ذخيرة المختص لما يصلح من المقابلات العربية لكل لفظ علمي أجنبي في فرعه العلمي، وسيساعده ذلك، بالتأمل والتدقيق والمناقشة، على تكوين رصيد طيب من مفردات المعاني والمصطلحات العربية، ويدفع مسيرة تعريب العلوم نحو الخيار الأمثل الموحد. ألم يتطور كثير من مصطلحات بناة النهضة العربية الإسلامية الأولى، كانتقالهم من أرثماطيقى إلى الحساب، ومن الجومطريا إلى الهندسة... وهل حال عدم توحيد المصطلحات دون تعريب التعليم العالي كله في الجامعات السورية؟ ألم تخرّج جامعاتنا عشرات الآلاف من المختصين، الذين تابع كثير منهم اكتساب المعرفة والخبرة في الوطن وفي الخارج؟ ألم يمنحهم تعدد المصطلحات فهمًا أدقَّ لما يقرؤون

وخبرةً في التمييز وقدرةً أفضل على التعبير؟ أليس في الإقبال بشدةٍ على صنع المعجمات المختصة ونشرها ورواجها في الأسواق ما يدل على تضاؤل أهمية مشكلات توحيد المصطلحات العلمية في تعليم العلوم في التعليم العالي؟

ومع ذلك فإن وزارة التعليم العالي في سورية كلفت المجمع توحيد المصطلحات العلمية في جامعاتها ومعاهدها. وشرع المجمع في التنفيذ منذ عامين، وقرر، بالاتفاق مع الوزارة، أن يبدأ بتوحيد مصطلحات العلوم الأساسية لأسباب أشير إليها في التقرير العام الشامل حول أعمال المجمع السنوية[1]، وأحيل المشروع على اللجنتين المختصتين في المجمع. وقد أنجزت المرحلة الأولى من توحيد مصطلحات الفيزياء، وستناقش حصيلتها في المجمع بدمشق،مع ممثلي أقسام الفيزياء في الجامعات. إن تعدد المصطلحات العربية لمقابل أجنبي واحد أثرى نقاش أعضاء اللجنة المختصة في المجمع وخبرائها وحسّن نتائج عملهم. وإن دراسة تحليلية لنتائج المشروع، ولو في اختصاص واحد كالفيزياء، ستكون جِدَّ مفيدةٍ لدى تقرير مدى الحاجة إلى توحيد المصطلحات، وبخاصة بعد الإفادة من أساليب المصطلحية والتنميط.

وهكذا فقد أكدت الجامعات السورية في مسيرتها التعليمية ما هو متعارف عليه عالميًّا، وثابت علميًّا، أكدت أن التعليم باللغة الوطنية، بلغتنا العربية في الوطن العربي، أقدر على بناء أجيالنا علميًّا وثقافيًّا. ولقد كانت محاولات الانتقاص من قدرة اللغة العربية على الوفاء بحاجات تعليم العلوم كثيرةً، ولا تزال تتجدد بين حين وآخر، وتجد لها سندًا، في مواقف المتقاعسين عن التعريب، كلما

(1) الدكتور عبد الله واثق شهيد: تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية — مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٩ الصفحة ٦٥٩.

اشتدت مطالبة مجتمعاتهم به، أو كلما توجهنا إلى طلب العون من مؤسسات دولية، ولكنها ما تكاد تظهر وكأنها نجحت في تكوين خرقٍ حتى تنهار مخفقةً إخفاقًا مريعًا . وفي منتصف الستينيات من القرن الماضي، أوصى تقرير لجنة من الخبراء الأجانب، حول إنشاء كلية للطب في حلب، باتخاذ اللغة الإنكليزية لغةً للتعليم فيها . ولسوء طالع هؤلاء الخبراء، فإن تعليم الطب بخاصة، باللغة العربية طوال نصف قرن قد أثبت جدواه ورسخ في الأذهان واستقر في نفوس الأساتذة والطلاب، فأثار تقريرهم سخط جميع المثقفين. ونشرت مجلة المعرفة السورية في تلك الأيام سلسلة من المقالات بعنوان «لغة العلوم»[١] شارك في كتابتها عدد من أساتذة الجامعات السورية والمفكرين العرب، كان من بينهم الأساتذة بشير العظمة،وعبد الرزاق قدورة وعبد السلام العجيلي، ومحمد أديب السلاّوي وعبد الله كنون وفؤاد الشايب.... والغريب في أمر ذلك التقرير، أن الدولة الفرنسية أقرّت في عهد الانتداب، بفضل التعليم باللغة الوطنية، بلغتنا العربية، وباركه باسمها مندوبها السيد بونور، في حفل افتتاح السنة الجامعية في عام ١٩٣١، إذ قال: [٢]«...فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبين، فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى غنيّة باشتقاقاتها وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة...فظلوا أبدًا محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة

(1) سلسلة مقالات نشرتها مجلة المعرفة بدءًا من عددها ذي الرقم ٤٧ مع بداية عام ١٩٦٦.

(2) افتتاح الدروس ودار الكتب، خطاب مسيو بونور مدير المعارف العام في المفوضية العليا – مجلة المعهد العلمي العربي، المجلد الثامن (عام ١٩٣١)، الصفحات ٤٥–٥٠.

وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلى بها الفكر البشري....إنني أهنئ العرب وأتمنى ألاّ يضيّعوا هذا الاحترام المقدس للغتهم، لأن من يدافع عن لغته، يدافع عن أصله وعن حقه المقبل وعن كيانه وعن لحمه ودمه....)). ومهما تكن غاية الحكومة الفرنسية، في تلك الأيام، من تشجيع تعريب التعليم العالي والتي أشرنا إليها من قبل[١]، فإنها كلمة حق. وها هو أيضًا الأستاذ عبد الله كنون يحدثنا عن نتائج مشابهة في المغرب، فيقول «... استقدمت الحكومة المغربية لجنة من خبراء البنك الدولي للإنشاء والتعمير بقصد الاستشارة، فكان رأيها أن ازدواجية لغة التعليم هي مما يستنزف مالية المغرب فضلاً عن كونها السبب في هبوط مستوى التعليم، وأوصت باعتماد لغة البلاد وجعلها اللغة الأساسية للتعليم» [٢]. وكلمة الحق هنا أيضًا قد تكون قيلت لتساعد على طرد اللغة الفرنسية. أما لجنة خبراء كلية الطب في حلب، فقد ذهبت إلى غايتها الخبيثة مباشرة، فأوصت صراحةً بالتعليم باللغة الإنكليزية خلافًا للمنطق والنتائج العلمية. واللغة العربية بعد هذا كله، قد برهنت بما حققته، على كفاءتها لتعليم العلوم كلها وعلى جميع المستويات. لقد قارن الطبيب زهير أحمد السباعي، عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية في دراسةٍ له بعنوان: «هل تدريس الطب بالعربية يخرّج لنا أطباء أضعف»[٣]، نتائجَ الأطباء السوريين الذين تعلموا الطب بالعربية بنتائج

(1) الجزء الأول من البحث، الصفحة ٤٨٨ من المجلد ٧٩.

(2) عبد الله كنون: لغة العلم — مجلة المعرفة (١٩٦٦)، الحلقة الرابعة، الصفحة ٩.

(3) زهير أحمد السباعي: هل تدريس الطب بالعربية يخرج لنا أطباء أضعف ؟ ! — مجلة المعرفة (السعودية) العدد ٦٥ (شعبان ١٤٢١هـ (الصفحة ٣٠. وأنا مدين للأستاذ=

الآخرين، في اختبارات المجلس التعليمي للأطباء الأجانب، وهو اختبار تعقده الولايات المتحدة الأمريكية عدة مرات في كل عام، ويتقدم إليه في كل مرة نحو عشرة آلاف طبيب من مختلف أنحاء العالم.وذكر الدكتور السباعي أن من يجتاز الاختبار يحق له العمل أو الدراسة الطبية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية. وتضمنت الدراسة جدولاً بمعدل علامات نتائج اختبار الطلاب الأطباء السوريين المتقدمين، ومعدل العلامات الإجمالي للمتقدمين؛ ويتضح من ذلك الجدول أن معدل علامات السوريين أعلى قليلاً من المعدل الإجمالي. وينبّه الدكتور السباعي في دراسته القارئ إلى «أن الاختبار يعقد باللغة الإنكليزية، أي أن تعلم الطب باللغة العربية لم يكن عائقًا أمام الأطباء السوريين يحول دون أدائهم للاختبار واجتيازهم له بنجاح». وفي ذلك برهان على نجاح تعليم العلوم باللغة العربية مستخلص من مقارنة نتائجه بنتائج الآخرين.

لقد أصبح التعليم باللغة العربية في جميع مراحله هدفًا ثابتًا لا محيد عنه، كما أخفقت جميع الأساليب لحرفنا عنه، حتى إنَّ تلك الأساليب المغرضة ساهمت، كرد فعلٍ إلى حدٍّ ما، في إهمال اللغات الأجنبية التي هي نوافذنا للتواصل مع التقدم العلمي العالمي.

وقد تكون معالجة مشكلات انخفاض مستوى معارف الطلاب بلغةٍ أجنبيةٍ أكثر إلحاحًا في أيامنا هذه من النظر في توحيد المصطلحات. وهذه المشكلات ليست مطروحة في كليات الطب خاصة، ولا تكاد تكون مطروحة في كليات العلوم التطبيقية عامة. ذلك لأن هذه الكليات تعدّ طلابها لممارسة مهنهم الحرة،

=حسن الحموي باطلاعي على هذه الدراسة وعلى جزء من دراسة أخرى مفيدة في هذا المجال، فإليه أزجي الشكر.

ويعلم هؤلاء أن مدى ما يمكن أن يتحقق لهم في مهنهم من نجاح مرتبط بمدى اكتسابهم خبراتٍ فيها، ومدى مقدرتهم على تطوير تلك الخبرات مع الزمن، وأن هذا لا يتحقق إلا ببلوغ مستوى مقبول من معرفة لغةٍ أجنبيةٍ أو أكثر. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن طلاب هذه الكليات، هم وفق قواعد قبول الطلاب في التعليم العالي، الأوفر حظًّا وزادًا من التعليم الثانوي – ومن ضمنه اللغة الأجنبية – بين الذين أنهوه بنجاح وتوجهوا إلى التعليم العالي. أما كليات العلوم الأساسية وبعض كليات العلوم التطبيقية كالزراعة، فلابد للحفاظ على مستوى مقبول للتعليم فيها من معالجة مشكلات انخفاض مستوى معارف طلابها بلغة أجنبية.

لقد كان الطلاب يتلقون في كلية العلوم دراسة مادةٍ واحدة فقط بلغة أجنبية في كل اختصاص وفي كل سنة من سنوات دراستهم الأربع، وكان على الطالب النجاح في امتحاناتها. كما كان على كل طالب في سنته الأخيرة اختيار موضوع – يوافق عليه أستاذ مشرف – يكتب فيه رسالة علمية، ولا يمنح الطالب إجازته من الكلية إلا بعد قبول الأستاذ المشرف عمل الطالب في رسالته العلمية. إن نجاح الطالب في سنوات الدراسة كلها في المواد التي درِّست بلغة أجنبية، وفي كتابة الرسالة العلمية التي يعود في كتابتها إلى مراجع أجنبية، ضمان لامتلاك الطالب رصيدًا في لغةٍ أجنبيةٍ يمكنه من الاطلاع على التقدم العلمي في اختصاصه ومتابعة التعلم بعد تخرجه. وواقع الحال، أن عدد أعضاء هيئة التدريس في الكليات المحدثة (في عام ١٩٤٦)، كان في العقدين الأولين من عمرها قليلاً جدًّا وكانت أعباء كل منهم كبيرة، لذلك كان التعاون بين الطلاب وأساتذتهم كبيرًا. وكثيرًا ما كان الطلاب يقومون بترجمة فصولٍ من

كتب متعددة يوجههم إليها الأستاذ، ثم يقوم بتنقيح ما ترجموه في أملية يقدمها لهم. وقد أدّى هذا التعاون إلى تحسين معارف الطلاب في لغةٍ أجنبية وفي مسالك التعريب، وإلى بناء شخصياتهم العلمية وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وبذلك تابعت مسيرة تعريب تعليم العلوم في الجامعات تقدُّمها.

ولقد أدّى ازدياد أعداد الطلاب بشدة في كليات العلوم (وفي بعض كليات العلوم التطبيقية) إلى ازدياد ميل مستوى معارفهم في لغةٍ أجنبية إلى الانخفاض، فهم أقل حظًّا وزادًا من التعليم الثانوي من زملائهم طلاب الطب وبعض كليات العلوم التطبيقية. وأصبح تدريس مادةٍ بلغةٍ أجنبية في كل سنة من سنوات الدراسة، خاليًا من الفائدة التي كانت ترجّى، إذ تحوّل تدريس مادةٍ بلغةٍ أجنبيةٍ، إلى تدريس نصوصٍ مترجمةٍ، واقتصر الطالب في كتابة رسالته على المراجع العربية لعجزه عن الاستعانة بالمراجع الأجنبية، وأدى هذا كله إلى انخفاضٍ سريع في عدد الخريجين القادرين على متابعة التعلم بعد التخرج. إن هذا التراجع في مردود التعليم العالي في هذه الكليات، لا علاقة له بلغة التعليم أي باللغة العربية، ولكنه نتيجة مُفْجِعة لانهيار تعليم اللغات الأجنبية وغيرها في التعليم الثانوي، ولتردي مستويات تعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم. وليس من أهداف هذه الدراسة، الانتقال إلى معالجة واقع تعليم اللغات الأجنبية في سورية وفي بعض البلدان العربية على الأقل، ولكن الإشارة إلى بعض ما سببّه ضعفها، تبقى هامة وضرورية، وبها نكتفي.

هذا الواقع أدّى إلى توقف تطوّر تعريب التعليم العالي وتطويره. إن محور التطور والتطوير لن يكون توحيد المصطلحات، فتوحيدها آتٍ ولا يتوقف عليه التعريب كما ذكرنا. إن محور التطوير والتطور هو وضع المصطلح: منهجيته وأساليبه. ذلك

لأن الجديد من ألفاظ الحضارة المعاصرة والمصطلحات العلمية هو في تزايد مستمر متسارع. والثورات العلمية التي تفجرت بالأمس في الاتصالات والمعلوماتية والإدارة والمواد الجديدة والبيولوجيا وفي كثير من العلوم الإنسانية، ولا ندري في أي اختصاص غدًا ستتفجر، تقذف يوميًّا بكمٍّ كبيرٍ من المصطلحات العلمية بلغاتٍ أجنبية عديدة أهمها الإنكليزية في هذه الأيام، وتتراكم أكداسًا على طريق التعريب، لا نكاد نمس منها ما له علاقة بالتعليم. إن استكمال تعريب التعليم العالي والبحث العلمي يقتضي منا وضع المصطلحات العربية المقابلة لما يتراكم في تلك الأكداس من مصطلحات أجنبية، بوتيرةٍ من رتبة وتيرة ما ينهال علينا منها يوميًّا. وليس بخافٍ علينا جميعًا أن هذا المطلب سيبقى بعيد المنال إذا لم نَبْنِ أو نكتشف المنهجية التي تصلح في هذه الحال لوضع المصطلح بيسر. وعلينا، إذا ما تم لنا ذلك، أن نبتكر الأساليب المناسبة لتطبيقها، وأن ننمي الوعي اللغوي في أوساط الطلاب والباحثين، أو لنقل في بيئة التعليم العالي والبحث العلمي على الأقل، إذ لن تتوفر الفائدة المرجوّة من المنهجية من دون تنميته في تلك البيئة.

إن تعريب التعليم، لم يعد مطلبًا قوميًّا للحفاظ على الهوية، أو تربويًّا للحصول على مردود تعليمي أفضل فقط، فقد برهنت بحوث التنمية ومنها التنمية البشرية، على أن للتعليم باللغة الوطنية عائدًا اقتصاديًّا لا تقل جدواه عن عائد أي نشاط اقتصادي. ألم يشر إلى ذلك تقرير لجنة خبراء البنك الدولي في المغرب منذ نصف قرن تقريبًا، كما حدَّثَنا الأستاذ عبد الله كنون وذَكّرْنا به قبل قليل ؟ !(١) ألم تتركز دراسات الدكتور مراياتي، عن التنمية

(1) عبد الله كنون: لغة العلم — مجلة المعرفة (١٩٦٦)، الحلقة الرابعة، الصفحة ٩ و الصفحة ٨ من هذه الدراسة.

البشرية ولا تزال، على أهمية دور اللغة الأم في التعليم وعلى لفت الانتباه بإلحاحٍ إلى دورها المتنامي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية[1]؟ لهذه الأسباب مجتمعةً ولغيرها، التي منها بخاصة الحاجة الملحة إلى أطر قادرة على ترسيخ قواعد البحث العلمي، أنشئ «المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا» في أواخر السبعينيات من القرن الماضي (صدر قانون إحداثه في عام ١٩٨٣) لإحداث طفرةٍ جديدةٍ في تعريب التعليم العالي، ولإعداد تلك الأطر القيادية في مجالات البحث العلمي. وكانت تنمية الوعي اللغوي في بيئة التعليم العالي والبحث العلمي، من بين الأسس التي استُهدِفت في إنشائه، فنص نظامه على إحداث وحدةٍ لبحوث اللغة العربية، كما اشترط ضرورة انتقاء طلابه من أرفع الفئات مستوى من خريجي الفرع العلمي في التعليم الثانوي، وخصصت السنة الدراسية الأولى لرفع مستوى معارف الطلاب، في لغتين أجنبيتين هما الفرنسية والإنكليزية، وفي الرياضيات والفيزياء، لسدّ الثغرة التي أشرنا إليها في انخفاض مستوى معارف خريجي التعليم الثانوي. ولخصت أهداف المعهد المعلنة، في إعداد الرواد من المهندسين في مجالات العلم والتِّقانة (التكنولوجيا). وقد حقق المعهد أهدافه بسرعة، وتفوق خريجوه في الوطن وفي البلدان الأجنبية، في جميع المجالات، التي منها بحوث اللغة العربية. لقد قام المعهد بدراسات لسانية هامة، في وحدة صغيرة لبحوث اللغة العربية، أشرف عليها الدكتور محمد مراياتي وكان

(1) الدكتور محمد مراياتي: عزوف الدول العربية عن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية يؤثر في نموها الاقتصادي والاجتماعي – المؤتمر السنوي الرابع لمجمع اللغة العربية بدمشق: اللغة العربية والمجتمع، ١٤–١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ٢٠٠٥.

أعضاؤها يحيى ميرعلم وحسان الطيان ومروان البواب. وقد حصل ميرعلم والطيان على الدكتوراه من جامعة دمشق في أثناء عملهما في هذه الوحدة. قامت الوحدة ببحوث في اللسانيات العربية والصوتيات، وأجرى الباحثون فيها دراسات إحصائية هامة على الحروف وتواترها وتنافرها، وطبقوا دراساتهم تلك على التعمية عند العرب، فنشرت في ثلاثة أجزاء بعنوان: علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، نُشر الأولان منهما بالتعاون بين المعهد ومجمع اللغة العربية بدمشق، ونشرت لهم مكتبة لبنان، في عام ١٩٩٦، «إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي».

أما خريجو المعهد من المهندسين، فقد تابعوا بحوثهم في مجالات مختلفة من مجالات اللغة العربية وأتقنوا تطبيقات المعلوماتية في تلك المجالات، فشارك بعضهم في مؤتمرات المجمع وندواته كالدكتور عماد صابوني، وشارك آخرون في بحوث تيسير تعليم اللغة العربية كالدكتورة غيداء ربداوي... وتوجه بعض آخر إلى مشروع الذخيرة اللغوية كالأستاذ مروان البواب من وحدة بحوث اللغة العربية في المعهد والدكتورة غيداء ربداوي... ونهضوا جميعًا مع قلةٍ من زملائهم الجامعيين بتعليم المعلوماتية في الجامعات السورية معربةً، وسيساهم هؤلاء في تطوير منهجية وضع المصطلح التي يعد المجمع لتطويرها العدة، وسيكون لهم في المجمع من الأثر الطيب في دعمه وتطويره، ما كان لأعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي في القرن الماضي، من طيب الأثر في تطوير العمل فيه.

إن المنهج المتوارث في وضع المصطلح هو من صنع عصر النهضة العربية الإسلامية واستُخلص من تراثها. لقد كان وافيًا بأغراض وضع المصطلح، في عصر كانت المصطلحات العلمية الأجنبية محدودة، وما إن نقلت إلى العربية

حتى أصبح الإبداع والابتكار وازدهار الحضارة والتقدم حكرًا على اللغة العربية، بها ينشر ومنها ينقل إلى اللغات الأخرى. أما اليوم فقد تغير الحال بل انعكس. هذا المنهج، الذي لا يتقن استعماله إلا قلة من العلميين، ولا يدرك حدود تطبيقه في العلم غيرهم، هو اليوم بحاجةٍ قصوى إلى التطوير.

إن إثراء أساليب وضع المصطلح وبناء أنجع منهجية في حالنا هذه، يتطلب تكثيف بحوثنا في مجالات المصطلحية والمعجمية والتقييس، وفي تطبيقات المعلوماتية فيها. وسيكون على المجمع التخطيط لإعداد العاملين الشباب الجدد، للقيام بهذه المهمة. إنهم من خريجي الجامعات الذين حصلوا فيها بعد الإجازة على درجةٍ أعلى في علوم اللغة العربية أو في المعلوماتية، ومنهم تتألف الهيئة الفنية التي أحدثت في المجمع، على غرار نظيرتها في الجامعات، ومن المستحسن أن يجري إعدادهم بالتعاون مع الجامعات وأعضاء هيئات التدريس فيها. وسيكون في تطبيق بحوث المصطلحية على ما وضع السلف من المصطلحات، وبخاصة في عصر النهضة العربية الإسلامية، فائدة أكيدة. كما سيكون مثلها لإعادة النظر في تبويب معجمات المعاني تبويبًا يستوحى من أولَيات خدمة أغراض المجمع في وضع المصطلح، كتخصيص فصلٍ للحركة، وثانٍ للأصوات ، وثالث للألوان ورابع للزمن... وستحقق المساهمة في تنفيذ مشروع الذخيرة اللغوية، والعمل على تطوير أساليب تنفيذه فوائد عديدة، منها تيسير وضع المعجم التاريخي، والتعجيل في توسيع ذخيرة المصطلحات العلمية وإثراء معجمات المعاني في تبويبها المقترح ...

لقد هُيئت للمجمع أهم الشروط التي تمكنه من قيادة تطوير تعريب التعليم العالي في الوطن، كما قادها إبّان إحداثه. إذ طورت بنيته بالقانون رقم ٣٨ لعام

٢٠٠١ على الوجه الذي اقترحه المجمع على الدولة، فزاد عدد أعضائه بالقدر الذي يمكّنه من تحسين تمثيل فروع العلم والتقانة في عضويته. وشرع المجمع في تنفيذ مشروع توحيد المصطلحات العلمية في الجامعات السورية، وهو من أهم المشروعات التي كان يطمح إلى تنفيذها. وبرزت في أثناء التنفيذ صعوبات كان لابد من تذليلها كتنظيم عمل الخبراء في اللجان، وضرورة رسم سياسة لخطط العمل العلمي السنوي والبعيد المدى حرصًا على الطاقات البشرية والمالية من الهدر والتشتت. وانتهى الأمر إلى وضع مشروع لتطوير أساليب العمل في المجمع، أقره مجلسه في خريف عام ٢٠٠٤ [1] وقد حدد المشروع محاور العمل فكان أهمها:

- توحيد المصطلحات العلمية بين الجامعات السورية.
- إثراء منهجيات وأساليب وضع المصطلح ببحوث في المصطلحية والمعجمية وما يرتبط بهما أو يتفرع منهما كمعجمات المعاني والذخيرة اللغوية.
- رصد ألفاظ الحياة العامة ووضع مصطلحاتها وإشاعتها.
- تيسير تعليم اللغة العربية وتعلمها.
- متابعة لغة الصحافة والإعلام وتقويم الأغلاط المتأصلة فيها.
- العناية بتحقيق التراث العلمي ضمن محور تحقيق التراث والإفادة منه في وضع منهجيات وضع المصطلح.
- الإفادة من تطبيقات المعلوماتية في جميع محاور العمل.

(1) الدكتور عبد الله واثق شهيد: تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٩، الصفحات ٦٤٧-٦٦٦.

وكان المجمع قد شرع في تنفيذ برامج في المحاور الأول والثالث والخامس والسابع، كما شرع يعمل على وضع برامج لتنفيذ مشروعاتٍ في المحور الثاني، أهم محاور العمل في المجمع وأبعدها مدى وأشدها تأثيرًا في تطويره.

إن بيئة طفرةٍ جديدةٍ في تجربة سورية في تعريب التعليم العالي أخذت ترتسم في المجمع وفي التعليم العالي، ومنه بخاصة في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، وإني لآمل أن أكون قد وفقت في عرض خطوطها الكبرى في الصفحات الأخيرة من هذه الدراسة.

نور الدين محمود في شعر معاصريه

د. أحمد فوزي الهيب

مثلما ينبلج الفجر من كبد الظلماء، ليملأ الدنيا نورًا وضياء، انبلج نور الدين محمود، كما انبلج قبله أبوه عماد الدين زنكي، وبعده صلاح الدين الأيوبي، انبلجوا من ظلمة الهزيمة والقهر والذل والاحتلال الفرنجي الذي سمَّاه أصحابه (الصليبي)، انبلج ليهزم الفرنجة، ويكسر أسطورتهم، ويحرِّر البلاد، ويوحدها تمهيدًا لتحرير القدس والمسجد الأقصى.

لن أتحدث عن نور الدين محمود كما تحدَّث عنه المؤرخون، إلا بالقدر الذي يساعد في فهم الأشعار التي تحدثت عنه راجيًا أن تستطيع رسم صورته المشرقة، أو رسم بعضها، لتوفِّيَهُ بعض حقه على البلاد وأهلها وحضارتها وكرامتها وتحريرها.

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين أتابك زنكي بن قسيم الدولة آقسنقر التركي، ولُقّب (زنكي) أيضًا بلقب والده، كما قيل له (ابن القسيم)[1].

ولد سنة (٥١١هـ(ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان، وتعلم القرآن والفروسية والرمي، وكان شهمًا شجاعًا ذا همة عالية وقصدٍ صالحٍ وحرمة وافرة وديانة بيِّنة[2]. لذلك قدَّمه أبوه على أبنائه الآخرين

(1) الروضتين في أخبار الدولتين (٩/١).

(2) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٧).

لما رآى فيه من مخايل النجابة[١].

كان نور الدين معتدل القامة أسمر اللون واسع الجبهة حسن الصورة ذا لحية خفيفة[٢]، قويًا رياضيًّا رشيقًا سريع الحركة فارسًا شجاعًا.

تولى المُلْكَ بعد استشهاد أبيه أمام أسوار قلعة جعبر[٣]، عام (٥٤١هـ(، والذي سار ببلاد الشام والجزيرة مرحلة كبيرة في طريق التحرير والتكتل والتوحيد منذ أن تولى إمارة الموصل سنة (٥٢١هـ([٤].

اتخذ نور الدين محمود حلب عاصمة له، فأصلح أحوالها وبنى فيها المدارس والرباطات، وجلب أهل العلم والفقهاء إليها [٥]، وأظهر العدل، وأبطل البدع، وحصّن الأسوار، وعُني بالزراعة والتجارة وطرقها، وأمر ببناء الأبراج والخانات[٦]، ورتب الخفراء في الأماكن المخوفة، وجعل فيها الحَمَام الهوادي، ليطلع على الأخبار بسرعة[٧]، وأقطع أمراء الأعراب إقطاعات تُغنيهم عن تهديد الطرق وسلب القوافل[٨].

(1) النجوم الزاهرة (٦/ ٧١).

(2) النجوم الزاهرة (٦/ ٧١).

(3) وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٨). وقلعة جعبر تقع على الفرات قرب الرقة وصفين (معجم البلدان ١٤٢/٢)

(4) وفيات الأعيان (٢/ ٣٢٨).

(5) زبدة الحلب (٢/ ٤٧٥).

(6) الروضتين (١/ ٢١).

(7) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

(8) الروضتين (١/ ٢١).

وبعد ذلك اتخذ دمشق عاصمة ثانية له مع حلب، بعدما فتحها عام (٥٤٩هـ(، فأصلح أحوالها جميعها، كما فعل بحلب وجميع المدن التي فتحها، لم يمنعه من ذلك حروبه الضارية المستمرة مع الفرنجة[١]، ولا اتساع ملكه الذي امتد ليضم الشام ومصر والحجاز واليمن[٢]، ولقد ذكر ذلك الاتساع العماد الكاتب (٥١٩– ٥٩٧هـ/ ١١٢٥– ١٢٠١م) بقوله[٣]:

دانَتْ لكَ الدُّنيا فقاصِيها إذا حقَّقتهُ لنفَاذِ أمْرِكَ دانِ
فمن العراق إلى الشآم إلى ذرى مصرٍ إلى قوص إلى أسوانِ
لم تلهُ عن باقي البلاد وإنما ألهاك فرض الغزو عن همذانِ

لم يكن نور الدين محمود رجلاً عسكريًّا فقط، وإنما كان فضلاً عن ذلك مثقفًا حسن الخط كثير المطالعة[٤]، فقيهًا متسامحًا غير متعصب، تعلّم الحديث النبوي الشريف، وعلّمه طلبًا للأجر، مقتديًا بالسنة النبوية[٥]، محافظًا على الصلوات في الجماعات، كثير التلاوة للقرآن الكريم، مُحبًّا لفعل الخيرات، عفيف البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس، لم تُسمع منه كلمة فحش قط في غضب ولا رضا، صموتًا وقورًا، لم يكن بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز مثله في العدل والإنصاف والزهد[٦]، وكان كثير القيام في الليل مصلِّيًا مبتهلاً داعيًا متضرعًا في

(1) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).
(2) زبدة الحلب (٢/ ٥١٠).
(3) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٦١).
(4) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٧).
(5) الروضتين (١/ ١٠).
(6) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٨).

أموره كلها[١]. قال عنه الفرنج: إن له مع الله سرًّا، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا، وينصر بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يديه إلى الله ويدعوه، فيستجيب له، ويعطيه سؤله فيظفر علينا[٢]. لقد خصَّص أوقاته كلها لمصالح الناس ، وإظهار شعار الإسلام، والتمكين لقاعدة الدين، حتى إن بلاد الشام صارت في زمنه مقرًّا للعلماء والفقهاء والصوفية، إذ بنى لهم الكثير من المدارس والجوامع والربط والخانقاهات[٣]، وأنشأ أيضًا مدارس الأيتام والمشافي التي غدت مدارس للطب[٤]، كما كان نور الدين أول من بنى دارًا للحديث النبوي في تاريخ الإسلام[٥]. أما مجلسه فقد تميّز عن مجالس غيره من الملوك بأنه كان مجلسًا لا يُذكر فيه إلا العلم والدين وأحوال الصالحين والمشاورة في أمر الجهاد[٦].

كان نور الدين محمود ملكًا عادلاً زاهدًا عابدًا ورعًا، مستمسكًا بالشريعة، مائلاً إلى أهل الخير، مجاهدًا في سبيل الله كثير الصدقات[٧]. ومن مزاياه الكثيرة أنه أول من ابتنى دارًا للعدل، كان يجلس فيها مرات عدة كل أسبوع، ويحضر معه القاضي والفقهاء من سائر المذاهب، لا يحجبه فيها عن الناس جميعًا حاجب ولا غيره، بل يصل إليه القوي والضعيف، وكان يكلم الناس، ويستفهم منهم، ويخاطبهم بنفسه، فيكشف الظالم،

(1) المصدر السابق (١٢/ ٢٩٩).
(2) الروضتين (١/ ٣٤).
(3) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).
(4) الروضتين (١/ ٢٠-٢١).
(5) المصدر نفسه (١/ ٢٣).
(6) المصدر نفسه (١/ ٣٤).
(7) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).

وينصف المظلوم [١].

كما كان يحترم الفقهاء والمتصوفة، ويقوم لهم، ويمشي لهم خطوات، ويقعدهم معه على سجادته في وقار وسكون، ويكاتبهم بخط يده[٢]، في الوقت الذي كان لا يتجاسر فيه أحد من الأمراء أن يقعد بين يديه إلا بإذنه، لشدة هيبته[٣]، ووقاره وضبطه ناموس الملك مع أجناده وأصحابه إلى غاية لا مزيد عليها [٤]، مع أنه كان لا يُريق دمًا ولا يبالغ في عقوبة[٥].

وكان نور الدين شجاعًا حسن الرأي صابرًا في الحرب، أعرف الناسِ بأمور الأجناد وأحوالهم، لم ير الناس على ظهر الفرس أحسن منه، يباشر القتال بنفسه، ثابت القدم حسن الرمي صليب الرأي، يتقدم أصحابه، ويتعرض للشهادة سائلاً الله تعالى أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير[٦]، وكان كثيرًا ما يقول: قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم أحظَ بها[٧]، قال له يومًا قطب الدين النيسابوري[٨]: بالله لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قُتلت، قُتل جميع من معك،

(1) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٩– ٣٠٠).

(2) أعلام النبلاء (٢/ ٦٢).

(3) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠١).

(4) الروضتين (١/٢٣).

(5) المصدر نفسه (١/ ١٨).

(6) المصدر نفسه (١/ ١٠).

(7) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

(8) مسعود بن محمد، فقيه شافعي، ولد في نيسابور عام ٥٠٥هـ، وتعلم فيها وفي مرو، ثم درس بالمدرسة النظامية في نيسابور، ووعظ وعلَّم أيضًا في بغداد وحلب، ثم استقر في دمشق، وبها توفي عام ٥٧٨هـ.)وفيات الأعيان ٥/ ١٩٦).

وأُخذت البلاد، وفسد المسلمون. فأنكر نور الدين عليه ذلك قائلاً: يا قطب الدين، من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الله؟ ومن هو محمود؟ فبكى من كان حاضرًا [١].

وأما في أوقات السِّلم، وكانت قليلة قصيرة، فلم يكن يركن للكسل والراحة والدعة، وإنما كان يقضيه مع جيشه في رياضة عنيفة مفيدة نافعة للفرسان والخيل معًا لياقةً ونشاطًا وحيوية، وهي اللعب بالكرة على الجياد، وكان بارعًا فيها جدًّا كبراعته في ساح الجهاد، ولقد عاتبه عليها أحد الصالحين لأنه عدَّها لهوًا لسذاجته وبساطته، فأجابه نور الدين: إنما الأعمال بالنيات، وإنما أريد بها تمرين الخيل على الكرِّ والفرِّ وتعليمها ذلك. ونحن لا نترك الجهاد[٢].

هكذا كان نور الدين يقضي أوقاته في حربه وسلمه، إلى أن أسلم روحه إلى خالقها عام (٥٦٩هـ(في دمشق، بعد عمر امتدَّ ثمانية وخمسين عامًا، لم يُضِع منه في سلمه وحربه، وليله ونهاره، وحلِّه وترحاله، لحظة واحدة في غير مرضاة الله تعالى، وخاصة في مدة سلطنته التي دامت ثمانية وعشرين عامًا وستة أشهر[٣]. لقد كانت مدّة متميزة مباركة ساطعة في التاريخ العربي الإسلامي، استطاع فيها أن يوحِّد الشام ومصر واليمن والحجاز وأن يمهِّد الطريق أمام صلاح الدين الأيوبي، الذي سار على خطاه، لفتح القدس واسترجاعها وطرد الفرنجة منها إلى بلادهم التي أتوا منها.

(1) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٠).

(2) المصدر نفسه (١٢/ ٢٩٨).

(3) النجوم الزاهرة (٦/ ٧٢).

كان نور الدين محمود زاهدًا في كل شيء من دنياه، على الرغم من انتصاراته وفتوحاته وملكه الذي اتسع حتى امتد من العراق إلى برقة. وزهده هذا جعله زاهدًا أيضًا في الشعر والشعراء، مثل الخليفة الراشد الخامس عمر ابن عبد العزيز[١]، قليل الابتهاج بهما إلا بالحق[٢]، ولكن مع هذا فإن الشعر لم يزهد به، بل كان به حفيًّا في حله وترحاله، وحربه وسلمه، وانتصاره وخسارته، وصحته وسقمه، وفرحه وترحه، وخلواته ومجالسه، وفي مراسلاته المختلفة. وكان نور الدين يعقد له المجالس، ويسمعه من الشعراء، ويستنشدهم، ويطلب منهم أن يصفوا وقائعه، وأن ينظموا على لسانه شعرًا في الجهاد. ولا غرو في ذلك، فالشعر آنذاك كان له دوره الهام الذي قام به خير قيام، كما كان له فرسانه الذين رافقوا فرسان السيف والسياسة في حركاتهم وسكناتهم، يؤدون دورهم استثارة للهمم وتحريضًا ومواساة وتشجيعًا. لذلك قيل في نور الدين – على زهده – شعر كثير، قاله أكبر شعراء عصره، حاولوا فيه أن يوفّوه حقه، ولكن أنّى لهم ذلك، فقد كانت أوصافه العظمى وأعماله الكبرى أكبر من أشعارهم وأعظم[٣].

كان الشعر مع نور الدين في حروبه جميعها يقوم بوظيفته خير أداء، وصفًا للمعارك وتأريخًا لها ورفعًا للروح المعنوية وتحريضًا للأبطال وإخافة للأعداء وإثارة للهمم وحشدًا للقوى وتهنئة ومدحًا، ومما قاله الشعر في معاركه قول ابن منير الطرابلسي (٤٧٣–٥٤٨هـ/١٠٨٠–١١٥٣م) في استعادته مدينة (الرها) من الفرنجة وملكهم جوسلين عام (٥٤١هـ(، تلك المدينة الهامة التي كان أبوه

(1) الروضتين (٢/ ٥٨٤).

(2) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٨).

(3) المصدر نفسه (١/ ٤٤).

عماد الدين زنكي قد حررها منهم قبل عامين، وكانت أول إمارة صليبية حررها المسلمون في بلادنا[١]:

تلك بكْرُ الفتوحِ فالشامُ منها شامُهُ والعراقُ بَعدُ عراقُهْ

واستنجد به معين الدين أُنَر[٢] من دمشق، ليساعده في قمع تمرد قام به (التونتاش) غلام أمين الدولة كمشتكين الأتابكي[٣]، في صرخد[٤]، وبُصرى[٥]، مستعينًا بالفرنجة، فأنجده نور الدين محمود عام (٥٤٢هـ(بنفسه وجيشه الذي لم يُشاهد أحسن منه هيئة وعُدة، وكان نصرًا مؤزرًا، قال فيه ابن منير الطرابلسي قصيدة، منها[٦]:

سل بصيرًا كم أعتقت يوم بُصرى مِنْ إسار الموتِ الزؤام عتاقُه

ولعل من أهم انتصارات نور الدين التي تغنَّى بها الشعراء معركة (إنِّب)[٧]، عام ٥٤٤هـ، قال ابن الأثير[٨]: سار نور الدين إلى حصن حارم[١]، شمال

(1) المصدر نفسه (١/ ١٢٧).

(2) كان أتابك مجير الدين أبق بدمشق زمن البوريين عام (٥٣٤هـ(، ثم ارتفع شأنه، واتفق مع نور الدين محمود، ثم توفي في دمشق عام (٥٤٤هـ(.

(3) حاكم صرخد وبصرى. (تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٩٨).

(4) بلد من أعمال دمشق آنذاك. (معجم البلدان ٣/ ٤٠١).

(5) مدينة معروفة بالشام من أعمال حوران. (معجم البلدان ١/٤٤١).

(6) الروضتين (١/ ١٣١).

(7)حصن من أعمال أعزاز شمال حلب. (معجم البلدان ١/٢٥٨).

(8) عز الدين علي بن محمد (٥٥٥-٦٣٠هـ(المؤرخ في كتابه (تاريخ أتابكة الموصل، أو الباهر في تاريخ أتابكة الموصل ص (١٧٧-١٧٨). (نقلاً عن الروضتين ١/١٥٢).

حارم[١]، شمال حلب، وهو للفرنج، فحاصره، وخرَّب بعضه، ونهب سواده، ثم رحل عنه إلى حصن (إنّب) فحاصره، فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية، وساروا إليه ليرحّلوه عن (إنّب)، فلم يرحل، بل لقيهم، وتصافّ الفريقان، واقتتلوا، وصبروا، وظهر من نور الدين، من الشجاعة والصبر في الحرب، ما تعجب منه الناس، وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج، وقَتل المسلمون منهم خلقًا كثيرًا، وفيمن قتلوه البرنس صاحب أنطاكية، وكان من عتاة الفرنج وذوي التقدم فيهم والمال. ومن هؤلاء الشعراء الذين أشادوا بهذا النصر القيسراني (٤٧٨-٥٤٨هـ/ ١٠٨٥-١١٥٣م) الذي قال قصيدة استلهمها من بائية أبي تمام الشهيرة أولها[٢]:

هذي العزائمُ لا ما تدّعي القُضُبُ[٣] وذي المكارمُ لا ما قالت الكتبُ

وبعدما أشاد الشاعر بعزائم نور الدين ومكارمه وهممه وشجاعته وثبات قلبه، وصف هذه المعركة العظيمة بقوله[٤]:

ضربتَ كبشهم[٥] منها بقاصمة أودى بها الصُلْب وانحطت لها الصُلُبُ

حتى استطارَ شَرارَ الزند قادحُهُ فالحربُ تضَرم والآجالُ تحتطب

والخيل من تحت قتلاها تقرّ لها قوائمٌ خانهنّ الركض والجنب

(1) كانت حصنًا منيعًا بين حلب وأنطاكية، فيها أشجار كثيرة ومياه. (معجم البلدان ٢٥٨/١).

(2) زبدة الحلب (٢/ ٤٧٩).

(3) القُضب: جمع قضيب، وهو: السيف القاطع.

(4) الروضتين (١/ ١٥٣).

(5) قائدهم.

والنقع[١] فوق صقال البِيض[٢] منعقدٌ كما استقل دخان تحته لهبُ
والسيف هامٌ على هامٍ[٣] بمعركة لا البَيض[٤] ذو ذمة فيها ولا اليَلَبُ[٥]
والنبل كالوبل[٦] هطّال وليس له سوى القسيّ وأيدٍ فوقها سحبُ
وللظبا ظَفَرٌ حلوٌ مذاقتُهُ كأنما الضرْبُ فيما بينهم ضَرَبُ[٧]
أنباءُ ملحمةٍ لو أنها ذُكرتْ فيما مضى نَسيتْ أيامها العَرَبُ

وبعد هذا الوصف الدقيق الجميل لهذه الملحمة العظمى التي اشرأبَّ عنقها لتتساوى مع عمورية وغيرها من الانتصارات العربية الكبرى، وصف خيانة الفرنجة لعهودهم، والتي كانت وبالاً عليهم[٨].

خانوا فخانت رماحُ الطعن أيديَهم فاستسلموا وهْي لا نَبْعٌ ولا غَرَبُ[٩]

ثم انتقل القيسراني إلى مدح نور الدين وإخلاصه واحتسابه، وقارنه بغيره من ملوك المسلمين، ونوّه بكثرة انتصاراته وعظمتها، فقال:

---

(1) النقع: غبار الحرب.

(2) البيض: جمع أبيض، وهو السيف.

(3) الهام: الرؤوس.

(4) البيض: جمعة بيضة وهي الخوذة.

(5) اليلب: جلود يخرز بعضها إلى بعض، تلبس على الرؤوس وخاصة في الحرب.

(6) الوبل: المطر الغزير.

(7) الضرب: العسل.

(8) وبال: شرّ.

(9) النبع شجر صلب ينبت في قمم الجبال تُتخذ منه القسي والسهام. والغَرَبُ: شجر لدِنٌ ينبت حول الجداول، تُتخذ منه السهام.

من كان يغزو بلاد الشام مكتسبًا من الملوك فنور الدين محتسبُ
ذو عِزَّةٍ ما سَمَتْ والليلُ معتكرٌ إلا تمزّقَ عن شمس الضحى الحجبُ

ثم وصف القيسراني نهاية المعركة وكثرة أسرى الفرنج على شجاعتهم قائلاً:

من باتت الأُسْدُ أسْرى في سلاسله هل يأسر الغُلْبَ[1] إلا من له الغَلَبُ

إنه إذ وصفهم بالأُسد، فقد أنصفهم، وذكر شجاعتهم أولاً، وأعلى في الوقت نفسه من شجاعة نور الدين وقوته، وانتقل بعد ذلك القيسراني إلى تحريض نور الدين، وحثه على فتح القدس، وتطهير المسجد الأقصى، وهنا يتضح دور الشعر آنذاك في معارك التحرير، فالشاعر – بعامة – لم يعد طالب مالٍ ينافق ويتملق للحصول عليه، وإنما أصبح صاحب قضية، ينطق بالصدق، ويتوسل بالإخلاص، قال مخاطبًا نور الدين[2]:

غضبتَ للدين حتى لم يَفُتْكَ رضا وكان دينُ الهدى مرضاتُهُ الغضبُ
فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجَبٍ يوليك أقصى المنى، فالقدس مرتقبُ
وائذن لموجك في تطهير ساحله فإنما أنت بحرٌ لُجُّهُ لجِبُ

حاول القيسراني في ملحمته الطويلة الرائعة هذه أن يعطي نور الدين حقه إنصافًا وتعظيمًا، وكأني به كان يعتقد – وهو على حق – أن انتصار نور الدين هذا يعدل انتصار المعتصم في عمورية، ويتضح هذا إذا علمنا أن انتصار عمورية حدث والمسلمون في أوج قوتهم، على حين كان انتصار نور الدين، والمسلمون في ضعف، قد تجرأ عليهم الفرنج فغزوهم، واحتلُّوا كثيرًا من

(1) الغلب: جمع أغلب، وهو الأسد.
(2) الروضتين (١/ ١٥٤).

بلادهم. لذلك نستطيع أن نتلمس روح أبي تمام في بائيته واضحة جلية في كثير من أبيات قصيدته ومعانيها وألفاظها وتراكيبها. وفضلاً عن هذه القصيدة هناك قصائد أخرى في هذه المعركة، وذلك لأهميتها وعظمتها.

وعلى الرغم من انتصارات نور الدين الكثيرة العظيمة التي ألحَّ عليها الشعراء وصفًا ومدحًا وفرحًا، مثل فتح أفامية وسنجار ورحبة مالك والفرات وحمص وأعزاز وتل باشر ودلوك والجولان وطرطوس وغيرها[1]، مما ذكرته كتب التاريخ، مثل: الروضتين والبداية والنهاية وتاريخ دمشق وبغية الطلب وزبدة الحلب وأعلام النبلاء وتاريخ ابن عساكر وغيرها. أقول برغم ذلك فإني سأقف عند فتح دمشق وما سبقه، لما له من أهمية كبرى في معارك التحرير وطرد الفرنج من البلاد، أهمية جعلت نور الدين ينظر إليه نظرة خاصة، وجعلته يتزوج ابنة صاحب دمشق (معين الدين أنر)، ليكون له عونًا في الجهاد والتحرير، ولكنه يتوفى، ويأتي بعده (مجير الدين آبق)[2]، فيغيِّر الأمور، ويعاضد الفرنج، ويستنصر بهم، وهذا ما اضطر نور الدين إلى حصار دمشق (عام ٥٤٦هـ(حصارًا حازمًا، تُوّج بفتحها، فأكرم أهلها وأمَّنهم، وأظهر فيهم العدل والإحسان، وأزال المكوس (الضرائب)، فأكثروا من الدعاء له وسُرّوا بذلك سرورًا

(1) أفامية وسنجار ورحبة مالك: أماكن معروفة في بلاد الشام.

(2) ملك دمشق، تذبذب بين الصلاح والسوء، وبين نور الدين محمود والفرنج، حاصره نور الدين في دمشق عام ٥٤٩هـ، وأخرجه منها إلى حمص ثم إلى بالس قرب الفرات. (تاريخ دمشق لابن القلانسي ٤٧٦، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٨، وفيات الأعيان ٢٩٧/١، ١٨٤/٥).

بذلك سرورًا عظيمًا[١]. ولقد ذكر الشعراء ذلك، منهم القيسراني الذي قال[٢]:

ليَهْنِ دمشقًا أنّ كرسيّ مُلْكها حُبي منك صدرًا ضاق عن همّهِ الصدرُ
وأنك، نور الدين، مذْ زرتَ أرضها سمتْ بك حتى انحط عن نَسرها[٣] النسر[٤]

وبعد فتح دمشق حدثت معارك كثيرة بين نور الدين والفرنج، كان أهمها انتصاره عليهم في الملاحة قرب طبرية عام (٥٥٢هـ(انتصارًا عظيمًا بيّنًا، خلّف كثيرًا من الغنائم والأسرى والقتلى، امتلأت بهم طرقات دمشق في يوم مشهود، وقد وصف ذلك أحد الشعراء بقوله[٥]:

ما رأينا فيما تقدّم يومًا كاملَ الحسن غايةً في البهاءِ
مثلَ يوم الفرنج حينَ علَتْهمْ ذلةُ الأسرِ والبلا والفناءِ

وأما مصر فلقد كانت فتح فتوحات نور الدين، وتمَّ له ذلك بعدما كثُرت فيها الاضطرابات، واستعان به كبار رجالاتها، مثل شاور بن مجير وزير العاضد لدين الله آخر حكامها الفاطميين الذي أتى دمشق مستنجدًا بنور الدين على ضرغام بن سوار بعدما سلبه وزارة مصر، فأنجده نور الدين بجيش كان قائده

(1) البداية والنهاية (١٢/٢٤٩).
(2) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/١٥٧) وما بعدها.
(3) نسر دمشق: اسم يطلقه أهلها على القبة الرصاصية العظمى للجامع الأموي وما حولها من قباب (دمشق في عصر المماليك، نقولا زيادة ٧٨).
(4) النّسر: مجموعة من النجوم، أو الطائر المعروف.
(5) تاريخ دمشق (٥٢٤).

أسد الدين شيركوه[١]، عام (٥٥٨هـ(، استطاع أن يستعيد له الوزارة، ويرتب له أمور مصر وأحوالها[٢]. ولكن شاور غدر بنور الدين واستعان بالفرنج، فأرسل نور الدين شيركوه ثانية إلى مصر عام (٥٦٢هـ([٣]، خوفًا من سقوطها بيد الفرنج الذين استعان بهم شاور، ولكن شيركوه عاد إلى الشام بعدما اتفق مع الفرنجة على أن يعودوا عنها أيضًا[٤]. وفي عام (٥٦٤هـ(استجاب نور الدين لاستنجاد العاضد الفاطمي[٥]، حاكم مصر بعدما أرسل إليه شعور نسائه مستغيثًا، فأغاثه بأن أرسل شيركوه ثالثة إلى مصر، فدخلها، وانتصر على الفرنج، وقتل شاور، وتولى الوزارة بدلاً منه، ولكنه ما لبث أن توفي بعد مدّةٍ قصيرة فتولاها بعده صلاح الدين[٦] ابن أخيه[٧]. ولقد هنأ الشعراء نور الدين على فتح مصر، منهم الحافظ ابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ/١١٠٥-١١٧٦م)، الذي حرَّضه على فتح القدس ومتابعة الجهاد، قال [٨]:

(1) عمّ صلاح الدين الأيوبي، من أعظم قادة نور الدين محمود، تَسَلَّم وزارة مصر شهرين تقريبًا، ثم توفي عام ٥٦٤هـ، فَتَسَلَّمها بعده صلاح الدين. (وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٩).

(2) النوادر السلطانية (٢٩).

(3) النجوم الزاهرة (٥/ ٣٧٣).

(4) النوادر السلطانيية (٣٠).

(5) عبد الله بن يوسف، آخر الحكام الفاطميين في مصر، توفي عام ٥٦٧هـ)وفيات الأعيان ٣/ ١٠٩).

(6) أي صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ(محرر القدس وبطل الحروب الصليبية الأشهر (انظر كتاب النوادر السلطانية أو سيرة صلاح الدين لابن شداد).

(7) المصدر نفسه (٣٢- ٣٣).

(8) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/ ٢٧٧).

وطهِّرِ المسجد الأقصى وحوزتَهُ من النجاسات والإشراك والصلبِ

ومنهم العماد الكاتب، الذي مدحه بأنه مالك الأمم، وبشرَّه بنصر الله، وأشاد بعدله الذي أسس عليه ملكه، وبفعله للخير وبعزمه ونجدته لمصر، وهيبته التي أخافت الأعداء، كما حرَّضه على متابعة الجهاد وتطهير القدس بعدما وحّد مصر والشام، قال [1]:

بملك مصر أُهنِّي مالكَ الأممِ فاسعدْ وأبشرْ بنصر الله عن أَمَمِ
أضحى بعدلِكَ شَمْلُ المُلْكِ ملتئمًا وهل بعدلِكَ شيءٌ غيرُ ملتئم
اغْزُ الفرنج فهذا وقت غزوهم واحْطمْ جموعهمُ بالذابل الحَطِم
وطهّرِ القدس من رجس الصليب وثبْ على البغاث وُثوبَ الأجدل القطم
فملك مصر وملك الشام قد نُظما في عقد عزٍّ من الإسلام منتظم

ومثلما رأينا الشعر في انتصارات نور الدين كلها، نراه معه في خسارته مع أعدائه، وكانت نادرة جدًا، استطاع أن يحولها إلى انتصارات بفضل شجاعته وحكمته. ففي عام ٥٥٨هـ دخل نور الدين في الأراضي التي احتلها الفرنج لينازل طرابلس. فبينما هو وجنده في خيامهم وسط النهار قرب حمص، فاجأهم الفرنج على حين غرة، فانهزم جند نور الدين بعدما قُتل منهم من قُتل، وأُسر منهم من أُسر. وتراجع نور الدين إلى ظاهر حمص، فأحضر منها ما فيها من الخيام، ونصبها على بحيرة (قدس)[2]، التي تبعد عن مكان الواقعة أربعة فراسخ فقط، وظن الناس أنه لن يقف دون حلب، ولكنه كان أشجع

(1) الروضتين (٢/ ٤٤٣-٤٤٥).

(2) هي بحيرة قطينة الواقعة قرب حمص.

من ذلك وأقوى عزمًا، فقال: (والله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري)، وأرسل إلى حلب ودمشق، وأحضر الأموال والدواب والأسلحة والخيام، وغيرها. فلما رأى الفرنج منه ذلك طلبوا الهدنة، فلم يجبهم إلى ذلك. فقال ابن الدهان الموصلي (٥٢٢-٥٨١هـ/ ١١٢٨-١١٨٥م)، المهذَّب عبد الله بن أسعد نزيل حمص قصيدة، يصف ذلك ويمدحه، ويفنِّد انتصار الفرنج بالخداع والمفاجأة، ويقلل من شأنه وقيمته، ويقارنه بيوم حنين الذي بدأ خسارة وانتهى نصرًا للرسول، ولمن ثبت معه من المؤمنين. كل ذلك ليرفع الروح المعنوية لدى نور الدين وجيشه، ثم هدَّد الفرنج وتوعدهم بنور الدين الذي وقف متحديًا الفرنج بعد هزيمة جيشه قربهم، فكان وحده جيشًا عرمرمًا ثابتًا بطلاً تخرُّ له الليوث سجَّدًا، ثم ذكَّر جيش نور الدين بأن ثبات قائدهم هو الذي أنقذهم من القتل والأسر، وسأل الله له العون والنصر، فقال[1]:

وما يعيبك ما نالوه مِنْ سلَبٍ ... بالختل، قد تُؤسر الآسادُ بالحيلِ

هل آخِذُ الخيل قد أردى فوارسها ... مثالُ آخِذِها في الشكل[2] والطِّوَلِ[3]

أم سالب الرمح مركوزًا، كسالبه ... والحرب دائرة من كفّ معتقِل

لهم بيوم حنين أسوةٌ وهمُ ... خَيرُ الأنامِ وفيهم خاتمُ الرُّسل

كم قد تجلت بنور الدين من ظُلَمٍ ... للظُّلمِ وانجابَ للإضلال من ظلل

فقام فردًا وقد ولّت جحافله ... فكان مِن نفسه في جحفل زجِل[4]

(1) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (٢/ ٢٨٩) وما بعدها.

(2) الشكل: قيد تشدُّ به قوائم الخيل.

(3) الطّول: حبل طويل تُربط به الخيل يمكِّنها من الرعي.

(4) له جلبة وضجيج لكثرة جنده.

تذكّرنا قصيدة ابن الدهان هذه في اعتذاره عن نور الدين ومدحه بعينية المتنبي التي اعتذر بها عن سيف الدولة في الوقعة التي نُكب فيها المسلمون بالقرب من الحدث[١]، ومطلعها[٢]:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وكذلك تحدَّث الشعر أيضًا عن صلحه مع أعدائه، عندما كان يلجأ إليه لمصلحة المسلمين، مثلما فعل مع رجالات دمشق عام (٥٤٥هـ)، وصوَّر ذلك القيسراني خير تصوير، إذ شبهه بالسيف حدًا وصفحًا، وبأنه قد أسكر الرماح بدماء الأعداء كثيرًا، فحُقَّ لها أن تصحو منها قليلاً، قال[٣]:

لك الله، إن حاربت فالنصر والفتح وإن شئت صلحًا عُدّ من حزمك الصلحُ

وذكر الشعر أيضًا لنور الدين جهادًا من نوع خاص، يعرفه التصوف الذي كان آنذاك منتشرًا بكثرة، وهو جهاد النفس الذي يُعد أصعب أنواع الجهاد، حتى وُصف بالجهاد الأكبر، وهو مقدمة لابد منها لجهاد العدو، وهو الجهاد الأصغر، ونجد ذلك في قول القيسراني الذي وصفه بأنه ذو الجهادين، ورسم له صورة الكمال الجامع للعدل وسلوك المحجة البيضاء وحسن السيرة والجود والصلاح والشجاعة والولاية والسمو والطهر وحسن الخلق، والرأفة مع الشهامة، والعفاف مع الاقتدار، والسطوة مع الحياء، والجمال مع الجلال، والكمال مع البهاء[٤]:

---

(1) قلعة حصينة على جبل الأحيدب بين ملطية وسُمَيساط. (معجم البلدان ٧٢٧/٢).

(2) ديوان المتنبي (٢٢١/٢).

(3) الروضتين (١/ ١٨٠).

(4) الروضتين (٤٥/١ –٤٦).

ذو الجهادين من عدو ونفس فَهْو طول الحياة في هيجاءِ
أيها الملك الذي ألزم النا س سلوك المحجة البيضاءِ

كما وصف أيضًا ابن قسيم الحموي المسلم بن خضر (..-٥٤١هـ/... - ١١٤٦م) شجاعته ولينه، وسطوته وسكونه، وصفاء جهاده وسمو إيمانه، وملكه للناس ووفاءه، وشرفه وظفره وتأييد الله له، وإعزازه للدين وإهانته للشرك، فقال [١]:

تبدو الشجاعةُ من طلاقة وجهه كالرمح دلَّ على القساوة لينُهُ
ووراء يقظته أناةُ مجرِّب لله سطوة بأسه وسكونه
هذا الذي في الله صَحَّ جهادُهُ هذا الذي بالله صح يقينه

وتحدَّث القيسراني عن زهده وعفَّته، فقال[٢]:

ثنى يده عن الدنيا عفافا ومال بها عن الأموال زهدُ

وحاول العماد الكاتب أن يحيط بشمائله وفضائله أيضًا، فرسم له صورة كاملة، بدأها بالدعاء له أن يدرك ما يشتهيه، وينال كل أمانيه سالِمًا مكرّمًا، يطوف في فلك الهدى متفوقًا على العالمين، وتحدَّث عن عدله الذي جعل الأُسود ترعى مع المها، فلا تعتدي عليها، وعن أيامه الحميدة وملكه وكرمه وهداه وشجاعته وصواب آرائه وحصافته وحصانته وطهره وعبادته وتصوفه، وإخلاصه لله، كما فضَّله على جميع الملوك بجده وزهده وحبه للخير وحسن سياسته للرعية والتزام أوامر الله ونواهيه فيهم، وبرحمة صغيرهم، والرأفة لكبيرهم،

(1) خريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/ ٤٧٤- ٤٧٥).
(2) الروضتين (١/ ٨٤).

فلم ييئس منهم فيه أحد، ولم يحرم سائلاً منهم، فأتعب نفسه في الدنيا، حتى ينال راحة آخرته، وبذلك فاق الملوك سماحة وحماسة ونزاهة عن العيوب وحلمًا. إنها صورة شعرية مثالية، لولا أن المؤرخين صدقوها، لقلنا: إنها خيال شاعر، قال العماد[١]:

أدركتَ من أمر الزمان المشتَهى وبلغت من نيل الأماني المنتهى
وبقيت في كنف السلامة آمنًا متكرّمًا بالطبع لا متكرّهًا
لازلت نور الدين في فلك الهدى ذا عزة للعاملين بها البها

وأما سيرة نور الدين، فهي سيرة عطرة، أحيت ذِكر العُمَرَيْنِ عدلاً وشهامة وإخلاصًا وجودًا وذكرًا، قال القيسراني[٢]:

يا سائلي عن نهج سيرته هل غير مفرق هامه الفجر
يا نورَ دينِ الله وابنَ عمادهِ والكوثَرَ ابنَ الكوثرِ ابنِ الكوثرِ

سار نور الدين حتى وصل إلى ما وصل إليه سموًا، وكمالاً على خُطا والده الذي استطاع أن يحقق أول نصر حقيقي على الفرنج، بعدما طردهم من الرها، وقضى على إمارتهم فيها. لذلك ذكره الشعراء كثيرًا في أثناء مدحهم لنور الدين وألحوا في ذلك، مثل ابن منير[٣] :

وهذه العظمة والانتصارات ذكّرت ابن منير بعظماء خلفاء المسلمين فقال[٤]:

وَعلى العواصمِ من دفاعك عاصم ينشي الرشيد وينشر المنصورا[١]

(1) الروضتين (١/ ٣٨١– ٣٨٢)، وانظر خريدة القصر، قسم بداية شعراء الشام (٤٥).
(2) الروضتين (٤٦/١).
(3) الروضتين (١٩٦/١).
(4) الروضتين (١٢٧/١).

وجعلت القيسراني يتفاءل باسترجاع القدس، لأنه عدّها إرهاصات لذلك، قال[٢]:

فإن يكُ فتحُ الرُّها لجة فساحلها القدس والساحل

كما دعا له ابن منير بطول البقاء، حتى يتم استرجاع القدس قائلاً[٣]:

أبقاك للدنيا وللدين معًا خلاّك في ليلهما نيّرا
حتى نرى عيسى من القدس قد لجا إلى سيفك مستنصرًا

وصوّر القيسراني محبة الناس الصادقة له، وكيف يفدونه بآبائهم وأمهاتهم في قوله[٤]:

ولعمري لو استطاعَ فَداك الـ ـقوم بالأمهات والآباء

كل ذلك جعل نور الدين منبع وحي للشعراء تفيض منه معانيهم، وتتفاءل به أشعارهم، قال القيسراني[٥]:

هذا الذي وُلدت له الأفكار وتمخضت فألاً به الأشعار
وجرت له خيل النهى في حلبة وردت وصفو ضميرها المضمار
وأتت به نذر القوافي برهة إن القوافي وحيها إنذار

وكان نور الدين بهذه الخلال الملائكية أسوة حسنة لجنده، تشبهوا به، كما

(1) هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور من أشهر الخلفاء العباسيين وأعظمهم (فوات الوفيات ٤/ ٢٢٥، ٢/٢١٦).

(2) الروضتين (١/ ١٢٧).

(3) المصدر نفسه (١/ ١٤٨-١٤٩).

(4) المصدر نفسه (١/٤٦).

(5) المصدر نفسه (١/١٧٤).

قال القيسراني[١]:

ملك أشبه الملائك فضلاً وشبيهٌ بمالك الأمرِ جُندُهْ

وقد عُني بهم عناية كبيرة، فبلغوا الغاية إيمانًا وكثرة وقوة وعدة، إذا ساروا ملأ الغبار السماء، فتختفي كواكبها، لتظهر كواكب أخرى من سيوف الجند وأسنة رماحه، قال القيسراني[٢]:

في عسكر يخفي كواكبَ ليله نقعًا، فيطلعها القنا الخطارُ

جرار أذيال العجاج وراءه وأمامه، بل جحفل جرارُ

أما الشعب فقد سرى زهد نور الدين إليه، فغدا زاهدًا، لا يفعل إلا الخير، قال أسامة بن منقذ[٣]:

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا له فكلٌّ على الخيرات منكمشُ

كما رضي الناس عن عيشهم الحميد وحمدوه، قال القيسراني[٤] :

وكيف لا نثني على عيشنا الـ محمود والسلطان محمودُ

كان لنور الدين ومناقبه الجليلة الكثيرة فضل كبير على جميع المدن والبلاد، ولكن فضلها على حلب عاصمته الأولى أعظم وأكبر، حتى غدت وكأنها البيت الحرام حرمة، قال ابن منير[٥]:

ما حلبُ البيضاءُ مذْ صُنْتَها إلا حرامٌ مثلُ أم القرى

---

(1) الروضتين (١/٤٨).

(2) المصدر نفسه (١/١٧٤– ١٧٥).

(3) النجوم الزاهرة (٦/١٠٧)، وخريدة القصر، قسم شعراء الشام (١/ ٥١٦).

(4) النجوم الزاهرة (٥/٢٨١).

(5) الروضتين (١/ ١٤٨).

شيَّدْتَ في معمور أرجائها لكل باغي عمرةٍ مشعرا
فأصبح الشادي إذا ثوَّب الـ ـداعي له هلل أو كبّرا

رصد الشعر أيضًا علاقات نور الدين مع الخلافة العباسية في بغداد التي كان يستظل بها، ويدافع عنها بإخلاص وشجاعة واستماتة، وهذا ما جعل الخليفة العباسي المستضيء بالله راضيًا عنه، يرسل إليه الهدايا والخُلَع شُكرًا لانتصاراته على الفرنجة وتوحيده للبلاد، وقد هنأه على واحدة من تلك الهدايا ابن منير بقصيدة طويلة، منها[1] :

وبرزتَ في لُبْس الخلافة كالهلا ل جلاه في حُلَلِ الدجى التهليلُ

كما طلب نور الدين من العماد أن ينظم قصيدة على لسانه، ليرسلها إلى الخليفة العباسي في بغداد عام ٥٦٩هـ، فضلاً عن رسائله النثرية المتكررة إليه، ليبشره فيها بما حققه من انتصارات للخلافة العباسية، ومن هذه القصيدة أبيات تؤكد ولاءه للخليفة وتبعيته له، وهي[2]:

قد نال عبدك محمود بها ظفرًا مازال يرقبه من قبل مرتبصا
من خوف سطوته أن العدو إذا أمَّ الثغور على أعقابه نكصا

كما ذكر العماد أيضًا في قصيدة أخرى له مرسلة إلى بغداد عودة مصر إلى الخلافة العباسية، ووصف ذلك بأنه فتحٌ بكر مميز، خصّ الله به نور الدين، ومدح الخليفة بأنه نائب الرسول وإمام العصر، لا ينازعه في ذلك منازع، ومدح نور الدين الذي استنار الملك به[3]:

(1) الروضتين (١/ ٢١١- ٢١٢).
(2) المصدر نفسه (٢/ ٥٥٦).
(3) النجوم الزاهرة (٥/ ٣٥٦).

قد خطبنا للمستضيء بمصر نائب المصطفى إمام العصرِ
هو فتحٌ بِكرٌ ودون البرايا خصَّنا الله بافتراع البِكر
واستنارت عزائم الملك العا دل نور الدين الهمام الأغر

ومن البديهي أيضًا أن يكون للشعر دوره أيضًا في علاقة نور الدين مع الفاطميين، فهذا الوزير الفاطمي طلائع بن رزيّك (٤٩٥-٥٥٦هـ/١١٠٢-١١٦١م)، يرسل مجموعة من القصائد بوساطة صديقه أسامة بن منقذ (٤٨٨-٥٨٤هـ/ ١٠٥٩-١١٨٨م)، إلى نور الدين، ليسير إيجاد نوع من التحالف بين مصر الفاطمية والشام العباسية على الفرنج. لذلك نستطيع أن نعدَّ هذه القصائد وأمثالها وثائق تاريخية إضافةً إلى قيمتها الأدبية، ومنها قصيدة ميمية[١] طويلة، استحث فيها ابن رزيك نور الدين على متابعة جهاد الفرنجة، أولها[٢]:

ألا هكذا في الله تمضي العزائمُ وتُنضى لدى الحرب السيوف الصوارمُ
تجهز إلى أرض العدو ولا تهن وتظهر فتورًا إن مضت منك حارم

ومن رسائل ابن رزيك إلى أسامة بن منقذ هذه الأبيات التي تعدِّد بعض مناقب نور الدين[٣]:

والمم بنور الدين واعـ ـلمه بها تيك القضيهْ

(1) تذكرنا بميمية المتنبي، ومطلعها:
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
(2) الروضتين (١/ ٢٨٩).
(3) الروضتين (١/٢٩١).

فهو الذي مازال تُخ لَص منه أفعالٌ ونيّه
ويبيد جمع الكفر بال بيض الرقاق المشرفيه
فعساه ينهض نهضة يفني بها تلك البقيه

وأجاب أسامة بن منقذ على رسائل ابن رزيك الشعرية بمثيلاتها، أشاد فيها بنور الدين وبسجاياه، ونصحه فيها بالتحالف معه لأنه حامي بلاد الشام من الفرنجة، قال[١]:

واشدد يديك بود نو ر الدين والق به الرجالا
فهو المحامي عن بلا د الشام جمعًا أن تذالا[٢]
ومبيد أملاك الفرنـ ـج وجمعهم حالاً فحالا
ملك يتيه الدهر والدنـ ـيا بدولته اختيالا
جمع الخلال الصالحا ت فلم يدع منها خلالا

لم يترك الشعر نور الدين في حياته الخاصة، كما لازمه في حياته الرسمية العامة، فنجده يهنئه في كل المناسبات السعيدة، مثل شفائه من مرض ألمَّ به عام (٥٥٢هـ)[٣]. وولادة ابن له[٤]، وختانه في العيد[٥]، وشهر رمضان[٦].

(1) الروضتين (١/٢٩٤).
(2) تُذال: تُهان.
(3) تاريخ دمشق (٥٣٥).
(4) الروضتين (١/٢٢١).
(5) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٦٥– ٦٦).
(6) الروضتين (١/١٤٧–١٤٨).

ومن الطبيعي أيضًا أن يشارك الشعر في المناسبات الحزينة، فنجده يعزي نور الدين في وفاة أخيه الأكبر سيف الدين غازي صاحب الموصل عام (٥٤٤هـ)، ويعدد سجايا الفقيد، ويمدحه، ويفدّيه، ويدعو له بالبقاء، ويمدحه، ويمدح أسرته جميعها، قال ابن منير[١]:

بقيت معزىً من الهالكين تُوقّى الردى وتوفّى الأجورا
ولو أنصف الدهر موتاكم لخطَّ لهم في السماء قبورا

وهكذا اغتنم الشعر جميع المناسبات السعيدة والحزينة، الرسمية والخاصة، ليعبر عن وجوده ودوره في الحياة آنذاك، وهو دور حيوي وضروري جدًا .

كان نور الدين محمود حاضرًا وبقوة ووضوح في الشعر الذي توجَّه إليه مباشرة، كما كان أيضًا حاضرًا وبوضوح في قصائد بعض الشعراء التي توجهوا بها إلى غيره، مثل القصائد المتبادلة بين ابن رزيك وأسامة بن منقذ، كما مرّ بنا من قبل. وكان نور الدين أيضًا يفيد من الشعر ومزاياه، فيطلب من بعض شعرائه أن ينظم له بعض رسائله شعرًا، مثل القصيدة التي نظمها العماد الكاتب على لسانه، وأرسلها إلى الخليفة العباسي، كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل .

وكذلك كان نور الدين أيضًا يجلس للشعراء لينشدوه قصائدهم[٢]، ويطلب منهم أحيانًا أن يصفوا بعض حروبه، مثل قوله للعماد الكاتب: كيف تصف ما جرى، أي بينه وبين الفرنج عام ٥٦٨هـ، وكان العماد معه على الخيل،

(1) الروضتين (١/١٦٩).
(2) المصدر نفسه (١/ ١٥٢).

الخيل، فقال العماد قصيدة طويلة، منها [١]:

عُقدتْ بنصرك رايةُ الإيمان وبدتْ لعصرك آيةُ الإحسانِ
يا غالب الغلْب الملوك وصائد الـ ـصيد الليوث، وفارس الفرسان
كم وقعةٍ لك في الفرنج حديثُها قد سار في الآفاق والبلدان
وهزمتهم بالرأي قبل لقائهم والرأي قبل شجاعة الشجعان[٢]

وفضلاً عما تقدم استنشد نور الدين الشعراء أشعارهم أحيانًا في الحماسة وغيرها من موضوعات الشعر[٣]، وهذا على فهمه للشعر وتذوقه له واستحسانه لجميله وإدراكه لدوره في النفوس آنذاك .

ولم يقف الأمر بين نور الدين والشعر عند هذا الحد، وإنما تجاوزه عندما طلب من العماد الكاتب أن ينظم له وعلى لسانه أبياتًا في الجهاد ليتغنى ويتقوى بها، هو وجنده، ولتثير فيهم الحماسة والهمة. قال العماد: وسألني نور الدين أن أعمل (دوبيتيات) في معنى الجهاد على لسانه فقلت[٤]:

أقسمت سوى الجهاد مالي أرب والراحة في سواه عندي تعب
إلا بالجد لا ينال الطلب والعيش بلا جدٍّ جهادٍ لعب

وقلت أيضًا[٥] :

لا راحة في العيش سوى أن أغزو سيفي طربًا إلى الطلى[١] يهتزُّ

(1) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٥٤) وما بعدها.
(2) صدر بيت للمتنبي، عجزه: هو أول وهي المحل الثاني (ديوان المتنبي ٤/ ١٧٤).
(3) الروضتين (٢/ ٥٤٣).
(4) خريدة القصر، بداية قسم شعراء الشام (٤٢).
(5) المصدر السابق (٤٢– ٤٣).

في ذُلِّ ذوي الكفر يكون العزُّ والقدرة في غير جهاد عجزُ

وأخيرًا كان الشعر مع نور الدين في موته عام (٥٦٩هـ(بدمشق، كما كان معه في حيواته التي امتدت ثمانية وخمسين عامًا، قضاها في جهاد الفرنجة وتحرير البلاد من استعمارهم وتوحيدها، فبكاه الشعر بصدق، كما بكته قلوب الناس وعيونهم بصدق أيضًا، ومن الشعراء الذين رثوه العماد الكاتب. ومما قاله في ذلك[٢].

عجبت من الموت لما أتى إلى ملك في سجايا مَلَكْ
وكيف ثوى الفلك المستدي ـر في الأرض والأرض وسْط الفلك

واللافت للنظر أن الشعر الذي قيل في رثائه لا يتناسب مع جلال الحدث، ولا يمكن أن يُقارن بالشعر الذي قيل في أثناء حياته مدحًا وتهنئة وحماسة وغير ذلك، من حيث الجودة والكثرة، والمضمون والشكل. ونستطيع أن نعلِّل ضعفه وقلته إلى أمور عدة، لعل أهمها حالة البلبلة التي سببتها وفاته، وعدم وجود وريث قوي كبير، يَحِلُّ محله، ويملأ الفراغ الذي خلّفه رحيله إلى جوار ربه، ويَتَصَدَّر مجلس العزاء ليسمع المراثي، وذلك لأن الشاعر بحاجة ماسة إلى المستمع الجيد حتى يقول الشعر الجيد بعامة. ومع ذلك يبقى هذا تعليلاً لا تبريرًا.

إن ما تقدم من شعر في نور الدين محمود، يدل على حفاوة شديدة منه بالشعر، لإدراكه قيمة الشعر آنذاك ودوره الإعلامي الهام في الصديق قبل العدو ذلك العصر، وهذه الحفاوة جعلته حاضرًا فيه هذا الحضور المتميز على

(1) الطّلى: ج طلاة: العنق أو صفحته.

(2) البداية والنهاية (١٢/ ٣٠٤).

الرغم مما وصف به من قلة ابتهاجه بالمدح، كما مرّ من قبل. ولقد قال هذا الشعر أكبر شعراء عصره .

واستطاع هؤلاء الشعراء أن يسايروا بأشعارهم أحداث العصر بدقة وأمانة على كثرتها وتتابعها، وبذلك اتسمت إلى جانب قيمتها الأدبية بالواقعية، وصارت وثيقة تاريخية، زادت كتابات المؤرخين غنى وثراء، كما استطاعوا أن يقوموا بواجبهم خير قيام، لأنهم جعلوا شعرهم ملتزمًا قضايا الأمة المصيرية معبِّرًا عن آلامها وآمالها، يؤدي دوره الإعلامي في التحريض وإثارة الروح المعنوية والتذكير بأعلام التاريخ العربي العظام وربط الناس بهم، وفي الحث على الجهاد والسير الحثيث لتوحيد البلاد وحشد طاقاتها لطرد الفرنجة منها، ومن القدس والأقصى اللذين كانا دائمًا حاضرين في قلب نور الدين وجنده وشعبه، يذكرهم بها المنبر الذي أمر نور الدين أكبر النجارين في زمنه (الأختيريني) بصنعه، لينقله إلى المسجد الأقصى عند تحريره. وتميَّز الشعر أيضًا بالعاطفة الصادقة الوهاجة التي كان لها تأثيرها في ساح الجهاد، ونشير هنا إلى أناشيد الجهاد التي طلب نور الدين من العماد أن ينظمها على لسانه – كما مر من قبل – وكانت ظاهرة جديدة في الأدب العربي لها دلالاتها. لذلك كان أسلوب الشعر يميل حينًا إلى اللهجة الخطابية الجزلة، وحينًا إلى السهولة والبساطة، كما استحضر في كثير من الأحيان معاني كبار شعراء العربية مثل أبي تمام والمتنبي وصورَهم وتراكيبَهم.

استطاع هذا الشعر أن يرسم صورة واضحة مشرقة لنور الدين، لتكون مثالاً يحتذى لما ينبغي أن يكون عليه القائد والحاكم، ولاشك في أن صلاح الدين الأيوبي نجح في الإفادة منه والوصول إليه، وأن يكمل البناء الذي بدأه سلفه

نور الدين.

ومع ذلك كله هل استطاع هذا الشعر أن يؤدي حق نور الدين الكامل كما أدَّاه في سيف الدولة ؟ إنه لم يستطع، وأنّى له أن يسمو إلى القمة التي وصل إليها نور الدين. ويكفينا حتى ندرك سمو تلك القمة التي وصل إليها أن نذكر ما فعله قبيل انتصاره في معركة حارم، إنه ترجَّل من على حصانه، وسجد لله ومرَّغ وجهه بالتراب، وتضرع داعيًا: اللهم انصر دينك، ولا تنصر محمودًا، من هو الكلب محمود حتى تنصره[1] ، يقصد نفسه. إنه كان بحاجة إلى شاعر عملاق، مثل أبي تمام أو البحتري أو المتنبي ليوفِّيه حقه. ولكن يكفي هذا الشعر الذي قيل فيه شرفًا وفخرًا أنه حاول ذلك، وبذل جهده كله، ونجح في كثير من الأحيان أن يقترب من قمة عصره الأدبية وقيمه الفنية كما نجح سلفه من الوصول إلى قمة عصره الفنية السامية، وإن كان ثَمَّةَ فرق بين القمتين.

(1) أعلام النبلاء (٢/ ٤٣).

المصادر والمراجع

١- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، دار القلم العربي، حلب ١٩٨٨م.

٢- البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

٣- تاريخ دمشق، ابن القلانسي، أبو يعلى، ت. سهيل زكار، دار حسان، دمشق ١٩٨٣م.

٤- خريدة القصر وجريدة العصر، عماد الدين الأصفهاني الكاتب، قسم شعراء الشام، ت: شكري فيصل، مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٥٥- ١٩٥٩- ١٩٦٨، قسم شعراء مصر، ت: أمين وضيف وعباس، لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٥١م.

٥- ديوان المتنبي، شرح العكبري، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ .

٦- الروضتين في أخبار الدولتين ، أبو شامة، ت: محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦- ١٩٦٢م.

٧- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم، ت: سهيل زكار، دمشق، دار الكاتب العربي ١٩٩٧م.

٨- سيرة صلاح الدين، ابن شداد، القاهرة، شركة طبع الكتب العربية ١٣١٧هـ.

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٣م.

١٠- هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م.

١١- وفيات الأعيان، ابن خلكان، ت. إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٧٧م.

أبنية المصادر بين الوضع والاستعمال

أ. **محمود الحسن**

في هذا المقال سيظهر أن أبنية المصادر قد وُضِعت في الأصل للدلالة على الحدث مجرَّدًا من الزمن. ولكنها قد تتجاوز دلالتها الوضعية المعروفة،عند استعمالها في التراكيب، إذ تُستعمل حينًا بمعنى المشتقات، وطورًا بمعنى أسماء الذوات، كما يمكن أن تتضمن معاني فرعية كالتأنيث والتثنية والجمع، مع أن حقّها أن تكون مفردة، دالّة على تَذكِير جنس الحدث الذي تَتَضَمّنه، أو مؤنثة تأنيثًا لفظيًّا غير حقيقي.

ولتوضيح جوانب هذه المسألة لا بدَّ من الحديث أولاً عن أنواع المصادر، ومعانيها الوضعية، دون الخوض في طرق صياغتها، لأنها مبسوطة في كتب الصرف، ثم الانتقال بعد ذلك إلى الحديث عن المعاني الصرفية، التي تدلُّ عليها المصادر، عندما تُستَعمَل في النصوص.

أبنية المصادر ومعانيها الوضعية:

المصدر: اسم موضوع في الأصل للدلالة على الحدث، من غير نظر إلى ما يحتاجه الحدث عادة من زمان ومكان، ومتعلقات أخرى. فهو اسم يدل على ماهية الحدث ويُدرَك بالذهن[1]. نحو العَدل والإحسان والإيتاء والقُربى، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يأمُرُ بِالعَدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القُربَى﴾[2]، ونحو الشِّرك والسِّحر والقَتل والأكل والزَّحف والتَّولِّي والقَذف في الحديث الشريف: «اجتَنِبُوا

(1) كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب (٢: ١٩٢– ١٩٤).

(2) الآية ٩٠ من سورة النحل.

السَّبعَ الموبِقاتِ». قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، ما هُنَّ؟ قالَ: «الشِّركُ بِاللهِ، والسِّحرُ، وقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، إلا بِالحَقِّ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحفِ، وقَذفُ المحصَناتِ المؤمِناتِ الغافِلاتِ»[1].

وللمصدر أنواع، هي المصدر الأصلي، ومصدر التَّوكيد، ومصدر المرَّة، ومصدر النَّوع، والمصدر الميمي، والمصدر الصِّناعي.

المصدر الأصلي:

هو اسم يدلُّ على الحدث، مجردًا من الزّمن والتّوكيد والعدد والنوع، وليس مبدوءًا بميم زائدة عدا المفاعَلة، ولا مختومًا بياء مشدَّدة بعدها تاء زائدة[2] نحو المُلك والتّأوِيل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَد آتَيتَنِي مِنَ المُلكِ، وعَلَّمتَنِي مِن تأوِيلِ الأحادِيثِ ﴾[3].

مصدر التَّوكِيد والمَرّة والنَّوع:

من المصادر أيضًا مصدر التوكيد، وهو: مصدر يُذكَر لتوكيد فِعله الملفُوظ أو المقدَّر[4]. نحو: تَكلِيم في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكلِيمًا ﴾[5].

وأبنية هذا المصدر هي أبنية المصدر الأصلي نفسها. وإنما يأتي هذا في

(1) صحيح البخاري ص (١٠١٧) تحت الرقم ٢٦١٥ ، وفتح الباري (١٢: ٢٢٤).

(2) تصريف الأسماء والأفعال للدكتور فخر الدين قباوة ص (١٣٢). والمصادر القديمة لم تُسَمِّه مصدرًا أصليًّا. وإنما اكتفى أصحابها بإطلاق كلمة «**المصدر**» دون تقييد للدلالة عليه. الكتاب لسيبويه (٤: ٥) وأدب الكاتب لابن قتيبة ص(٦٢٣) وشرح شافية ابن الحاجب للأستراباذي (١: ١٥١).

(3) الآية ١٠١ من سورة يوسف.

(4) شرح الكافية الشافية لابن مالك ص(٦٥٦) وتصريف الأسماء والأفعال ص (١٤٢).

(5) الآية ١٦٤ من سورة النساء.

النصوص فَضلة، ويُفيد التَّوكيد، و((لا يُقصَد به الجنس))[١].

ومصدر **المرّة**: اسم مصوغ من المصدر الأصلي، للدلالة على عدد حدوث الفعل[٢] نحو قوله تعالى: ﴿فاجلِدُوهُم ثَمانِينَ جَلدةً﴾[٣] ونحو نَظرة، في قول عنترة: [٤]

عَسَى نَظرةٌ، مِنكِ، تَحيا بِها حُشاشةُ مَيتِ الجَفا، والبِعادِ

ومصدر **النَّوع** هو: اسم مصوغ من المصدر الأصلي للدلالة على صفة الحدث عند وقوعه[٥]. نحو: ((سِيرة)) في قوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُها سِيرتَها الأُولَى﴾[٦]، ونحو: ((مِيتة)) في الحديث الشريف: ((مَن خَرَجَ مِنَ الطَّاعةِ، وفارَقَ الجَماعةَ فماتَ، ماتَ مِيتةً جاهِلِيّةً))[٧]، ويتميز مصدر النوع، إضافةً إلى دلالته على التوكيد، بدلالته على هيئة الحدث. ولكن هذه الدلالة تبقى مبهمة غير معيَّنة ما لم يوصف هذا المصدر،كما سبق، أو يُضَفْ كما في قول عنترة[٨]:

(1) الكليات للكفوي ص (٨١٧).

(2) الكتاب ٤: ٤٥.

(3) الآية ٤ من سورة النور.

(4) شرح ديوانه ص (٥٣). والحُشاشة: بقية الروح. والجَفا: القَطِيعة.

(5) الكتاب ٤: ٤٤ ، وأوضح المسالك لابن هشام (٢: ٢٦٥).

(6) الآية ٢١ من سورة طه.

(7) صحيح مسلم ص (١٤٧٧) تحت الرقم ١٨٤٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ص (١٩٤٨).

(8) شرح ديوانه ص (٦٥).

فسَطا عَلَيَّ الدَّهرُ سِطوةَ غادِرٍ، والدَّهرُ يَبخَلُ تارةً، ويَجُودُ

أو يُضَفْ إليه كقولنا: فُلانٌ حَسَنُ الصُّحبةِ، أو يُؤتَ بفعل يُفيد في تحديد الهيئة نحو قولنا: أحسِنِ الجِلسةَ عِندَ العُلَماءِ.

ويُلاحَظ أنه يكثر استعمال المصدر الأصلي للثلاثي المجرد، مُضافًا أو مَوصُوفًا، للدلالة على النوع، كما في قوله تعالى: ﴿فأخَذْناهُم أخْذَ عَزِيزٍ مُقتَدِرٍ﴾(١)، وقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿فأخَذْناهُ أخْذًا وَبِيلاً﴾(٢) أي: شَدِيدًا.

المصدر المِيمِي والصِّناعِي:

ومن المصادر **المصدر الميمي**، وهو: اسم يدل على الحدث، وأوله ميم زائدة، وليس من باب «المفاعَلة»(٣). نحو: مُدخَل ومُخرَج، في قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وقُلْ: رَبِّ أدخِلنِي مُدخَلَ صِدقٍ، وأخرِجنِي مُخرَجَ صِدقٍ﴾(٤). وهو كالمصدر الأصلي في معناه واستعماله، غير أنه أقل استعمالاً منه في النصوص. وهو فيما فوق الثلاثي المجرد أقل منه في الثلاثي المجرد(٥). نحو قول جرير(٦):

أَلَمْ تَعلَمْ مُسَرَّحِيَ القَوافِي؟ فلا عِيًّا بِهِنَّ، ولا اجتلابا

أي: تَسرِيحِي.

والمصدر الصناعي هو: اسم مصنوع من اسم آخر، بزيادة ياء مشدَّدة

(1) الآية ٤٢ من سورة القمر.

(2) الآية ١٦ من سورة المزمل.

(3) شرح شذور الذهب لابن هشام ص (٤١٠).

(4) الآية ٨٠ من سورة الإسراء.

(5) الخصائص لابن جني (١: ٣٦٦).

(6) ديوان جرير صنعة ابن حبيب ص (٦٥١).

بعدها تاء في آخره، للدلالة على الحَدَث[١]. نحو: أُلُوهِيّة وفُرُوسِيّة وعَبقَرِيّة وحُرِّيّة ومَسؤُولِيّة وقَبْلِيّة وبَعْدِيّة.

تلك هي أبنية المصادر ومعانيها، بحسب مراد واضع اللغة. وأنتقل الآن إلى الحديث عن أبنية المصادر التي استُعملت في التراكيب دالّةً على غير معانيها الوضعية.

دلالة المصادر على غير معانيها الوضعية:

مر فيما سبق أن أبنية المصادر قد وضعت في الأصل، للدلالة على الحدث مجرَّدًا من الزمن. وسيظهر في هذه الصفحات أن أبنية المصادر قد استُعملت في التراكيب، للدلالة على معاني المشتقات، وأسماء الذوات، إضافةً إلى استعمالات أخرى.

استعمال المصادر بمعنى المشتقات:

يكثر في اللغة العربية مَجِيء المصادر بمعنى المشتقات ، في أسلوب خاصّ يُسمِّيه النُّحاة: الوصف بالمصدر[٢]، نحو قوله تعالى: ﴿فاضرِبْ لَهُم فِي البَحرِ

(1) شذا العَرف في فن الصرف للحملاوي ص (١٤٥). وهذا المصدر ورد قليلاً في كلام العرب نحو: جاهِلِيّة و عُنجُهِيّة ورَهبانِيّة، وكثر في كلام العلماء بعد القرن الثاني الهجري، فقالوا: خَشَبِيّة و ذَهَبِيّة و قابِلِيّة و كَيفِيّة و ماهِيّة. وهذه الصيغ لم تُعرف بالمصادر الصناعية إلا عند المتأخرين من العلماء، علمًا أن القدماء أدركوا معناها المصدري، وفسروها على أساسه. وقد رأى مجمع اللغة العربية بالقاهرة قياسيّة المصدر الصناعي. فقرر أنه: إذا أُريد صنع مصدر من كلمة يُزاد عليها ياء النسب والتاء. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد الأول ص(٣٥) لعام ١٩٣٤.

(2) الكتاب (٢: ١٢٠ و ٣: ٢٣٧) والكامل للمبرد ص (١٥٦) والخصائص لابن جني (٣: ١٨٩ و ٢٥٩).

طَرِيقًا يَبَسًا﴾[١] أي: يابِسًا. فاليَبَس: مصدر للفعل يَبِس يَيبَسُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل. وقال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلم: «مَن أحدَثَ فِي أمرِنا هذا ما لَيسَ فِيهِ فهُوَ رَدٌّ»[٢] أي: مَردُود. فرَدّ: مصدر استُعمل هنا بمعنى اسم المفعول، فعله رُدَّ يُرَدّ. وقال تعالى: ﴿تاللهِ تَفتأُ تَذكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أو تَكُونَ مِنَ الهالِكِينَ﴾[٣] أي: حَرِضًا. فالحَرَض: مصدر للفعل حَرِض يَحرَض، إذا هلَك، استُعمل هنا بمعنى الصفة المشبهة. والحالات السابقة يجمعها قول الكميت[٤]:

نَعاءِ جُذامًا، غَيرَ مَوتٍ، ولا قَتلِ ولكِنْ فِراقًا، لِلدَّعائِمِ، والأصلِ

أي: غَير مَيِّتِين ولا مَقتُولِين ولكن مُفارِقِين. فالموت: مصدر للفعل مات يَمُوت، استُعمل هنا وصفًا بمعنى الصّفة المشبّهة. والقَتل: مصدر بمعنى اسم المفعول، فعله قُتِل يُقتَل. والفِراق: مصدر للفعل فارَق يُفارِقُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل. وهذه المصادر المفردة دلت هنا على معاني المشتقات مقيَّدة بمعنى الجمع.

ولمجيء المصادر بمعنى المشتقات دلالة خاصة تتلخص بإرادة المبالغة. فقولنا:«رَجُل عَدْل» يتضَمَّن من المبالغة ما لايتضَمَّنه قولنا: «رَجُل عادِل». وذلك لأننا في العبارة الأولى نَصِفُه بجميع الجنس مبالغةً وتوكيدًا، فكأنه استولَى على جنس العَدْل، ومَلَك ناصِيتَه، وحاز درجاته، وخُلِق منه، وجُبِل من

(1) الآية ٧٧ من سورة طه والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ص (٨٩٨).

(2) صحيح البخاري ص (٩٥٩) تحت الرقم ٢٥٥٠ وفتح الباري لابن حجر (٥: ٣٧٠ و ٣٧٢).

(3) الآية ٨٥ من سورة يوسف والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦: ٣٠١).

(4) الكتاب (١: ٢٧٦). والبيت غير موجود في الديوان.

طِينته، ولم يترك لأحد نصيبًا منه. أما في العبارة الثانية فالمعنى أنه رَجُل يَعدِل، والعَدْل صِفة من صفاته. ولا يَخفَى ما بين المِعنَيَين من قوة الوصف والمبالغة[١].

ومن أمثلة مجيء المصدر، للتعبير عن اسم الفاعل، قوله تعالى: ﴿ قُلْ: مَن كانَ عَدُوًّا لجِبرِيلَ، فإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلبِكَ بِإذنِ اللهِ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ، وهُدًى وبُشرَى لِلمُؤمِنِينَ ﴾[٢] أي هادِيًا ومُبَشِّرًا، وقوله: ﴿وما كانَ لِمُؤمِنٍ أنْ يَقتُلَ مُؤمِنًا إلا خَطأً ﴾[٣] أي مُخطِئًا في قَتلِهِ مِن غَيرِ عَمْد. فالهُدَى: مصدر هدَى يَهدِي، عُبِّر به عن اسم الفاعل للمبالغة. والبُشرَى: مصدر للفعل بَشِر يَبشَر، استُعمل بمعنى اسم الفاعل: المبَشِّر المشتق من مصدر بَشَّر يُبَشِّر، والخَطأ: مصدر خَطِئَ يَخطأُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل: المخطِئ المشتق من مصدر أخطأ يُخطِئُ للمبالغة.

ومن مجيء المصدر بمعنى اسم الفاعل قولهﷺ: «مَن صامَ رَمَضانَ، إيمانًا واحتِسابًا، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ»[٤] أي مُؤمِنًا مُحتَسِبًا، وقوله: «لا تَكُونُوا عَونَ الشَّيطانِ عَلَى أخِيكُم»[٥] أي مُعِينِي الشَّيطان. فالإيمان: مصدر آمَنَ يُؤمِنُ. والاحتِساب: مصدر احتَسَبَ يَحتَسِب. والعَون: اسم مصدر للفعل أعانَ يُعِينُ. وهذه المصادر عُبِّر بكلّ منها عن اسم الفاعل للمبالغة.

(1) الخصائص (٢: ٢٠٢– ٢٠٣) و (٣: ٢٥٩– ٢٦٠).

(2) الآية ٩٧ من سورة البقرة والتبيان في إعراب القرآن ص (٩٧).

(3) الآية ٩٢ من سورة النساء والتبيان في إعراب القرآن ص (٣٨٠).

(4) صحيح البخاري ص (٢٢) تحت الرقم ٣٨ وفتح الباري لابن حجر (١: ١٢٥).

(5) صحيح البخاري ص (٢٤٨٩) وفتح الباري لابن حجر (١٢: ٩٢).

ومن دلالة المصدر على اسم الفاعل قول الخنساء[١]:

تَرتَعُ ما رَتَعَت، حَتَّى إذا ادَّكَرَت، فإنَّما هِيَ: إقبالٌ، وإدبار وإدبارُ

أي مُقبِلة ومُدبِرة، وقال الحارث بن حِلّزة[٢]:

فهَداهُم، بِالأسوَدَينِ، وأمرُ اللهِ بَلغٌ، يَشقَى بِهِ الأشقِياءُ

أي بالِغ ما يُرِيد. فالإقبال والإدبار: مصدران للفعلين أقبَلَ يُقبِلُ وأدبَرَ يُدبِرُ. والبَلْغ: مصدر بَلَغَ يَبلُغُ. وقد عُبِّر بكلّ منها عن اسم الفاعل للمبالغة.

ومن أمثلة مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول قوله تعالى: ﴿ فلَمّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[٣] أي مَدكُوكًا، وقوله تعالى: ﴿قالُوا: أتَتَّخِذُنا هُزُؤًا﴾[٤] أي مَهزُوءًا بِنا. فالدَّك: مصدر عُبِّر به عن اسم المفعول للمبالغة، فعله: دُكَّ يُدَكُّ. والهُزُؤ: مصدر عبُّر به عن اسم المفعول للمبالغة، فعله: هُزِئَ يُهزأُ.

ومن مجيء المصدر بمعنى اسم المفعول قوله ﷺ: «إنَّ الدِّينَ يُسرٌ»[٥] أي مُيَسَّر. ومنه حديث جابر: «نَهَى رَسُولُ اللهِ – ﷺ – أنْ يُقتَلَ شَيءٌ مِنَ الدَّوابِّ صَبرًا»[٦] أي مَصبُورًا: مَحبُوسًا مُوثَقًا حتَّى يَمُوتَ. فاليُسرُ: مصدر يَسُرَ يَيسُرُ، عُبِّر به عن اسم المفعول المشتق من مصدر يُسِّرَ يُيَسَّرُ.

(1) ديوانها ص (٥٣) والخصائص (٢: ٢٠٣).

(2) شرح المعلقات العشر ص (٣١٩). والأسوَدان: التمر والماء.

(3) الآية ١٤٣من سورة الأعراف والتبيان في إعراب القرآن ص(٥٩٤) والبحر المحيط (٥: ١٦٧).

(4) الآية ٦٧ من سورة البقرة والسبعة في القراءات لابن مجاهد ص (١٥٨) والبحر المحيط (١: ٤٠٤).

(5) صحيح البخاري ص (٢٣) تحت الرقم ٣٩ وفتح الباري (١: ١٢٦).

(6) صحيح مسلم ص (١٥٥٠) تحت الرقم ١٩٥٩.

والصَّبر: مصدر بمعنى اسم المفعول، فعله صُبِرَ يُصبَرُ، إذا حُبِس. والغرض من هذا الاستعمال المبالغة.

ومن دلالة المصدر على اسم المفعول قول الأعشى[١]:

ومَن لا تَضِيعُ لَهُ ذِمّةٌ فيَجعَلَها، بَعدَ عَينٍ، ضِمارا

أي مُضمَرة، وقول جرير: [٢]

جاءَ الخِلافةَ، أو كانَت لَهُ قَدَرًا كَما أتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ

أي مُقَدَّرة. فالضِّمار: اسم مصدر للفعل أُضمِرَ يُضمَرُ، عُبِّر به عن اسم المفعول للمبالغة. والقَدَر: مصدر قَدَرَ يَقدِرُ، بمعنى اسم المفعول المشتق من مصدر قُدِّرَ يُقَدَّرُ.

ومن أمثلة مجيء المصدر، للتعبير عن الصفة المشَبَّهة، قوله تعالى:﴿ومَن أعرَضَ، عَن ذِكرِي، فإنَّ لَهُ مَعِيشةً ضَنكًا﴾[٣]، أي ضَيِّقة، وقوله:﴿ولا تَمشِ فِي الأرضِ مَرَحًا﴾[٤] أي مَرِحًا، وقوله ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، والجَلِيسِ السَّوءِ، كَمَثَلِ صاحِبِ المِسكِ، وكِيرِ الحَدّادِ»[٥] أي الجَلِيس السَّيِّئ.

فالضَّنْك: مصدر ضَنُكَ يَضنُكُ. والمرَح: مصدر مَرِحَ يَمرَحُ. والسَّوء: مصدر ساءَ يَسُوءُ. وقد عُبِّر بكلّ منها عن الصفة المشبَّهة للمبالغة.

(1) ديوانه ص (١٧٩)، الكامل للمبرد ص (١٢٥١).

(2) ديوانه ص (٤١٦).

(3) الآية ١٢٤من سورة طه ومجاز القرآن لمعمر بن المثنى (٢: ٣٢) ولسان العرب لابن منظور (ضنك).

(4) الآية ٣٧ من سورة الإسراء والتبيان في إعراب القرآن ص (٨٢٢).

(5) صحيح البخاري ص (٧٤١) تحت الرقم ١٩٩٥.

مجيء المصادر بمعنى أسماء الذوات:

يُظهِر الاستقراء أن القليل من أسماء الذوات مُرتجَل لم يُعثَر له على أصول نُقِل منها، مثل تِين ومِسك، وأن الأغلب من تلك الأسماء يعود إلى أصول مصدرية أو اشتقاقية. وهذه الأصول بعضها ما يزال مستعملاً بحسب معناه الوضعي، كالبَحر الذي يُطلَق على الماء المعروف، كما يستعمل مصدرًا للفعل بَحَرَ يَبحَرُ بمعنى شَقَّ، وبعضها لم يعد يُستعمَل بحسب معناه الوضعي، كالغَرِيزة والطَّبِيعة، بمعنى الخُلُق المغرُوز في قلب الإنسان، والخُلُق الذي طُبِع عليه الإنسان، ذلك أن أصلهما مشتق على صيغة فَعِيل بمعنى مَفعُول[1]، لكنه انتقل للدلالة على اسم الذات، ولم يعد يُستعمَل على بابه الوصفي.

ومن أسماء الذوات ما ظهر في صيغة تخالف صيغة أصله، كالتِّمثال الذي هو اسم ذات منقول من مشتق على صيغة اسم المفعول: المِمَثَّل[2] من مصدر مُثِّلَ يُمَثَّلُ. وهناك بعض أسماء الذوات التي ضاعت أصولها، وخَفِيَت علينا أسباب التَّسمية، لبُعدها في الزمان عَنّا، كرفع عَقِيرَتَهُ: بمعنى صَوته، فلو حاولنا أن نجمع بين معنى الصَّوت والعَقِيرة لبَعُد، مع أن أصله أن رجلاً قُطِعَت إحدى رِجلَيه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صَرَخَ بأعلى صَوتِهِ، فقال الناس: رَفَعَ عَقِيرته[3]. ولا يبعُد أن يكون لامتداد الزَّمان، وخَفاء أسباب التَّسمية، دور كبير في الحكم على بعض أسماء الذوات بأنها مرتجلة.

وهذه الصفحات مخصصة لدراسة أسماء الذوات الدّالة على الجنس، والتي

(1) المقاييس في اللغة لابن فارس (طبع) و(غرز).

(2) الجامع لأحكام القرآن (١١: ٢٠٤) والبحر المحيط (٧: ٤٤٠).

(3) الخصائص (١: ٦٦).

نُقلت من أصول مصدرية ما تزال مستعمَلة على أبوابها. وشأن مثل هذه الأسماء أن بناء المصدر يُستعمَل بحسب معناه المصدري في سياق ما، ويُستعمل بمعنى اسم الذات في سياق آخر.

ومن أمثلة مجيء المصدر بمعنى اسم الذات قوله تعالى: ﴿أوكَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ ورَعدٌ وبَرقٌ﴾ (١) الرَّعد: الصَّوت المسمُوع عند نُزُول المطر، والبَرق: الضَّوء الذي يَلمَعُ في السَّحاب، وقوله تعالى: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾(٢) أي الفَرائِض والأحكام، وقوله:﴿أفتأتُونَ السِّحرَ وأنتُم تُبصِرُونَ﴾،(٣) المقصُود به: ما ظَهَر على يدَي النَّبي- ﷺ- من المعجِزات التي أعظمها القرآن، وفي الحديث: ((يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيرَ مالِ المسلِمِ غَنَمٌ، يَرعَى بِها شَعَفَ الجِبالِ، ومَواقِعَ القَطرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ))(٤) أي مَواقِع المطر، وفي الحديث أيضًا:((عُرِضَت عَلَيَّ الجَنَّةُ والنّارُ، فلَم أرَ كالخَيرِ والشَّرِّ))،(٥) أي: خَيرًا كالخَيرِ الذي رأيتُه، وشَرًّا كالشَّر الذِي رأيتُه.

فالرَّعد والبَرق: مصدران للفعلين رَعَدَ يَرعُدُ و بَرَقَ يَبرُقُ، عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الذات، لأنه دلّ على شيء يُدرَك بالحَواس. والدِّين: مصدر دان

(1) الآية ١٩ من سورة البقرة والجامع لأحكام القرآن (١: ٢٠٩– ٢١٠) والبحر المحيط (١: ١٣٦– ١٣٧).

(2) الآية ٣ من سورة المائدة، والكشاف للزمخشري (٢: ١٩٦).

(3) الآية ٣ من سورة الأنبياء والبحر المحيط (٧: ٤٠٨).

(4) صحيح البخاري ص(١٥) تحت الرقم ١٩ وفتح الباري (١: ٩٥). والشَّعَف: جمع شَعَفة. وهي من كل شيء أعلاه.

(5) صحيح البخاري ص (٢٠٠) تحت الرقم ٥١٥ وفتح الباري (٢: ٢٩).

يَدِينُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على مجموعة التعاليم والشعائر الدينية. والسِّحر: مصدر سَحَرَ يَسحَرُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لدلالته على المعجزات المحسوسة. والقَطر: مصدر قَطَرَ يَقطُرُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لدلالته على المطر. والخَير والشَّر: مصدران للفعلين خارَ يَخِيرُ وشَرَّ يَشُرُّ، عُبِّر بكل منهما عن اسم الذات، لدلالتهما على أشياء تُرى.والغاية من التعبير بالمصدر عن اسم الذات المبالغة.

ويغلب على المصادر، التي يُعبَّر بها عن أسماء الذوات، المرور بالمرحلة الوصفية، حيث يُوصف المصدر بمعنى أحد المشتقات الوصفية، ثم يطلق بعد ذلك على اسم الذات، كقوله تعالى: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيها زَكَرِيّا المِحرابَ وَجَدَ عِندَها رِزقًا﴾[1]. قال المفسرون: المقصُود بالرِّزق فاكِهة الشِّتاء في الصَّيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. والفاكهة اسم جنس يدلُّ على ذات تُدرَك بالحواس، أما الرِّزق فمصدر وهو اسم جنس معنوي. ولا يُمكن الجمع بين المعنوي والمحسوس، خصوصًا إذا كان بينهما بُعد في المادة اللغوية، إلا إذا حُمِل الرِّزق في هذا المثال على معنى اسم المفعول، فيقال: وجَد عندها شيئًا رُزِقت به. فهو إذًا مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

إن هذا التفسير لا ينطبق على الأمثلة التي أوردتُها قَبله. وذلك لأن الرَّعد والبَرق لو حملا على معنى اسم الفاعل: الرّاعِد والبارِق[2] لأصبح المعنى: شَيء

(1) الآية ٣٧ من سورة آل عمران والتبيان في إعراب القرآن ص (٨٠٢) والجامع لأحكام القرآن (٤: ٦٧).

(2) أخذ العكبري بهذا التفسير. ينظر التبيان في إعراب القرآن ص (٣٦).

يَرعُد وشَيء يَبرُق. وهذا الشيء لا ينطبق على الصَّوت الهائل المِسمُوع، والضَّوء الشَّديد المرئيّ، بل ينطبق على السَّحاب لأنه هو الذي يَرعُد ويَبرُق. وليس هو المقصود في الآية. ومثل ذلك يُقال في بقية الأمثلة.

ومن مجيء المصدر، بمعنى اسم الفاعل، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿ أو أجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى ﴾[1] أي شَخصًا هادِيًا، وقوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ، أكّالُونَ لِلسُّحتِ﴾[2] أي: المال الحرام الذي يَسحَت البرَكة بمعنى يُهلِكُها، وقول النبي ﷺ:((مَن تَرَكَ دَينًا، أو ضَياعًا، فليأتِنِي))[3] أي: يَتامَى ضائِعِين، وقول امرئ القيس: [4]

ولَيلٍ،كَمَوجِ البَحرِ، أرخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ، بِأنواعِ الهُمُومِ، لِيَبتَلِي

وقول طرفة[5]:

نَدامايَ بِيضٌ، كالنُّجُومِ، وقَينةٌ تَرُوحُ عَلَينا بَينَ بُردٍ، ومَجسَدِ

فالهُدَى: مصدر هَدَى يَهدِي بمعنى اسم الفاعل: الهادِي، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على شَخص يُدرَك بالحواس. والسُّحت: مصدر سَحَتَ يَسحَتُ بمعنى اسم الفاعل: السّاحِت، عُبِّر به عن اسم الذات، لدلالته على المال الحَرام. والضَّياع: مصدر ضاعَ يَضِيعُ بمعنى اسم الفاعل: الضّائِع، عُبِّر به عن اسم الذات. لأنه دلّ على اليَتامَى.

(1) الآية ١٠ من سورة طه والجامع لأحكام القرآن (١١: ٩٣).

(2) الآية ٤٢ من سورة المائدة، و الكشاف (٢: ٢٣٥ و ٢٣٧) والبحر المحيط (٤: ٢٥).

(3) البخاري ص(٨٤٥) تحت الرقم ٢٢٦٩ وفتح الباري (٥: ٧٧).

(4) شرح المعلقات العشر ص (٦٠).

(5) المصدر نفسه ص (١٠٦).

والموج: مصدر ماجَ يَمُوجُ بمعنى اسم الفاعل: المائِج، لأنه ماء يَمُوجُ ويَضطَرِب، عُبِّر به عن اسم الذات. والبَحر: مصدر بَحَرَ يَبحَرُ، بمعنى اسم الفاعل: المستَبحِر المشتق من مصدر استَبحَرَ يَستَبحِرُ، أي انبَسَطَ واتَّسَعَ، عُبِّر به عن اسم الذات. والنُّجُوم: جمع نَجْم. وهو مصدر نَجَمَ يَنجُمُ، إذا طَلَع، بمعنى اسم الفاعل: النّاجِم، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض من وصف المصدر باسم الفاعل المبالغة، والغرض من التعبير به عن اسم الذات: توكيد المبالغة.

ومن أمثلة مجيء المصدر، بمعنى اسم المفعول، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرضِ لِيُفسِدَ فِيها، ويُهلِكَ الحَرثَ والنَّسلَ﴾[1] أي الزَّرع والذُّرِّيّة، وقوله: ﴿فهَل نَجعَلُ لَكَ خَرجًا، عَلَى أن تَجعَلَ بَينَنا وبَينَهُم سَدًّا﴾[2] الخَرج: المال الذي يُخرَج، والسَّدّ: ما يُسَدُّ به، وقوله تعالى: ﴿عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾[3]، أي جَمِيع الموجُودات المغَيَّبة والمشاهَدة، وقوله ﷺ: «لا حِمَى إلا لِلّهِ ولِرَسُولِهِ»،[4] وقول عمرو بن كلثوم[5]:

فآبُوا بِالنِّهابِ، وبِالسَّبايا وأُبنا، بِالمُلُوكِ، مُصَفَّدِينا

النِّهاب: جمع نَهْب. وهو المال المنهُوب.

(1) الآية ٢٠٥ من سورة البقرة والتبيان في إعراب القرآن ص(١٦٧) والبحر المحيط (٢: ٣١٦ و ٤٢٧).

(2) الآية ٩٤ من سورة الكهف والتبيان في إعراب القرآن ص(٨٦٠) والجامع لأحكام القرآن (١٠: ٤٣٠) والبحر المحيط (٧: ٢٢٦).

(3) الآية ٧٣ من سورة الأنعام والتبيان في إعراب القرآن ص(١٨) والبحر المحيط (٤: ٥٥٧).

(4) صحيح البخاري ص (٨٣٥) تحت الرقم ٢٢٤١ وفتح الباري (٥: ٥٦.)

(5) شرح المعلقات العشر ص (٢٧٩).

فالحَرث: مصدر حُرِثَ يُحرَثُ بمعنى اسم المفعول: المِحرُوث، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على الزَّرع. والنَّسل: مصدر نُسِلَ يُنسَلُ بمعنى اسم المفعول: المنسُول، لأن الذُّرِّيّة تُنسَلُ من أصلاب الآباء، عُبِّر به عن اسم الذات. والخَرج: مصدر خَرَجَ يَخرُجُ، بمعنى اسم المفعول: المخرَج المشتق من مصدر أُخرِجَ يُخرَجُ، لأنه مال يُخرَجُ، عُبِّر به عن اسم الذات. والسَّدّ: مصدر سُدَّ يُسَدُّ بمعنى اسم المفعول: المسدُود به، عُبِّر به عن اسم الذات.

والغَيب: مصدر غابَ يَغِيبُ، بمعنى اسم المفعول: المغَيَّب المشتق من مصدر غُيِّبَ يُغَيَّبُ، عُبِّر به عن اسم الذات، لأنه دلّ على أشياء في حُكم المدرَك بالحواس. والشَّهادة: مصدر للفعل شَهِدَ يَشهَدُ، بمعنى اسم المفعول: المشاهَد المشتق من مصدر شُوهِدَ يُشاهَدُ، عُبِّر به عن اسم الذات. والحِمَى: مصدر حُمِيَ يُحمَى بمعنى اسم المفعول: المحمِيّ، لأنه شيء يُحمَى، عُبِّر به عن اسم الذات. والنَّهب: مصدر نُهِبَ يُنهَبُ بمعنى اسم المفعول: المنهُوب، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض من هذا الاستعمال هو المبالغة وتوكيدها.

ومن أمثلة مجيء المصدر، بمعنى الصفة المشبهة، للتعبير عن اسم الذات، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوبةُ، عَلَى اللهِ، لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالةٍ، ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[1] أي العَمَل السَّيِّئ، وقوله ﷺ في حديث عَرض الأمَم: «فرأيتُ سَوادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ. فقِيلَ: هؤُلاءِ أُمّتُك»[2] وقول عمرو بن كلثوم[3]:

بِرأسٍ مِن بَنِي جُشَمَ بنِ بَكرٍ، نَــدُقُّ بِــهِ الــسُّهُولةَ، والحُــزُونا

أي: كلّ لَيِّن وصَعب.

(1) الآية ١٧ من سورة النساء والجامع لأحكام القرآن (٥: ١٨).

(2) صحيح البخاري ص (٢١٧٠) تحت الرقم ٥٤٢٠.

(3) شرح المعلقات العشر ص (٢٧٢).

فالسُّوء: مصدر ساءَ يَسُوءُ بمعنى الصفة المشبهة: السَّيِّئ، عُبِّر به عن اسم الذات. والسَّواد: مصدر سَوِدَ يَسوَدُ بمعنى الصفة المشبهة: الأسوَد، عُبِّر به عن اسم الذات. والسُّهُولة والحُزُون: مصدران للفعلين سَهُلَ يَسهُلُ و حَزُنَ يَحزُنُ، بمعنى الصِّفتَين المشبَّهتَين: السَّهْل والحَزْن، عُبِّر بكل منهما عن اسم الذات. وهذه المصادر تَضَمَّنت معنى الصفة المشبهة للمبالغة، وعُبِّر بها عن أسماء الذوات لتوكيد المبالغة.

ويُشار إلى أن دخول معنى وظيفي على بناء المصدر، غير المعنى المصدري، يكون بقصد المبالغة، كما سبق. فإن دخل عليه معنيان معًا، كما هو الشأن عند مجيئه بمعنى المشتقات للتعبير عن أسماء الذوات، حُكِم بأن دخول المعنى الأول للمبالغة، ودخول المعنى الثاني لتوكيدها. وذلك لأن استعمال البناء لغير معناه الوضعي يكون للمبالغة وتوكيدها، كما مرَّ.

صُوَر أخرى لاستعمالات المصادر

إن المصادر المعروضة، في الشواهد السابقة، تتوزَّع بين المصادر الأصلية وأسماء المصادر. وقد قصدتُ ذلك لأن المصادر الأصلية أكثر استعمالاً، وأقرب إلى تفسير هذه الظاهرة وتوضيحها من المصادر الأخرى. ولكن ذلك لا يعني أن هذه المسألة تقتصر على المصادر الأصلية. وفيما يلي أمثلة توضح مجيء المصدر الميمي، ومصدر المرة، ومصدر النوع، على غير معناها المصدري.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرةً تأخُذُونَها﴾[1] أي أشياء تَغنَمُونَها، وقوله: ﴿وجَعَلْنا لَكُم فِيها مَعايِشَ﴾[2] أي ما يُعاش به من المطاعِم

(1) الآية ٢٠ من سورة الفتح والبحر المحيط (٤: ٣٠).

(2) الآية ١٠ من سورة الأعراف والبحر المحيط (٥: ١٤)

والمِشارِب، وما يُتَوَصَّلُ به إلى ذلك، وقوله: ﴿قَد جاءَتكُم مَوعِظةٌ مِن رَبِّكُم﴾[١]، الموعِظة هنا: القُرآن الكَرِيم الذي يُوعَظ به، وقوله: ﴿واللهُ يَدعُو إلَى الجَنّةِ والمغفِرةِ بِإذنِهِ﴾[٢]، أي إلى ما يُوصِلُ إلى المغفِرة من الأعمال، وقوله: ﴿عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّيرِ﴾[٣] أي كَلامها الذي تنطِق به. وفي الحديث الشريف: «الوَلَدُ ثَمَرةُ القَلبِ. وإنَّهُ مَجبَنةٌ، مَبخَلةٌ، مَحزَنةٌ»[٤] أي: يَدعُو والدَه ويَحملُه على الجُبن والبُخل والحُزن.

فالمغانِم: جمع مَغنَم. وهو مصدر ميمي للفعل غُنِمَ يُغنَمُ، بمعنى اسم المفعول: المغنُوم للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والمعايِش: جمع مَعِيشة. وهي مصدر ميمي للفعل عِيشَ يُعاشُ، بمعنى اسم المفعول: المعِيش بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والموعِظة: مصدر ميمي للفعل وُعِظَ يُوعَظُ، بمعنى اسم المفعول: الموعُوظ بها، عُبِّر به عن اسم الذات.والمغفِرة: مصدر ميمي للفعل غُفِرَ يُغفَرُ، بمعنى اسم الفاعل: الموصِل إلى المغفِرة، عُبِّر به عن اسم الذات. والمنطِق: مصدر ميمي للفعل نُطِقَ يُنطَقُ، بمعنى اسم المفعول: المنطُوق المتَكَلَّم به، عُبِّر به عن اسم الذات. والمجبَنة: مصدر ميمي للفعل جَبُنَ يَجبُنُ، بمعنى اسم الفاعل: الدَّاعِي إلى الجُبن، عُبِّر به عن اسم الذات. وكذلك كلّ من مَبخَلة ومَحزَنة.

هذا ما يخصُّ المصدر الميمي، أما مصدر المرة فقد استُعمل دالاً على غير معناه

(1) الآية ٥٧ من سورة يونس والتبيان في إعراب القرآن ص (٦٧٨) والبحر المحيط ٦: ٧٤.

(2) الآية ٢٢١ من سورة البقرة؛ وأبو حيان: البحر المحيط (٢: ٤٢٠).

(3) الآية ١٦ من سورة النمل والجامع لأحكام القرآن (١٣: ١٥٤) والبحر المحيط (٨: ٢١٧).

(4) مسند أبي يعلى الموصِلي (٢: ٣٠٥) وتاج العروس للزَّبيدي (بخل).

الوضعي، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبوةٍ ﴾[١] الرَّبوة: ما ارتَفَع عن الأرض ورَبا على ما حوله، وقوله: ﴿فقَبَضتُ قَبضةً مِن أثَرِ الرَّسُولِ﴾ [٢] أي مِلء الكفّ تُرابًا، وحديث محمود بن الرَّبيع: «عَقِلتُ مِنَ النَّبِيِّ – ﷺ – مَجّةً، مَجَّها فِي وَجهِي»[٣]. المِجّة هنا: الماء المِمجُوج، أي المرميّ من الفم.

فالرَّبوة: مصدر مرة للفعل رَبا يَربُو، بمعنى اسم الفاعل: الرّابِية، عُبِّر به عن اسم الذات. والقَبضة: مصدر مرة للفعل قُبِضَ يُقبَضُ، بمعنى اسم المفعول: المِقبُوضة أو المِقبُوض عليها، عُبِّر به عن اسم الذات. والمِجّة: مصدر مرة للفعل مُجَّ يُمَجُّ، بمعنى اسم المفعول: الممجُوجة المدفُوعة، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض من هذا الاستعمال المبالغة وتوكيدها.

ومن أمثلة مجيء مصدر النوع، على غير معناه المصدري، قوله تعالى: ﴿إِنَّما نَحنُ فِتنةٌ﴾[٤]، الفِتنة: ما يُفتَن به الإنسان. فالفِتنة: مصدر نوع للفعل فُتِنَ يُفتَنُ، بمعنى اسم المفعول: المفتُون بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والغرض هو المبالغة وتوكيدها.

واسم المصدر، كما مر سابقًا، يجيء مرادًا به غير معناه المصدري، كقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾[٥] أي لِباسكم الذي تَتَزَيَّنُون به، وقوله: ﴿أنِّي أخلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئةِ الطَّيرِ﴾[٦] الهَيئة: ما يُهَيّأُ على صورة الطَّير.

(1) الآية (٢٦٦) من سورة البقرة والبحر المحيط (٢: ٧٠٣).

(2) الآية ٩٦ من سورة طه والتبيان في إعراب القرآن ص (٩٠٢).

(3) صحيح البخاري ص (٤١) تحت الرقم ٧٧ وفتح الباري (١: ٢٦٦).

(4) الآية ١٠٢ من سورة البقرة.

(5) الآية ٣١ من سورة الأعراف والكشاف (٢: ٤٣٨)، والبحر المحيط (٥: ١٤١).

(6) الآية ٤٩ من سورة آل عمران ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيرواني ص (١٤٠) والتبيان في إعراب القرآن ص (٢٦٣).

وفي حديث عائشة: «أنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – كانَ يَقبَلُ الهَدِيّةَ، ويُثِيبُ عَلَيها»[١] الهَدِيّة: كلّ ما يُهدَى من أشياء. وقال عمرو بن كلثوم[٢]:

فأمّا يَومَ خَشيتِنا عَلَيهِم فنُصبِحُ غارةً، مُتَلَبِّبِينا

أي: مُغِيرِين مُتَلَبِّبِين.

فالزِّينة: اسم مصدر للفعل تُزُيِّنَ يُتَزَيَّنُ، بمعنى اسم المفعول: المتَزَيَّن بها، عُبِّر به عن اسم الذات. والهَيئة: اسم مصدر للفعل هُيِّئَ يُهَيّأُ، بمعنى اسم المفعول: المهَيّأ، عُبِّر به عن اسم الذات. والهَدِيّة: اسم مصدر للفعل أُهدِيَ يُهدَى، بمعنى اسم المفعول: المهداة، عُبِّر به عن اسم الذات. والغارة: اسم مصدر للفعل أغارَ يُغِيرُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل: المغِيرين.

وجاءت بعض المصادر بمعنى ظروف الزمان والمكان.[٣] وظرف المكان اسم جنس جامد يدل على ذات. وظرف الزمان: اسم جنس معنوي جامد يطلق على جزء من الزمن، ويختلف عن المصدر في كونه لا يتضمن معنى الحدث، ولا يدل على غير الوقت، ولا يقوم بذاته في الكلام، بل يحتاج إلى تعليق بما فيه معنى الحدث، كي يكتسب حيزًا من المعنى العام الذي يقدمه النص.

ومن أمثلة مجيء المصدر، دالاً على معنى الظرف، قوله تعالى: ﴿وإذا صُرِفَت أبصارُهُم، تِلقاءَ أصحابِ النّارِ، قالُوا: رَبَّنا لا تَجعَلْنا مَعَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾،[٤] أي ناحِية أهل النار، وقوله: ﴿وسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبكارِ﴾[٥]

(1) صحيح البخاري ص (٩١٣) تحت الرقم ٢٤٤٥ وفتح الباري (٥: ٢٥٩).
(2) شرح المعلقات العشر ص (٢٧٠). والمتَلبِّبون: المتَحَزِّمون بالسلاح.
(3) الكتاب (١: ٢٢٢).
(4) الآية ٤٧ من سورة الأعراف والتبيان في إعراب القرآن ص (٥٧١– ٥٧٢).
(5) الآية ٤١ من سورة آل عمران والجامع لأحكام القرآن (٤: ٧٧.)

الإبكار: من طُلُوع الشمس إلى وقت الضُّحى، وقول الحُطَيئة[١]:

نُبِّئتُ أنَّ الجُودَ مِنهُم خَلِيقةٌ يَجُودُونَ فِي يَبَسِ الزَّبِيبِ،وفِي القَطفِ

أي في وقت يَباسه ووقت قطافه، وقول الفرزدق:[٢]

فبِتُّ أقُدُّ الزّادَ، بَينِي وبَينَهُ عَلَى ضَوءِ نارٍ، مَرّةً، ودُخانِ

فالتِّلقاء: مصدر نادر للفعل لَقِيَ يَلقَى، عُبِّر به عن ظرف المكان. والإبكار: مصدر للفعل أبكَرَ يُبكِرُ، عُبِّر به عن ظرف الزمان. والقَطف: مصدر قَطَفَ يَقطِفُ عُبِّر به عن ظرف الزمان. والمرّة:الحين،وهي في الأصل: مصدر مرة للفعل مَرَّ يَمُرُّ، استُعمل ظرفًا اتِّساعًا، «وهذا يدلُّ على قوّة شَبَه الزَّمان بالمصدر»[٣]. والغرض من هذا الاستعمال هو المبالغة.

ومن الجدير بالذكر أنه يكثر وضع المصادر،بعضها في موضع بعض، كقوله تعالى: ﴿واللهُ أنبَتَكُم مِنَ الأرضِ نَباتًا﴾[٤]، أي إنباتًا، وقوله: ﴿فتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾[٥]، أي بِتَقَبُّل،وقوله:(ويُرِيدُ الشَّيطانُ أن يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيدًا﴾[٦]، أي إضلالاً، وقوله: ﴿سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٧]، أي تَعالِيًا، وقول لبيد[٨]:

(1) ديوانه صنعة ابن السكيت ص (١٢١).

(2) ديوانه (٢: ٣٢٩).

(3) التبيان في إعراب القرآن ص (٥٢٢).

(4) الآية ١٧ من سورة نوح والجامع لأحكام القرآن (٦: ٧٤).

(5) الآية ٣٧ من سورة آل عمران والجامع لأحكام القرآن (٦: ٧٤).

(6) الآية ٦٠ من سورة النساء والتبيان في إعراب القرآن ص (٣٦٨).

(7) الآية ٤٣ من سورة الإسراء والتبيان في إعراب القرآن ص (٨٢٣).

(8) شرح المعلقات العشر ص (١٧٩). وعَرَّدَت: تَرَكَت الطريق وعَدَلَت عنه.

فمَضَى، وقَدَّمَها، وكانَت عادةً مِنهُ، إذا هِيَ عَرَّدَت، إقدامُها

أي تَقدِمتُها، وقول عمرو بن كلثوم[١]:

بِفِتيانٍ يَرَونَ القَتلَ مَجدًا وشِيبٍ، فِي الحُرُوبِ، مُجَرَّبِينا

أي يَرَون القِتال مَجدًا.

دلالة المصادر على المعاني التي تكتسبها من السياق

يُظهِر الاستقراء أن مجيء المصادر، للتعبير عن معاني المشتقات، أقل من مجيئها للتعبير عن معاني أسماء الذوات. وعندما يُستعمَل المصدر بمعنى المشتقات تكون دلالته على معنى المشتق قطعيّة، إذا استُعمل نعتًا في الكلام، كقولهم: هذا رَجُلٌ كَرَمٌ، أي كَرِيم، وهذا الدِّرهَمُ ضَربُ الأمِيرِ، أي مَضرُوب الأمِير. وتكون دلالته على معنى المشتق قَطعيّة أيضًا إذا استُعمل خبرًا، في مثل قولنا: الماءُ صَفوٌ، أي صافٍ. أما إذا استُعمل خبرًا لأسماء الإشارة، أو الضمائر المنفصلة، أو أسماء الجِنس التي تحتمل أكثر من دلالة، كالجَزاء في قوله تعالى: ﴿فجَزاؤُهُم جَهَنَّمُ﴾[٢]، فالأغلب في مثل هذه المواضع أن يكون المصدر مستعملاً على بابه، لأن مثل هذه الأسماء يكثر أن يجيء خبرها وخبر النواسخ التي تدخل عليها جامدًا.

وتكون دلالة المصدر على معنى المشتق احتِمالية غالبًا، إذا استُعمل في موضع الحال، كقوله تعالى: ﴿ويَدعُونَنا رَغَبًا ورَهَبًا﴾[٣]، وقوله: ﴿تَدعُونَهُ

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص (٢١٢). والشيب: جمع أشيب، وهو الرجل الكهل.

(2) الآية ٩٣ من سورة النساء.

(3) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء والتبيان في إعراب القرآن ص (٩٢٥).

تَضَرُّعًا وخُفيةً﴾[1].

فرَغَب ورَهَب: يجوز إعرابهما حالاً ومعطوفًا عليها، على تأويل: راغِبِين في ثوابنا و راهِبِين عِقابَنا. فيكونان مصدرين للفعلين رَغِبَ يَرغَبُ و رَهِبَ يَرهَبُ، عُبِّر بكلّ منهما عن اسم الفاعل. ويجوز إعرابهما مفعولاً لأجله ومعطوفًا عليه، فيكونان مصدرين على بابهما. وكذلك تَضَرُّع وخُفية: يجوز إعرابهما حالاً ومعطوفًا عليها، على تأويل: مُتَضَرِّعِين و مُخفِين، فيكون الأول مصدرًا للفعل تَضَرَّعَ يَتَضَرَّعُ، عُبِّر به عن اسم الفاعل. ويكون الثاني مصدرًا للفعل خَفِيَ يَخفَى، عُبِّر به عن اسم الفاعل: المخفِين المشتق من مصدر أخفَى يُخفِي. ويجوز أن يُعرَبا مفعولاً مطلقًا ومعطوفًا عليه، فيكونان مصدرين على بابهما. ومثل ذلك كثير.

ويُظهِر الاستقراء أيضًا أن مجيء المصدر للتعبير عن اسم الذات، دون المرور بالمرحلة الوصفية، أقلّ من مجيئه للتعبير عن اسم الذات موصوفًا بمعنى أحد المشتقات. وذلك لاختلاف الطبيعة الحِسِّيّة لاسم الذات، والطبيعة الذهنية للمصدر. والمشتقات الوصفية تدل على ذات موصوفة بحدث. وهذا يعني أن المشتق يقترب من اسم الذات بما يتضمَّنه من طبيعة حسية، كما يقترب من المصدر بما يتضمنه من حدث معنوي. والدليل على ذلك أن المشتق الوصفي يجوز وضعه موضع المصدر، كما يصح وضعه موضع اسم الذات. ولذلك يكون للمشتق دور في التوفيق والملاءمة بين المصدر واسم الذات، إذْ يرتبط كل منهما بالمشتق بواسطة الجزء الذي يماثل طبيعته. وهكذا تتحقق عملية الربط بين المصدر واسم الذات.

(1) الآية ٦٣ من سورة الأنعام والتبيان في إعراب القرآن ص (٥٠٤).

ففي قوله تعالى: ﴿يُخرِجُ الخَبءَ فِي السَّماواتِ والأرضِ﴾[١]

الخَبء في الأصل: مصدر معناه الإخفاء. ولكنه في الآية يدل على أشياء تُخرَج. ولا توجد علاقة بين الأشياء المحسوسة التي دَ لَّ عليها سياق الآية، وبين الإخفاء الذي يدل عليه معنى المصدر، إلا إذا وُصِفت تلك الأشياء بأنها مَخبُوءة، أي مَخفِيّة. ولذلك يُقال في التحليل الصرفي: الخَبء مصدر للفعل خُبِئَ يُخبأُ، بمعنى اسم المفعول: المِخبُوء للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

وتكون دلالة المصدر على اسم الذات،عندما يستعمل بمعناه،قطعية غالبًا، وتعرف من قرائن مُصاحِبة،لا تسمح بحمل المصدر على بابه. ففي قوله تعالى: ﴿وما أصابَكُم يَومَ التَقَى الجَمعانِ فبِإذنِ اللهِ﴾[٢] الجمعان: مثنى جَمْع. والجَمْع في الأصل: مصدر جَمَعَ يَجمَعُ، لكنه دل هنا على جماعة المحاربين. والقرينة التي منعت حضور المعنى المصدري هي حصول الالتقاء بين الجَمعَين.

وفي حديث عائشة: «فاقدُرُوا قَدرَ الجارِيةِ، الحَدِيثةِ السِّنِّ، تَسمَعُ اللَّهوَ»[٣]، اللَّهو في الأصل: مصدر لَهَا يَلهُو، لكنَّه دلّ هنا على الأشياء التي يُلهَى بها. فهو مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والقرينة التي منعت حضور المعنى المصدري هي دلالة السياق على أن اللَّهو شيء يُسمَع.

(1) الآية ٢٥ من سورة النمل والبحر المحيط (٨: ٢٠٦ و ٢٣١).

(2) الآية ١٦٦ من سورة آل عمران.

(3) صحيح البخاري ص (١٩٩١) تحت الرقم ٧٨٩٤.

وقال امرؤ القيس[١]:

* فهَل عِندَ رَسمٍ، دارِسٍ، مِن مُعَوَّلِ ؟ *

فالرَّسم في الأصل: مصدر رَسَمَ يَرسُمُ. ولكنه دلّ هنا على الأثَر المرسُوم الذي خَلَّفَته القبيلة ثم رحلَت. والقرائن التي منعت حضور المعنى المصدري هي إضافة ظرف المكان إليه على الحقيقة لا المجاز، ووصفه بكلمة «دارِس» التي لا تُوصَف بها المصادر، وارتباطه باسم المكان «مُعَوَّل» الذي يدل على أن هذا الرَّسم يُتَّخَذُ مكانًا للعَوِيل والبُكاء.

وقال تعالى: ﴿ولا يُؤخَذُ مِنها عَدلٌ﴾[٢]. فالعَدل في الأصل مصدر عَدَلَ يَعدِلُ، لكنّ معناه هنا: الشيء الذي يُؤخَذُ فِديةً، والفِدية: شيء يُعادِل المفدِيّ بها. فهو إذًا مصدر بمعنى اسم الفاعل: المعادِل المساوِي المشتق من مصدر عادَلَ يُعادِلُ للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. والقرينة التي منعت حضور المعنى المصدري هي دلالة السياق على أن العَدل شيء يُؤخَذُ أخذًا حِسِّيًا حقيقيًا، لا معنويًا مجازيًّا.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾[٣] الجَزاء في الأصل: مصدر جَزَى يَجزِي، لكنَّه دلّ هنا على الشيء المجزِيّ به، لأنه وُصِف بالأوفَى. وهي من صفات الأشياء وليست من صفات المصادر. فهو مصدر بمعنى اسم المفعول للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة.

ومن القرائن التي تمنع حضور المعنى المصدري عدم تعلق شبه الجملة ببناء

(1) شرح المعلقات العشر ص (٣٠).

(2) الآية ٤٨ من سورة البقرة والبحر المحيط (١: ٣٠٩).

(3) الآية ٤١ من سورة النجم والتبيان في إعراب القرآن ص(١١٩٠).

المصدر. وذلك يحصل عندما يُعبَّر به عن اسم الذات، لأنه يفقد دلالته على الحدث. ففي قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ﴾[1] لا يجوز تعليق الظرف «عِند» بزِينة، لأنها تدل على اسم ذات كما سبق. ولذلك وجب تعليقه بالفعل «خُذُوا».

وتكون دلالة المصدر على اسم الذات احتمالية، حين تكون القرائن المرافقة ضعيفة. ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا﴾[2] يجوز حمل «وَعد» على أنه مصدر وُعِدَ يُوعَدُ، بمعنى اسم المفعول: الموعُود به للمبالغة، عُبِّر به عن اسم الذات لتوكيد المبالغة. وذلك على اعتبار أنه بمعنى الأشياء التي وُعِدتُم بها. ويُعرَب على هذا التأويل مفعولاً به ثانيًا للفعل « يَعِد». ويجوز حمله على بابه على أنه مصدر مؤكد لفعله الملفوظ. ويُعرَب على هذا التأويل مفعولاً مطلقًا. وفي هذه الحالة يُكتَفى بدلالة السياق على المفعول به المحذوف.

إن الحالة السابقة تُمثِّل نموذجًا عامًا للدلالة الاحتمالية للمصدر على اسم الذات، حيث يغلب أن يأتي فعل متعدٍ لم يستوفِ مفعوله الثاني، ثم يؤتى ببناء مصدره بعده، محتملاً أن يكون مفعولاً مطلقًا على أنه مصدر جارٍ على بابه، ومحتملاً أن يكون مفعولاً به ثانيًا على أنه اسم ذات. والتفسير الدقيق هو الحَكَم في مثل هذه الحالة.

إن وجود الدلالة الاحتمالية، غير القطعية، للمصادر على معاني المشتقات، وأسماء الذوات، لا تُؤثر في منهج التحليل الصَّرفي المتَّبَع في هذا المقال، لأن

(1) الآية ٣١ من سورة الأعراف والتبيان في إعراب القرآن ص (٥٦٤).

(2) الآية ٨٦ من سورة طه والتبيان في إعراب القرآن ص(٩٠٠).

التحليل الصرفي مبنيّ على التفسير اللغوي. فإذا احتمل بناء المصدر الدلالة على وظيفتَين صرفيتَين، لا يمكن الجمع بينهما في تحليل صرفي واحد، فهذا يعني وجود تفسيرين لُغَويَّين مَقبُولَين. وفي هذه الحالة يصح بناء التحليل الصرفي على أساس ما يُختار من التفسيرَين ويُرَجَّح. ومسألة تعدُّد التفاسير اللغوية مسألة معروفة في اللغة العربية، تعبِّر عن اتساعها وعمقها. ولهذه الظاهرة دور كبير في نشوء المدارس النحوية، والاتجاهات الكلامية، والفِرَق الفلسفية، والأودية الصوفية، والموارد المختلفة للمِلَل والنِّحَل. وأهم من ذلك أنها كوّنت ميدانًا خصبًا وفسيحًا لنشوء المذاهب الفقهية.

*****

كانت تلك أهم صور استعمال المصادر، في النصوص، دالة على غير معانيها الوضعية. وقد اعتمدتُ في التحليل والدراسة على ما نَصَّ عليه المفسِّرُون، وشُرّاح الدواوين، وأصحاب المعاجم، الذين أثبتُّ أسماء أغلب كتبهم في الحواشي، كما اعتمدتُ على ما استَوحَيتُه من أقوالهم في كثير من الأحيان. وقد عرضتُ مصادر التحليل مقترنة بمصادر الشواهد حرصًا على اختصار الحواشي قدر الإمكان. ويدل تتبع نتاج العلماء على أن التحليل المتبع، في هذا المقال، كان قائمًا في أذهانهم بصورته الكاملة. ولكنه لم يَصِل إلى الكمال في كتاباتهم، لأنهم تناولوا المسألة من زاوية التفسير اللغوي، الذي يخدم المعنى والإعراب، ولم يتناولوها من زاوية التحليل الصرفي البحت.

المصادر والمراجع

أدب الكاتب: لابن قتيبة. تحقيق: محمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٩.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لابن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٦.

البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي. بعناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢.

تاج العروس في شرح شواهد القاموس: للمُرتضَى الزَّبيدي. ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦ هـ.

التبيان في إعراب القرآن: للعكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧.

تصريف الأسماء والأفعال: للدكتور فخر الدين قباوة. ط٣، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٨.

الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي. راجعه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.

الخصائص: لابن جني. تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس.شرح وتقديم: الدكتور محمد أحمد قاسم، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق وعمان ١٩٩٤.

ديوان الحطيئة صنعة ابن السَّكِّيت. تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، ط١،

مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٧.

ديوان الخنساء. شرح وتقديم: إسماعيل اليوسف، دار الكتاب العربي، دمشق، دون تاريخ.

ديوان جرير: صنعة ابن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

السبعة في القراءات: لابن مجاهد. تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

شذا العَرف في فن الصرف: للحملاوي. المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٨٥.

شرح الكافية الشافية: لابن مالك. تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٩٨٢.

شرح المعلقات السبع: للزوزني. قدم له: عمر أبو النصر، جامعة حلب، دون تاريخ.

شرح المعلقات العشر: للخطيب التبريزي. تحقيق: الدكتور فخر الدِّين قباوة، دار الفكر، دمشق١٩٩٧.

شرح ديوان عنترة . تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، وتقديم: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٠.

شرح شافية ابن الحاجب: لرضي الدين الأستراباذي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٧٥.

شرح شذور الذهب: لابن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، لم تُذكر دار النشر وتاريخه.

صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: الدكتور مصطفى البغا،

مطبعة الهندي، دمشق ١٩٧٦.

صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ.

صحيح مسلم بشرح النووي: للنووي. تحقيق: الدكتور مصطفى البغا، ط١، دار العلوم الإنسانية، دمشق ١٩٩٧.

فتح الباري: لابن حجر العسقلاني. ط٣، دار الفيحاء، دمشق ٢٠٠٠.

الكامل في اللغة والأدب: للمبرد. تحقيق: الدكتور محمد أحمد الدالي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧.

الكتاب: لسيبويه. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨.

كتاب الكافية في النحو: لابن الحاجب. شرحه: رضي الدين الأستراباذي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.

الكشاف: للزمخشري. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨.

الكليات: للكفوي. تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢.

لسان العرب: لابن منظور. ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٢.

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المجلد الأول، لعام ١٩٣٤، والمجلد الثاني، لعام ١٩٣٥، والمجلد السادس، لعام ١٩٥٠.

مسند أبي يعلى المَوصِلي. تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون، دمشق وبيروت ١٩٨٤.

مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي القيرواني. تحقيق: ياسين محمد السّوّاس، ط٢، دار اليمامة، دمشق وبيروت٢٠٠٠.

معجم ألفاظ القرآن الكريم:لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط٢، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠.

المقاييس في اللغة: لابن فارس. تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.

جماليات اللون في مخيّلة بشار بن برد الشعرية

د. عدنان محمود عبيدات

لفتت التشكيلات التصويرية أنظار الدارسين والنُّقاد في شعر بشار، وذلك أنه رسم موضوعه بطريقة تجاوز فيها حدود السمع إلى الإبصار، فجمع معجمه وركَّبه وباح فيه بصورة جميلة واضحة أكثر إيحاء مما فعل المبصرون، فركّب الصورة كأنه يراها، وبثَّ فيها جمالاً رائعًا، فيها الجدة والطرافة والوضوح، لها وقع وتأثير في النفس، تعلو وتتوهج، وتتركَّز فيها كثير من التفاصيل،سواء في مدحه أو في وصف خلوات الحب أو في عذل العذال أو في حديثه عن الليل.

لقد كان بشار موفَّقًا في نقل ما تجيش به نفسه من مشاعر وانفعالات، وكان واقعيًّا في طرحه لموضوعاته بكل ما فيها من تناقضات بلغة خدمت المعنى المراد، فأعلى من شأن الفن، وكان «**ثورة أدبية كبرى في شعرنا العربي... ثورة على اتجاه الصورة الشعرية التقليدية، فحاول قدر جهده أن يغيّر مجراها، وأن يوجِّهها في مجرى جديد**»[1]. وقد شكَّلت الأنماط التصويرية البصرية في شعر بشار الأعمى مساحات واسعة دالة على كثافة الألوان، فكانت الظاهرة التلوينية جزءًا هامًّا في تشكيل الصورة الشعرية بعناصرها الحسية المختلفة إلى جانب الحركة والضوء، علمًا أن الصورة اللونية قد تتشكَّل من أكثر من قيمة لونية انسجامًا أو تضادًّا، «**فاللون لا يدخل في نسيج النص الشعري على مستوى التركيب فقط،**

(1) الصورة في شعر بشار بن برد، عبد الفتاح نافع ط١، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٣، ص (٣٥٥).

وإنما يتعدى ذلك إلى مستوى الدلالة أيضًا»[١].

إن الصورة الحسية هي المصدر الأساسيّ للصورة الشعرية، وتتجلى عبقرية النص في إعادة تشكيل الصورة المادية إلى صورة شعرية تُثير الدهشة، ولابد من التذكير أن كثيرًا من الألوان تحمل كثيرًا من الدلالات النفسية، «**وأنّ استخدام الشعراء للألوان لم يقف عند حد تخطيط الصورة أو إبرازها بالشكل الذي يحقِّق لها اللون، وإنما كان الدافع لذلك... هو جعل هذه الصورة محفوظة بإطار من الأبعاد المتحركة بذاتها، تضفي عليها الألوان ميزة ربما كانت تفتقر إليها قبل الإضافة**»[٢].

لقد صاغ الشاعر صُوَرَه صياغة جمالية مركَّزة ومكثفة وواعية، فأبدع وأجاد، وعبَّر عما يجول في نفسه دون حرج أو خوف، فأطلقها على سجيتها، فأعجب أكثر دارسيه.

المرأة واللون:

تمثِّل المرأة عند بشار جزءًا أساسيًّا في الظاهرة الفنية، ومن يُنعم النظر في

(1) جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، موسى ربابعة، بحث، في كتاب قطوف دانية، لمجموعة من المؤلفين، مهدى للدكتور ناصر الدين الأسد، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٩٧، ص (١٣٦٣)، وانظر: الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، يوسف نوفل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥، ص (٤٠).

(2) الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، نوري حمودي القيسي، بحث، مجلة الأقلام العراقية، السنة الخامسة، ج١١، ١٩٦٩، ص (٦٧). وانظر: التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، بحث، محمد صابر عبيد، مجلة الأقلام العراقية، بغداد، السنة ٢٤، العددان ١١، ١٢، ١٩٨٩، ص (١٦٩).

شعره يدرك أنه لم يكن أعمى، رأى بقلبه وسمعه ولم ير بعينه رؤية مادية، فكلما سمع صوتًا تسرَّب إلى أعماق قلبه، فأخرج أدبًا غنائيًا قويًا مؤثِّرًا، فشكّل الصورة بكل أبعادها الدقيقة، بألوانها وظلالها وتفاصيلها.

إن حرمان بشار من حاسة البصر، دفعه إلى استخدام حواسه الأخرى لتنوب عما حُرِم منه، ومع ذلك فإن مَن يُنْعم النظر في الصورة الشعرية عنده يؤكِّد أنها كانت صورًا بصرية، «**والصور البصرية ليست معدومة وجدانيًّا لدى المكفوف، وذلك بفضل الحياة الاجتماعية، فقد ينتقل جانبٌ من تأثيرها الوجداني بوساطة الألفاظ التي تعبِّر عنها إلى الشخص المكفوف**»(١)، فهو في وصفه للمرأة، يدقِّق في كثير من التفاصيل؛ مركِّزًا على الصفات المادية، ومستحضرًا طاقات اللون، ومن ثَم شكَّل لنا لوحة جميلة لامرأة يريدها بشار، وأكثر الحديث عنها؛ فكانت صورتها الحسية ماثلة في شعره، تطفح منها رائحة الغريزة بأسلوب صريح، وأبدع في رسمها في ذهنه، مستعينًا ببصيرة نافذة، وموهبة فذّة، وثقافة عميقة، «**ومادامت الحواس والقلب ومدركاتها هي الرافد الأساسيّ للصورة الفنية، فإن علينا أن نتوقع حضور اللون في عملية الأداء الفني ليؤدي مهمة المفردة الحسية حيثما يكون لها مدلولها التأثيري**»(٢)، وكان كغيره يحب المرأة ذات اللون الأبيض حبًّا جسديًّا شهوانيًّا، ظهر ذلك في غير بيت في شعره، فهي

(1) الصورة الفنية في شعر بشار: عبد الفتاح نافع ص (١٠٠).

(2) الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى، محمود الجادر، بحث، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد٢، ١٩٩٠، ص (٨٧). وانظر: الأداء باللون في شعر سحيم، محمود الجادر، المورد العراقية، بغداد، م٢٧، العدد٤، ١٩٩٩، ص (٦٣).

عنده: «**بيضاء صافية الأديم**»[١]، وهي «**بيضاء كالدّرة الزهراء غرّتها**»[٢]، «**ومن البيض معلاق القلوب**»[٣]، «**حسبتها فضةً بيضاء**»[٤]، و«**عُلِّقتها بيضاء**»[٥]، «**وبيضاء من بيض**»[٦]، وهي على ذلك «**تَرعْرعَتْ في جلد لؤلؤة**»[٧] ، و«**خُلِقت مِن جِلد لؤلؤة**»[٨]، و«**خُلِقت من قِشْر لؤلؤة**»[٩]، وهذا الوصف الجميل يُشير إلى بياض ممزوج بالمرونة والنعومة والصفاء والعفّة والحياة الهانئة، وهي على هذا من الحرائر العفيفات. والمرأة الموصوفة – كما ذكرنا – عند بشار، تجبر من يراها أن يتعلق بها، فتصوّر، فهي: «**بيضاء كالمهاة**»[١٠]، وهذا تشبيه للمرأة في أجمل صورها، فالمرأة المثال عند أغلب المبدعين وغير المبدعين أنها غزال في مشيتها وشكلها، وهي «**بيضاء مكسال**»[١١]، «**ومكسال الضحى**»[١٢]، لأنها ذات دلال وأنوثة، والمرأة عنده:

(1) ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦، (١١٦/١).
(2) المصدر نفسه (٤٤/٢).
(3) المصدر نفسه(٦٨/١).
(4) المصدر نفسه (٢٥٥/٢).
(5) المصدر نفسه (٨٨/٢).
(6) المصدر نفسه (٦٨/٢).
(7) المصدر نفسه (١١٦/١).
(8) المصدر نفسه (١٦١/١).
(9) المصدر نفسه (٤٣/٢).
(10) المصدر نفسه (٥٣١/١).
(11) المصدر نفسه (٥١٢/١).
(12) المصدر نفسه (٣٢٢/٢) .

مِنَ البيضِ لَمْ تَسْرَحْ عَلَى أهلِ غُنّةٍ وَقِيْرَ ًا ولَمْ تَرْفَعْ حِداجَ قعُودِ[١]

فهي من الحرائر، وليست من الإماء، إذ إن الرعي وترحيل الرواحل كان من شغل الإماء والعبيد، فالمرأة المفضَّلة عنده – إضافة إلى لونها – أنها وأهلها من عِلْيَةِ القوم.

وأسقط الشاعر في بعض أشعاره لون الآخر على لون المرأة المفضلة، فهي «**ريم أغّن**»، ترائبه شديدة البياض، يقول[٢] :

ريمٌ أغَنُّ مطوَّقًا ذهبًا صِفْرُ الحَشا بيضٌ ترائِبُهْ

وهي كالشمس إشراقًا وتجلِّيًا، وكالبدر حسنًا إذا تقنَّعت في سواد الليل، تسبي النفوس بنظراتها وهي منتقبة، وإذا نزعت النقاب تستثيرهم بحسنها المتلألئ، يقول[٣]:

هي كالشَّمس في الجَلاءِ وكالبد رِ، إذا قُنِّعَتْ عليها الرِّداءُ(*)

وهي[٤] :

(1) ديوان بشار (١/٥٠٩). الغُنَّة: الوادي الكثير الشجر. الوقير: الذي وضع عليه الحمل. الحداج: مركب النساء، مفردها: الحدج. القعود: الجمل الصغير.

(2) المصدر نفسه (١/١٧٠). الصفر: الضعيف. الترائب: موضع القلادة من الصدر. الأغن: الذي يخرج صوته من خياشيمه.

(3) المصدر نفسه (١/٥٧). شبَّهها بالشمس، وبالقمر حين تتلفع بالسواد ليدل على حسنها.

(*) « (عليها الرداءُ) جملة في محل نصب حال من ضمير نائب الفاعل لفعل (قُنِّعَت). (الرداء) مبتدأ، و (عليها) جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف». [المجلة].

(4) المصدر نفسه (١/١٦٩). الخود: الفتاة الحسنة الخلق. الأغر الأبلج: صفتان للوجه عندما تنزع النقاب.

خَوْدٌ إذا انْتَقبَتْ سَبَتْكَ بِنَظْرَةٍ وأغرَّ أبلجَ غيرَ ذاتِ نقابِ

وهي[١]:

صُورةُ الشَّمْسِ جَلَتْ عنْ وَجْهِها بَعْدَ عَيْنَيْ جؤْذَرٍ في المنْتَقبْ

وهي[٢]:

فقلتُ لنفسِي: الشمسُ جَلَّتْ لناظِرٍ أم البَدْرُ يُجْلَى في قِناعِ فتاةِ؟

وهي في مشيتها تتلوى كذكر الحية الأبيض، نحيلة الخصر، طويلة العنق، يقول[٣]:

تَرُوحُ بِمِثْلِ الأيْمِ فوقَ نِطاقها ويا لَكَ منْ وَجْهٍ هُناكَ وجيدِ

ولم يكتف بشار بالوصف الشمولي للمرأة، بل دقَّق في التفاصيل، فوصف جيدها، وأُعجب ببياضه، يقول[٤]:

وجيدٌ يُشْبِهُ الدُرَّ كَجِيدِ الرِّيمِ سُلْهُوبُ

ويقول[٥]:

والدُّرُّ واليَاقوتُ يَحْسُدْنَهَا مُنَاطَةً في الأوْضَحِ الأجْيَدِ

وهي بيض الترائب، ويعني موضع القلادة من الصدر، يقول[٦]:

---

(1) ديوان بشار (١/٣٠٨). الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. وجهها مضيء كالشمس وعيناها كعيني البقرة.

(2) المصدر نفسه (١/٤١٠). هل ما يراه هو الشمس أم البدر أم المحبوبة ؟

(3) المصدر نفسه (١/٥٠٩).

(4) المصدر نفسه (١/١٥٦). السلهوب: الطويل من الناس والخيل.

(5) المصدر نفسه (١/٥٢١). الدر والياقوت: أحجار كريمة. مناطة: معلقة. الأجيد: العنق الذي طال وحسُن.

(6) المصدر نفسه (١/١٧٠).

ريمٌ أغَنّ مُطَوَّقًا ذهبًا صِفْرُ الحَشَا بيضٌ ترائبُهْ

وهي بيضاء واسعة الجبين، يقول(١):

غَرّاءُ رَيَّا العظَامِ آنسَةٌ مَكْسورَةُ العَيْنِ زانَها دَعَجُ

وثغرها عنده كثغرِّ الأقاحِي، يقول(٢) :

وَلَها مَضحكٌ كَثَغْرِّ الأقاحِي وحديثٌ كالوشيْ وَشْي البرودِ

وخدّ المرأة التي تعجبه ناعم مشرق أبيض، كشمس الضحى، يقول(٣):

تُريكَ أسِيلَ الخَدِّ أشْرقَ لونُهُ كَشمْسِ الضُّحى وافتْ معَ الطّلقِ أسْعُدا

وتجاوز بشار في تصوره للمرأة الجميلة إلى دقائق لا يعرفها ولا يدقق فيها إلا إنسان تذوَّق الجمال، وعرف بواطنه، فكانت المرأة التي خالط بياض لونها صفرة، ونشأت في الحضر من أجمل النساء عنده، يقول(٤):

وصفْراءُ مِثْلُ الخَيْزُرَانَةِ لمْ تَعِشْ ببؤسٍ ولمْ تركَبْ مطيَّةَ راعِ

وهي(٥):

---

(1) ديوان بشار (٤٣٤/١). ريّا: طرية ناعمة. زانها: جمّلها. الدعج: سواد العيون واتساعها.

(2) المصدر نفسه (٥/٢). المضحك: المبسم. الأقاحي: نبات جميل لونه أبيض .

(3) المصدر نفسه (٩١/٢). الأسيل: الأملس الناعم. الطلق: الإشراق. الأسعد: نجوم المنازل.

(4) ديوان بشار بن برد (٤٣٢/٢). الصفراء: التي خالط بياض لونها صفرة، لم تركب مطية راع: لم تكن من سكان البادية.

(5) المصدر نفسه (٤٢٨/١) . بيضاء صفراء: البياض المشوب بصفرة، وهو أحسن البياض عند العرب. القِضافية: نسبة إلى قضاف، وهي الجارية الممشوقة القد، مأخوذة من القضف وهو النحافة.

بيضاءُ صفراءُ قُضَافِيّة ما نالَهَا برٌّ ولا حانِثُ

ومزج الشاعر لون المرأة الأبيض الموشَّح بالصفرة بحركاتها الخيزرانية النحيلة الممشوقة القدّ بصفاتها العفيفة، فأبدع في تركيب الصورة، وأجاد في البوح بها، فكانت المرأة كاملة الأوصاف حُسنًا، ولونًا، وخُلُقًا، وعفَّةً، ودلالاً، وكسلاً، وغزلانيّة. والمتتبع لشعر بشار يلحظ أنه لم يترك التفاصيل الأخرى التي تتمم اللوحة، لتكون المرأة التي يتصورها كاملة الأوصاف، فتمم جوانب الصورة، وأكمل أبعادها، وعرج إلى اللون الأسود، حيث كان هذا اللون تحسينًا وتجميلاً ومُحَبَّبًا في المرأة البيضاء التي أحبها، ونقله من دلالاته السلبية إلى دلالات إيجابية، فأعجبته العيون الدعج الشديدة السواد الواسعة، فهي «**بدا في عينه دعجُ**»[(١)]، وهي «**حور العيون**»[(٢)]، وهي «**زجّاء برجاء**»[(٣)]. وتجلى الجانب الإيجابي للون الأسود بلون شعر المرأة الجميل فشبّه شعرها بعناقيد الكروم الناضجة، يقول[(٤)]:

ولها وارِدُ الغَدائِرِ كالْكَرْ مِ سوادًا قدْ حانَ منْه انتهاءُ

ويقول[(٥)] :

(1) ديوان بشار بن برد (١/٤٤٠).

(2) المصدر نفسه (١/٩٠).

(3) المصدر نفسه (١/٤٦٧). زجّاء: رقة الحاجبين مع طولهما للمرأة. البرجاء: التي تتبرج. وتكون المرأة بهذه الصفة بياض عينيها محدقًا بالسواد كله، وبرج العين مناسب لزجج الحواجب.

(4) المصدر نفسه (١/٥٨). الوارد من الشعر والشجر: الطويل المسترسل.

(5) المصدر نفسه (١/١٥٦). الوَحْف: الشعر الكثيف الأسود. التقاصيب: الجدائل.

وَوَحْفٌ زَانَ مَتنيكِ وزانتْهُ التَّقاصِيبُ

وشبّه جدائل شعرها الأسود بالأفاعي السود، يقول[١]:

كأنّ القرونَ على متْنِها أساودُ شَتّ بها أبْطَحُ

وكانت الشامة السوداء على الخدّ الأبيض إضافة أخرى إلى اللوحة، فزاد الجمال جمالاً، يقول[٢]:

يكون الخالُ في خَدٍّ نقِيٍّ فَيُكْسِبُهُ الملاحَةَ والجَمالا

ويُعجب الشاعر الأكمه بلون المرأة الأسود في لحظة من لحظات الإبداع والإعجاب، ويبدو أن الإعجاب عارض، وكان بجارية سوداء استعطفها، فهي عنده سوداء برَّاقة متلألئة، تشبه في طيبها ولينها الماء العذب، فهي كأنها مصنوعة من عجينة العنبر والمسك اللذين إذا مُزجا يصبح المزيج ضاربًا إلى السواد، وذا رائحة طيبة، يقول فيها[٣]:

وغادةٍ سوداءَ برَّاقةٍ كالماءِ في طيبٍ وفي لينِ
كأنَّها صِيغَتْ لِمَنْ نالَها من عَنْبَرٍ بالمِسْكِ مَعْجُونِ

ويقول[٤]:

يكونُ الخالُ في خدٍّ نقيٍّ فَيُكْسِبُهُ الملاحَةَ والجَمالا

(1) ديوان بشار بن برد (٤٦٥/١). شتّ: تاه. الأبطح: الأرض المنخفضة، والجمع أباطح. الأساود جمع أسود وهو ذكر الحية.

(2) المصدر نفسه (٤٨٥/٢).

(3) المصدر نفسه (٥٢٨/٢). هذان البيتان في خطاب المرأة السوداء التي سارت في جنازته فيما بعد.

(4) ديوان بشار بن برد (٤٨٥/٢). الخال: الشامة أو العلامة السوداء.

ويُؤنقهُ لأعْيُنِ مُبْصِريهِ فكيف إذا رأيتَ اللونَ خالا

لقد ارتبط السواد بالظلمة وبأجواء الحزن والكآبة، إلا أن بشارًا نقل اللون من طبيعته السوداوية أحيانًا إلى سياقات أخرى، فيها معنى الحُسن والجمال.

ويستخدم الشاعر اللون الأحمر في صفة المرأة، من باب العبث باللون ودقة معرفته به وكأنه على دراية «**أن الضوء الأبيض يتكون من مجموعة من الأشعة الملونة، تتدرج من اللون الأحمر إلى اللون البنفسجي، ولقد دلت التجربة على أنه يمكن إحداث الإحساس بأي من هذه الألوان أو اللون الأبيض بخلط ثلاثة ألوان أساسية بنسب مختلفة، وهذه الألوان الأساسية أو المتتامة هي: الأحمر، والأزرق، والأخضر**»[1] [(*)]، والمرأة

(1) الضوء. أمينة عبد الرحيم، ط٣، دار الطباعة والنشر، مصر، ١٩٧٠، ص (١٥٢).

(*) يقول الكاتب: «وقد دلت التجربة على أنه يمكن إحداث الإحساس بأي من هذه الألوان أو اللون الأبيض بخلط ثلاثة ألوان أساسية بنسب مختلفة وهذه الألوان الأساسية أو المتتامة هي الأحمر والأزرق والأخضر».

هذه الإضافة خَطَل، وذلك أن الألوان نوعان: ألوان ضوئية إشعاعية وأصبغة مستعملة في الرسم والصناعة. وإن مزْجَ الأصبغة السبعة المقابلة لألوان الطيف الشمسي يؤدي إلى اللون الأسود على حين أن مَزْج الألوان الضوئية الإشعاعية السبعة يؤدي إلى اللون الأبيض. وفي عالم الأصبغة يعتمد الرسامون على ثلاثة ألوان يصِفُونها بالأساسية وهي الأحمر والأصفر والأزرق. وكان الرسام الإيطالي المشهور دافنشي قد اعتمد اللون الأخضر أيضًا لونًا أساسيًّا. ويُنشئ الرسَّامون بهذه الألوان الأساسية ألوانًا مادّيّة لا حصر لها وذلك بنسب مختلفة. ومن المعلوم أنه لو مزجنا مثلاً الأصفر والأزرق لحصل اللون الأخضر. ثم إنه لو مُزجَت الأصبغة السبعة = =المختلفة الألوان لحصل اللون الأسود كما ذكرنا آنفًا على حين يعطي مزج ألوان الطيف الشمسي السبعة اللون

الحمراء هي شديدة البياض، تشبه خمرة كلواذ في بياضها وصفائها، وقد أثارته، وهيجت أحزانه، يقول[٢]:

وَحَمْراءُ كَلْواذِ الكَثيبِ تطرَّبتْ فؤادي وهاجتْ عَبْرَةً وتلدُّدا

ويكرر ذكر هذا اللون، معجبًا به وهو يركّب لونًا على لون، أو يمزج لونًا بلون، ليزيد في جمال الصورة، لتعجب الناظر وتسرّه بفتاة تزوجت قبل بلوغها، يقول[٣] :

هِجانٌ عليها حُمْرَةٌ في بياضِها تروقُ بها العَيْنَيْنِ والحُسْنُ أحْمَرُ

ويخلط اللون الأحمر بالأخضر بالأصفر بالأبيض في وصف جمال المرأة وزينتها، ليشكِّل لوحة جميلة استثنائية، فالقلادة على صدرها مائدة من فضة أو رخام، ألوانها مختلفة، فكأنك ترى الضياء معلقًا فيها، يقول[٤]:

الأبيض . وهذا جعل الفيزيائيين يقولون: إن الأصبغة تتوارى في الأسود على حين تتوارى ألوان الطيف الشمسي في الأبيض. فالألوان الثلاثة (أو الأربعة) الأساسية التي ذكرها الباحث هي من الأصبغة لا من الأشعة. وللألوان وطبيعتها بحوث وافية في علمي الفيزياء والكيمياء نُرجِع إليها الباحث. ولكن لابد من أن نشير إلى أن الألوان المتتامّة غير الألوان الأساسية. نسمّي ألوان الطيف السبعة ألوانًا أوّلية. فإذا حذفنا منها لونًا أَلَّفَتْ بقيةُ الألوان لونًا جديدًا، فهذا اللون الجديد واللون الإشعاعي المحذوف يُدْعَيَان لونين متتامين لأنهما إذا مُزِجَا كوّنا اللون الإشعاعي الأبيض إذ كلٌّ منهما متمِّمٌ للآخر في إحداث اللون الأبيض الإشعاعي. إن قوانين الألوان الإشعاعية تختلف عن قوانين الموادّ الملونة أو الأصبغة ولابدّ من الأناة والتدقيق عند كل بحث علمي. [المجلة].

(2) ديوان بشار بن برد (٢/٩١). الحمراء: المرأة الشديدة البياض. كلواذ: اسم منطقة في سواد العراق.

(3) المصدر نفسه (٢/٣٤٤). الهجان: النوق البيض.

(4) ديوان بشار بن برد (٢/٢٧٠). الفاثور: المائدة من رخام أو فضة، التنوير: الضياء.

كأنّ مَلْقى حَلْيِها فاثورُ فيهِ ابيضاضٌ وبِهِ تَحْمِيرُ
في خضرةٍ شبَّ لهُ التَّصْفيرُ كأنَّما نِيط بِها التنويرُ

إن التضاد اللوني الجميل في صورة المرأة؛ البياض المفضَّل بنصاعته، والسواد بأبعاده الجمالية، يُضاف إليه قليل من اللونين الأصفر والأخضر، يعطينا صورة متميزة، وجمالاً لافتًا للانتباه.

ولم ينس الشاعر خدّ المرأة الأبيض حيث أضاف إلى لونه حُمرة، محاولاً أن يصل بها إلى أعلى درجات الجمال «**وكانت فتنة بشار بالأحمر والأصفر في صوره النمطية هذه لا فتنة باللون لذاته، ولكن فتنة بإيحاء اللون ورمزه**»[(١)]، إنك لا تشعر وأنت تقرأ غزل بشار أنه بصير كفيف، فهو يقوم على البصر والرؤية، شاعر يعرف المرأة وصفاتها بأدق أعضائها، كالرسام الذي يدقِّق النظر، صوره بصرية دقيقة، «**وكأن أذنه المرهفة الحساسة اعتادت أن تلتقط أدق الأشياء فتميزها وتحللها وتستمع بها، وتنقلها في صورة أو في أخرى يستمتع بها الآخرون**»[(٢)]، ولم ينس بشار أن يصف صوت المرأة فهو «**قِطَع الرِّياض**» و«**قِطَع الرّوض**»، يقول[(٣)]:

وحديثٌ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّو ضِ زهتْهُ الصّفْراءُ والحمْراءُ

ويقول[(٤)]:

(1) الصورة البصرية في شعر العميان، عبد الله الفيفي، ط١، النادي الأدبي، الرياض، ١٩٩٦، ص (١٠٥).

(2) الصورة الفنية في شعر بشار. ص (١٨٩).

(3) ديوان بشار بن برد (٥٨/١).

(4) ديوان بشار بن برد (٣٩٤/٢). رجع الحديث: صداه.

وكأنَّ رَجْعَ حَديثِها قِطَعُ الرِّياضِ كُسِينَ زَهرْا

«**فهو يصغي إليه – الحديث – أصواتًا مسموعة ثم يتصوره ألوانًا منظورة، فيها الصفراء والحمراء، وأصباغ المطارف والأزهار والثمار**»[1].

لقد كان استخدام بشار للألوان في تصوير المرأة متناسبًا ومتناغمًا ومتكاملاً، بياض ممزوج بصفرة وحمرة في نعومة البشرة وملاستها ونقائها، وسواد يضفي على اللوحة الجميلة جمالاً، مفصلاً في وصف الترائب والجيد والثغر والوجه والخد الناعم الأسيل، وسواد في لون العيون والشعر والجدائل والخال والحاجبين، «**فتكرار الشاعر لصفة «بيضاء» ليس تأكيدًا للون صاحبته فحسب، بل هو تأكيد لرغبة الشاعر العميقة التي تفضِّل هذا اللون في المرأة التي يحب، إضافةً إلى أن الشاعر أعطى هذه الفتاة صفات أخرى تصوِّر مدى جمالها، فالبياض بحد ذاته لا يشكِّل جمالاً إذا لم ترافقه أشياء أخرى**»[2].

اللون والممدوح:

ركّز بشار في المدح على قيمتَي الشجاعة والكرم، وظهر اللون جليًّا في تصويرهما، فممدوحه يسوق الموت الأسود لأعدائه، فالموت هو الموت، لكنه تحدَّث عن حالة الموت مصبوغة باللون الأسود، ليدلِّل على شدة الموقف، يقول[3]:

---

(1) مراجعات في الآداب والفنون، عباس العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا، ص (١٢١).

(2) صورة المرأة في الشعر الأموي، أمل نصير، ط١، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص (٧٢).

(3) ديوان بشار (٩٧/٢). الصفد: العطاء. الشّعب: الجمع. سيم: أصيب. قدّم: جرّع. الخسف: الذل.

لهُ صَفَدٌ دانٍ وشَعْبٌ مُؤخَّرٌ وإنْ سِيمَ خَسْفًا قدَّمَ الموتَ أسْودا

لقد كان ممدوح بشار شجاعًا فاتكًا استثنائيًّا؛ حتى ظهر من بين الظلمة الشديدة يدق أعناق الأعداء، يقول[1]:

تفرَّجَتْ ظُلَمُ الظَّلْماءِ عنْ مَلِكٍ منْ هاشِمٍ فَرِسٍ للنَّاكثِ العادِي

«**لقد رأى الشاعر في الأشخاص ذوي القدرة والقوة والنعمة ملجأ له وملاذًا، وتصورهم منقذين له من الزمن وبطشه**»[2]، وهو عندما يصف جيش ممدوحه في المعركة يصوِّر ظلمة المكان التي تدل على قوة الممدوح، وقوة شكيمته، فهي قوة خارقة واعية، تهب الخير للناس، وتحمل الموت للأعداء، فالنقع (الغبار) فوق رؤوس الأعداء سقف أسود، وكواكبه السيوف البيض القاطعة، فالغبار أسود، والموقعة سوداء، وسوادها مؤلم على الأعداء، ومريح للممدوح، فالسواد والبياض في مثل هذه الصورة تشكيل لثنائية القوة والضعف الذي صنعه الممدوح، يقول[3]:

كأنَّما النَّقع يومًا فوقَ أرْؤُسِهِمْ سقفٌ كواكبُه البيضُ المباتيرُ

ويطلب الشاعر من ممدوحه أن يتحصَّن بالله وبأسمائه خوفًا من الحاسدين؛ الذين شبههم بالعقارب السود التي لا تنام، ولا تظهر إلا في الخفاء وفي المناطق

(1) المصدر نفسه (٣٧/٢). تفرَّجت: انجلت. الفَرِس: من ألقاب الأسد. العادي: الناكث للعهد.

(2) الزمن في الشعر الجاهلي، عبد العزيز طشطوش، رسالة ماجستير مخطوطة، اليرموك، ١٩٨٦، ص (١٠٦).

(3) ديوان بشار (٣٩٧/٢). النقع: الغبار. السقف: يقصد السماء. البيض المباتير: السيوف القواطع.

والأوقات المظلمة، وتلسع دون أن ترى، يقول[١]:

أعِيذُكَ بالرَّحْمَنِ مِنْ دَحْسِ حَاسِدٍ ينامُ وما نامتْ بليْلٍ عَقاربُهْ

وهو في وصفه لشجاعة ممدوحه، يركِّز على فعل السيف، والسيف دائمًا من أسرة البطل الممدوح، وكان اللون الأبيض من الألوان التي كانت من المسميات الكثيرة التي استخدمها في مديحه، فالسيوف البيض ظمأى إلى دماء الأعداء، يقول[٢]:

ركبْنا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثقَّفٍ وَأبْيضَ تَسْتَسْقي الدماءَ مَضاربُهْ

وشبَّه السيوف البيض بإنسان يتعطش لدماء الأعداء، وسيوفه كواكب تلمع في نقع أسود، يقول[٣]:

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُؤُوسِهِمْ وأسْيافَنا ليْلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

وشبَّه ممدوحيه «بالبيض الحداد» وبها كان حكمهم راسيًا، وأيامهم مكللة بالنصر على أعدائهم، يقول[٤]

كانوا – ولا دِينَ إلاّ السَّيْفُ – مُلْكُهُمُ راسٍ وأيَّامُهُمْ عادِيَّةٌ غُلُبُ

ويقول[٥]:

(1) ديوان بشار (١/١٩٧). الدّحس: الإفساد.

(2) المصدر نفسه (١/٢٧٣). المثقف: الرمح المقوم. الأبيض: السيف.

(3) المصدر نفسه (١/٢٧٣).

(4) المصدر نفسه (١/١٨٧). العاديّة: القوية. غُلُبُ: كثيرة الغلبة. ولا دين إلا السيف: جملة معترضة تمجيد للقوة.

(5) ديوان بشار (١/١٨٨). زبانية: جمع زبنية، وهو القوي الشكيمة. الويل: تدل على المصاب الأليم.

بيضٌ حِدادٌ وَأشْرافٌ زَبانِيَةٌ يغدُو على مَنْ يُعَادِي الويلُ والحَرَبُ

وجعل الشاعر الممدوحَ يطعم أعداءه ضرب السيوف، «البيض المرهفة»، يقول[١]:

ويا قِراهُ العدُوَّ مُرْهَقةً بِيضًا ويا لينَهُ إذا صَحِبا

وهو يشبِّه السيوف البيض بنجوم السماء موزَّعة على أفراد الجيش، يقول[٢]:

لُهَامٌ كَأنَّ البِيضَ في حَجَرَاتِهِ نُجُومُ سماء «نورُها» مُتَجَوّبُ

وإذا صد الملوك الجبابرة عن ممدوحه كان عتابه لهم مرّا بالسيوف البيض، يتجاوز حدود المعقول إلى الحرب والقتل؛ حتى تعود الأمور إلى مجراها، يقول[٣]:

إذا المِلِكُ الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إليْهِ بالسيُّوفِ نُعَاتِبُهْ

وسيف الممدوح صقر، وأعداؤه كالحبارى، لا يدفعون عن أنفسهم، ينصتون إذا ما وقعت عليهم سيوفه، يقول[٤]:

مُصيخينَ مِن وَقع السُّيُوفِ كأنّهُمْ خِرَابٌ تَلوذُ مِنْ صُقور فَلاةِ

وسيوفه البيض تلمع بالموت، ويقول[٥]:

نَصَبْتُمْ لَهُ البيضَ اللَّوامِعَ بالرَّدى وخطيَّةً أخْمَدْنَ ما كانَ أوْقَدَا

(1) المصدر نفسه (١/٢١١). القِرى: طعام الضيف.

(2) المصدر نفسه (١/٢٦٠). اللهام: الجيش العظيم. البيض: السيوف. الحجرات: النواحي. متجوّب: موزع.

(3) المصدر نفسه (١/٢٧٢). صعّر خدّه: مال به عنّا تهاونًا واستكبارًا.

(4) المصدر نفسه (١/٤١٢). مصيخين: منصتين. الخراب: ذكر الحبارى (طائر).

(5) ديوان بشار (٢/١٠٣). الخطيَّة: الرماح.

إن هناك علاقة وثيقة بين المحارب/ الممدوح وأداة الحرب/ السيف، فبالسيوف يفوز الممدوح، ويبدِّد الظلام ويقضي على أعدائه، وسيوف الهند التي يستخدمها مرهفة لامعة في ظلام الغبار الدامس. وعلاقة الممدوح بالسيف من صور الشهامة والرجولة والحياة.

ويشكِّل اللون الأبيض عند الشاعر قيمة أخرى هي قيمة الكرم، فالممدوح[١]:

أغرُّ أبلجُ تكفِينَا مشَاهِدُهُ في القاعِدِينَ وفي الهَيْجَا إذا رَكِبُوا

وكفُّ الممدوح بيضاء كريمة لكثرة عطائه، يقول[٢]:

وَكَفانِي أمْرًا أبرَّ عَلَى البُخْـ ـلِ بِكَفّ محمودةٍ بيضَاءِ

وأياديه بيضاء على الناس عامتهم وخاصتهم، يقول[٣]:

كمْ لَهُ مِنْ يَدٍ عَلَينا وفينا وأيادٍ بيضٍ على الأكْفاءِ

ويقول[٤]:

أغرُّ مُسْتَمْطَرُ اليَدَيْنِ إذَا راحَ عليْهِ زُوَّارُهُ عُصَبَا

وهو بعد ذلك يسقط قيمة الكرم على الوجوه، فممدوحوه بيض الوجوه،

(1) ديوان بشار بن برد (١/١٨٧). الأغر والأبلج صفتان لجمال الوجه وبشاشته، هو مضيء الوجه عند لقاء أصحابه، وقاتم على الأعداء في الهيجاء.

(2) المصدر نفسه (١/٥٢). الكف البيضاء الكريمة كفتني ذل السؤال.

(3) المصدر نفسه (١/٥٢).

(4) ديوان بشار (١/٢٨٨). مستمطر اليدين: كريم جواد. العصب: مفردها العصبة، وهي الجماعة.

كالسيوف الحادة الصقيلة، فبياض وجوههم دليل كرمهم، يقول[١]:

بيضٌ مصاليتٌ دونَ ضَيْمِهِمُ وَعْرٌ وما دونَ سَيْبِهِمْ وَعِرُ

وهو عندما يشكِّل من ثنائيتي الأسود والأبيض قيمتي الشجاعة والكرم، لا ينسى أن يُكمل الصورة بلون آخر جديد جميل يدل على خصب العيش ورغده، وهو اللون الأخضر، يقول[٢]:

نِعْمَ دُعاةُ الإمامِ حِلْمُهُمُ راسٍ ومَرْعى جَنَابِهِمْ خَضِرُ

واستخدم اللون الأسود في معرض الهجاء، مشِّهرًا بالممدوح مشوهًا صورته ولونه، متطاولاً عليه، يشكِّل منه لوحة استثنائية مركبة بطريقة مشوّهة، ساخرًا مزدريًا، أظهر الشاعر فيها قدرة فائقة على تصوير بشاعة المهجو، حيث اختار العيون الزرق للوجه الأسود، والعادة أن تكون في الوجه الأبيض، يقول[٣]:

ولِلْبَخِيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ العُيونِ عليها أوجُهٌ سُودُ

وهو في جانب آخر يعيّره بلونه الأسود، الذي سبب البلاء للآخرين، يقول[٤]:

أفَرْخَ الزِّنْجِ طالَ بِكَ البَلاءُ وساءَ بِكَ المقَدّمُ والوراءُ

ويقول[٥]:

(1) ديوان بشار بن برد (٢/٢٨٩). الوعْر: الصعب: الوعِر: السهل.

(2) المصدر نفسه (٢/١٨٩).

(3) المصدر نفسه (٢/١٩٢). العلل: مفردها العلة، وهي العذر الذي يتستر خلفه البخيل ليمنع عطاءه.

(4) ديوان بشار (١/٦٠). فرخ الزنج: يقصد العبد الأسود أبا هشام الباهلي.

(5) ديوان بشار (١/٤١٢). احذر شرّي.

قلْ لِفَرْخِ الزِّنْجِيِّ: لا تَشْكُ لَيْثًا وَتَعَوَّذْ مِنْ شَرِّهِ ما استَطَعْتَا

ويستهجن الشاعر على مهجوِّه الأسود أن يغازل الحرائر الشريفات البيض من آل عامر، ويدعوه أن يكفَّ عن هذا الباطل، يقول[١]:

أراكَ تُجَاري الغُرّ منْ آلِ عامِرٍ وأنتَ بهِيمُ اللونِ حَسْبُكَ مِنْ فَنَدْ

ويبدو أن «**طبيعته في الهجاء... كانت أقوى طبائعه**»[٢]، وهو عندما يهجو يكون غضبه كبيرًا، وقد وصف قصيدته بأنها تحرق كاللهب، فاستخدم اللون الأحمر ليتحدث عن حدتها وقوتها، يقول[٣]:

وَلقدْ هَمَمْتُ بِيَحْيَى ثمَّ أدْرَكَنِي حِلْمِي فأمْسَكْتُها مُحْمَرَّةً لَهَبَا

واستخدم اللون الأحمر في تشبيه قصيدته بالنار الملتهبة، يقول[٤]:

وَلقد أفأتُ عَلَى سُهَيْل مِثْلَهَا حَمْرَاءَ ليسَ لحرِّها تقْتِيرُ

اللون والزمن:

شكا الشعراء الليل وطوله وعدم انجلائه، وكان سواد الليل مجالاً واسعًا لتشبيهاتهم، «**والشعراء من الليل أفزع، وإلى النهار أنزع، لأن الليل أجمع لأشتات الهموم والفكر، وأجلب لشوارد الأحزان، والذكر**»[٥]، وتحدَّثوا في

(1) المصدر نفسه (١٧٥/٢). الغرّ: الذي لم تصلُب عوده التجارب. الفند: الكذب. تجاري: تماري.

(2) بشار بن برد، إسماعيل يوسف، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨، ص(٢٢).

(3) المصدر نفسه (٣١٥/١). يحيى: هو يحيى بن صالح بن علي.

(4) المصدر نفسه (٣٧٨/٢). سهيل: هو ابن سالم مولى بني سعد. القتر: الغبار.

(5) ديوان الصبابة، شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي، بلا طبعة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٤، ص (١٠).

الليل عن آلام الحب والبين والفراق، «**والملاحظ أن الشعراء – في هذه الفترة – عنوا بناحيتين مهمتين في تصويرهم الليل: التجسيم والتشخيص، والعناية باللون**»[(١)]، والليل هو الزمن الحاضر في شعر بشار، وهو الطبيعة الصامتة، فالليل ثقيل طويل لا يتزحزح، فكأنه أصبح ليلين، يعكس نفسيته. لقد صاغ الشاعر صورته صياغة جمالية بوعي ساهمت في تركيز المعنى وتكثيفه عند المتلقي، وكرَّر معاناته في العجز أمام قوة أعلى منه تتمثَّل في الليل بقدرته غير المحدودة، والليل هو الزمن الذي حُرم الشاعر فيه النوم، تتجلى فيه لحظة الحزن التي لا تنتهي، وهذا الزمن/ الليل جزء من الدهر الذي يُصيب الإنسان في أغلى ما يملك، «**فكلما اشتد إحساس الإنسان بالزمن اشتد إحساسه بالموت، وتجربة الحب تجربة تعيش بلا شك في إطار زمني يشكِّل الزمان عنصرًا أساسيًّا فيها**»[(٢)]، فكان زمن الشاعر/ الليل الأسود حزنًا وقلقًا وهمًّا، يرقب زواله، فالليل عناء وجهد وتعب، والزمن/ الصبح – عنده – مسرّة وفرح، يقول[(٣)]:

آبَ لَيْلِي ليتَ ليلي لمْ يَؤُبْ إنَّما اللَّيْلُ عَنَاءٌ لِلْوصِبْ
أرْقُبُ الليلَ كأنِّي واجِدٌ راحَةً في الصُّبْحِ منْ جُهْد التَّعَبْ

والشاعر العاجز الرافض هو البؤرة في الليل الطويل، تتجلى عنده كل

(1) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، أنور أبو سويلم، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٣، ص (٧٠).

(2) الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، إبراهيم سنجلاوي، ط، مكتبة عمّان، عَمَّان، ١٩٨٥، ص (١٢٦).

(3) ديوان بشار بن برد (٣٠٦/١). الوصب: الوجع.

صنوف العذاب، وهو يتذكر عناءه ومعاناته مع المحبوبة؛ التي يبدو أنها لم تكن على وصال معه، يقول[١]:

بهواها طالَ لَيْلِي وبِها طالتْ شَكاتي

ويقول[٢]:

أبيتُ اللَّيلَ مَحْزونًا وأغْدو هائِمًا صَبًّا

وهو لهذا يخاف أن يأتي زمن الليل المقلق الطويل، ولا يشتهي أن يتكرر، فحركة الليل حركة سلبية سوداوية في نفس الشاعر، تتمدد دائمًا، ولقد «**كان التعبير باللون وسيلة... من الوسائل التي استخدمها الشعراء للإحساس بجمال الليل، أو وحشته أو ظلمته أو انكشافه**» [٣]. وقد تكون الألفة بين الشاعر والليل مرتبطة باتصاله بمحبوبته أو عدم ذلك، فبالهجر تنقلب ألفة الليل وحشة، ويصبح ضجرًا وخوفًا ويأسًا، ويكون الزمن ثقيلاً، والشاعر بفعل الزمن/ الليل الأسود يُحرَم النوم، فكأنه ملدوغ، حاله الألم والخوف والأرق والترقُّب والأنين والاستنجاد والاستعطاف والقلق، إنه مشهد مؤلم استثنائي، يقول[٤]:

فَكَأنَّ لَيْلَكَ مِنْ تَذَكُّرِها لَيْلُ السَّليمِ سَرَتْ عَقاربُهُ

ويحاول الشاعر أن يواجه الزمن المتمثِّل في الليل، يدفعه حبّ فتاة لا

(1)ديوان بشار بن برد (٤١٦/١).

(2) المصدر نفسه (١٥٢/١).

(3) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، ص(٧١).

(4) ديوان بشار بن برد (١٧٢/١). السليم: الملدوغ من حشرة سامة (أفعى أو عقرب).

يستطيع أن يراها، لإعراضها عنه، يقول[١]:

أساورُ الهَمّ تحتَ اللَّيلِ مُجْتَنِحَ ًا قدْ شفَّنِي قَمَرٌ في السِّتر محْجُوبُ

ويقول[٢]:

أساورُ الليل تحت الهمِّ مُجْتنحًا مِنْ طولِ صفْحكِ عنِّي في أعاجيبِ

وتتطور حال الشاعر/ بؤرة الحدث ليصوِّر قلبه أنه كجناح الطائر الذي يتأجج خفقانًا، فيطول الليل، بسبب ألم الشوق، ويُدْخِل عنصرًا جديدًا على هذا التشكيل الشعري، فلقد أشفق عليه البشر لشدة ما أصابه، فنصحوه ولاموه، لكنه لم يستمع إلى النصح ورفض اللوم، لأن همَّه كبير لا يستطيع أن يواجهه أو يسيطر عليه. ويصل ذروة الثورة على هذا الزمن، فيعلو صياحه، فيستنكر طول الليل، الذي لا يتزحزح، وينظر إلى الزمن البعيد المأمول الزمن الأبيض، الصباح الذي يجلو همه، لكنه لا يأتي، فقد أصبح الليل دهرًا لا يفارقه، وليس يطيقه بما فيه، يقول[٣]:

خَلِيلَيّ ما بالُ الدُّجى لا تَزَحْزَحُ وما بالُ ضَوْءِ الصُّبحِ لا يَتَوَضَّحُ

أضَلَّ الصَّباحُ المسْتَنِيرُ سَبِيلَهُ أم الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ

وقد ظهر الشاعر – أحيانًا – معزِّيًا نفسه بصبح قادم، يخفف عليه، ويخاطبها من خلال الآخر، ويطلب منها أن تتحمل، فوراء الليل صباح مشرق، يقول[٤]:

(1) ديوان بشار بن برد (١/١٤٢). أساور: أعايش. مجتنحًا: ساهرًا جنح الليل.

(2) المصدر نفسه (١/١٤٣). الصفح: الإعراض.

(3) المصدر نفسه (١/٤٦٢).

(4) ديوان بشار بن برد (١/٤٥٦). النجح: النجاح.

قاسِ الهمومَ تَنَلْ بهَا نُجُحَا والليل إنَّ وراءَهُ صُبُحا

ويطلب من الآخرين أن يحادثوه بما يؤرقه، ويقض مضجعه طوال الليل، لأن هذا يخفف عنه أيضًا، يقول(١):

أبِيتُ اللَّيْلَ مَحْزونًا وَأغْدو هائِمًا صَبّا
فإنِّي لَيْسَ لي قلبٌ وإنْ كُنْتَ تَرَى قلْبا
فَحَدِّثْنِي بما أدعُو كَ طولَ اللَّيلِ مُنْكَبًّا

لقد كانت المرأة شغل الشاعر الشاغل، فهي لا تمنُّ عليه بالرضا، مزاجها متقلب تصله مرة وتقطعه مرات، يقول(٢):

أماتَ الشَّوقُ أوْصالِي وبعضُ الشَّوقِ تَمْوِيْتُ
أمَا حَسْبُكِ أنِّي منـ ـكِ طولَ اللَّيْلِ مَسْبوتُ

وقد يكون الليل عند بشار اقتناصًا للَّذة بعيدًا عن أعين الرقباء، «**فالليل في التجربة الشعرية يتلون بانفعالات الشاعر ورؤيته، فيصبح في إطاره النفسي متعدد الألوان والسمات، وذا أوجه متغايرة ومتقلبة، ينسجم وتارات النفس**»(٣)، فهو عندما ينسى، تصفو ليلته ويغيب همه، فتصبح ليلته خمرًا صفاء، يتلذذ فيها بشرب الخمرة، فينسى كل شيء، يقول(٤):

(1) المصدر نفسه (١/١٥٢).

(2) المصدر نفسه (١/٣٥٨). الأوصال: المفاصل. المسبوت: الميت.

(3) الليل في الشعر الجاهلي، نوال إبراهيم، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن ١٩٩٧، ص (٦٢).

(4) ديوان بشار بن برد (١/٥٣٨). كانت ليلته صافية كالخمر.

غابَ القذَى فَشَرِبْنا صَفْوَ لَيْلَتِنَا حِبَّيْنِ نَلْهُو ونَخْشَى الواحِدَ الصّمَدَا

وهو عندما يتوحَّد مع الليل، تغيب المسافة بينهما، فيندغم مع الزمن ويصفو، فكأن ما وعد به نفسه من أن الليل سينجلي ويأتي الصبح قد تحقَّق ولو لليلة واحدة، فيكون الليل لقضاء الحاجة الجميلة، فيصبح كالملوك يعاقر الكأس فينتشي، ويشعر بلذة الحياة ونشوتها، يقول(١):

حتَّى إذا الدِّرْياقُ فِينا دَبَّا وَجَنَّ لَيْلٌ وقضيْنا نَحْبَا

رُحْنا مَع اللَّيْلِ مُلُوكًا غُلْبَا مِنْ ذا ومِن ذاكَ أصبْنا نَهْبَا

لقد كانت الطبيعة الملهم الأول للشعراء، يستوحون منها تجاربهم الشعرية، وكان الليل من أكثر مفردات الطبيعة التي شكا بشار فيها همه، ففيه يشعر بالغربة والقلق، وفيه تتجدَّد آلامه، فعلاقته بالآخر من خلال الليل تقوم على الخلل، ولهذا رفض الواقع، وظل مهمومًا في ليله الذي قلَّما يفارقه بكل إيقاعاته المتناثرة.

لقد كان ليل بشار سرمديًّا لا يتزحزح، ليلَ عاشق يموج بالهموم، ممزوجًا بالمعاناة، ولا يريد عودته، ولقد تفنَّن في وصف ليل العاشقين، وما يصيبهم من شقاء وقلق، يقول(٢):

نَبَا بِكَ خَلْفَ الظَّاعِنِينَ وسادُ وَمَا لَكَ إلاّ رّاحَتيْكَ عِمادُ

لِخَدِّكَ مِنْ كفَّيْكَ في كلِّ لَيْلَةٍ إلى أن تَرَى وَجْهَ الصّباحِ وِسادُ

(1) المصدر نفسه (٨٥/١). الدّرياق: من أسماء الخمرة. النحب: الحاجة. غُلْبا: أي غلاظ الرقاب منتفخو الأوداج، وقد ارتوينا من كل شيء.

(2) ديوان بشار بن برد (١٩٨/٢). نبا: جفا. الظاعنون: الراحلون. النفاد: الانتهاء. الداجي: الشديد السواد.

تَبِيتُ تُراعِي اللَّيلَ تَرْجُو نَفادَهُ وليسَ لِلَيْلِ العاشِقِينَ نَفادُ
تَقَلَّبُ في داجٍ كأنَّ سوادَهُ إذا انجابَ موصولٌ إليه سوادُ

وفي حديثه عن الزمن يصف الشاعر السَّنَة التي يشوبها قحط وجدب بأنها سنة حمراء، فكان اللون الأحمر راعبًا مخيفًا في نفس البشر، يقول[1]:

حَطُوطٌ إلى قوْدِ الجِيادِ عَلَى الرَّحَا وفي السَّنَةِ الحمْراءِ جَمُّ الموارِدِ

ويتجلى الزمن في شعر بشار في **حديثه عن الشيب**، والشيب في العموم كفيل بتحويل الحياة إلى قطعة من العذاب النفسي والجسدي في آن معًا، لذلك تعلو دومًا نبرة اللهفة إلى الشباب الذي أدبر، والزمن الذي ولى، وقد أظهر – وهو يتحدث عن الشيب – تحسرًا على أيام الشباب، وهذا الإحساس هو الذي لوّن معجمه اللفظي بهذا اللون، وأمام دورة الزمن يكون اللون الأبيض انهزامًا نفسيًّا، يعني الذبول والوهن والإحساس بالضعف، والتحسر والتأزم النفسي والإحساس باليأس.

«**والزمان يستنزف قوى الإنسان، ويسير بخطاه إلى المستقبل المشوب بالضعف، وعدم القدرة على ممارسة نشاطاته في الحياة كما كان في الماضي، فيتأتى له شعور بأن الزمان يقوده إلى الفناء، وما الشيب إلا نذير ذلك**»[2]، فالعلاقة بين الزمن والشيب علاقة طبيعية، فالدهر لا يبقى على حدثانه، والزمن لابد أن يؤثِّر في الكائن الحي، حتى يفنيه «**والشيب تحول زمني**

(1) ديوان بشار بن برد (١٤١/٢). الرحى: الحرب. جمّ: كثير. السنة الحمراء: سنة القحط والجفاف. يقود الفرسان في المعركة، وفي سني الجدب كثير الرزق.

(2) الحب والموت في شعر بشار بن برد، إبراهيم ملحم، ط١، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ١٩٩٨، ص (٦٧).

أكثر عمقًا وقسوة ونفيًا للإنسان»[١]، فهو يُنذر بالموت، فقد كان الإنسان يعيش الخصب والإشراق والجمال، ونقاء الصورة، والحيوية، وقوة الذهن، وحضور البديهة، وصار مع الزمن يفقد كل شيء تدريجيًّا، حتى الشعر الأسود الجميل يتغير لونه إلى الأبيض، فالسواد هنا جمال وحياة، والبياض موت وفناء وخوف وقهر وضعف وسكينة واستسلام، ومع ذلك يحاول الإنسان أن يقاوم، فالإحساس بالشيب زمن حاضر، والشباب إحساس بالماضي، ولا يتحدث الشاعر عن الشيب إلا بعد أن يصبح هرمًا، يقول[٢]:

عَبْدُ مُنِّي وأنْعِمِي قد مَلَكْتُمْ قِيَادِيَهْ
شابَ رأسِي ولمْ تَشِبْ وا بَلائي لِدَاتِيَهْ

والبحث في الماضي هو بحث وراء الشباب بما فيه من حيوية وقوة، ولهذا فبشار يتحسَّر على تلك الأيام، يقول[٣]:

إذا حَسَرَ الشَّبابُ فَمُتْ جَميلاً فَما اللَّذَّاتُ إلاّ في الشَّبابِ

ويقول[٤]:

لَمَعَتْ إليَّ تَسُوُمُنِي لَعِبَ الشَّبابِ وقدْ طَوَيْتُهْ

ويقول[٥]:

فَبِينِي كَما بانَ الشّبابُ الذي مضى وكانتْ يدٌ منهُ عَليّ فَوَلَّتِ

(1) الزمن في الشعر الجاهلي، ص (٦٧).
(2) ديوان بشار بن برد (٢/٥٦٠). لداتيه: أترابي.
(3) المصدر نفسه (١/٣٥٩). حسر: زال وانتهى.
(4) المصدر نفسه (١/٣٩١). لمعت: برقت وظهرت. تسومني: تعرض عليّ. لعب الشباب: اللهو والهزل. طويته: تركته، هجر لعب الشباب.
(5) ديوان بشار بن برد (١/٤٢٤).

ويقول[١]:

شابَ وقد كانَ في شَبيبتِهِ شَهْمًا يَبُولُ الرِّئبالُ منْ غَضَبِهْ

ويشكو الشاعر آلام الفراق في شبابه وفي شيخوخته، فهو متشائم حزين، قد غيّر الشيب حياته، وأثَّر في نفسيته، فكأنه تاج قد لبسه، لا يستطيع منه خلاصًا، يقول[٢] :

فَيَا حَزَنًا لا أنا غِرّ مُشَبَّبٌ نَعِمْتُ ولا في الشَّوقِ إذْ أنا أشيَبُ

ويقول[٣] :

فَغَيّرَ ذاكَ العَيْشَ تاجٌ لَبِسْتُهُ

وهو يائس بعد أن غزا الشيب رأسه، وأصبح عاجزًا لا ينفعه البكاء، ولا تنفعه الدموع، وهو لهذا يدعو نفسه أن يكفّ ويخلد للسكينة والاستقرار بعد أن كبر وشاب، لأن الزمن لا يعود إلى الوراء، يقول[٤]:

لا تجر شيبكَ للصِّبا فَرَسًا واقعدْ فإنَّ لِدِيكَ[٥] قدْ قعَدُوا

ويذكِّر الشاعر المحبوبة التي نفرت منه أنّ كل شيء إلى انقطاع، بعد أن قال فيها «**قد شابَ رأسُكَ في تذكُّرها**»[٦]،وبعد أن بكى الشيب «قلتُ: **عينٌ**

(1) المصدر نفسه (١٠٧/١). شاب: أصبح كهلاً. الشهم: عكس النذل. الرئبال: من أسماء الأسد.

(2) المصدر نفسه (٢٩٩/١). الغرّ: الشاب. المشيب: الجميل الوجه. لم أنعم بالحب لا في شبابي ولا في مشيبي.

(3) المصدر نفسه (٣٧٧/١). أراد بالتاج الشيب الذي يكلِّل شعر الرأي كالتاج.

(4) المصدر نفسه (٣٧٨/١).

(5) جمع (لِدَة) لِدات و (لِدُوْن)، وهذه تصير في حالة النصب والإضافة إلى كاف الخطاب: لِدِيْك . [المجلة].

(6) ديوان بشار بن برد (١٢٣/٢).

بكتْ من الشَّيب إذ حلّ»[١]، وبعد أن قال: «**لا تُكْثرنَّ بِشَيْبَتِي عَجَبًا**» [٢]، فإذا نفرت الحسان من الشيب، وودَّعن كل أشيب، فحسنهن لن يدوم، وأحداث الأيام ستُبلي شبابهن، يقول [٣]:

فإذا هُنَّ قد نَفَرْنَ منَ الشّيْـ بِ وأوْقَدْنَ للوداعِ وَقودا
كلُّ شيءٍ إلى انقِطاعِ مَداهُ وصُروفُ الأيّامِ تُبْلي الجَدِيدَا

ومع أن اللون الأبيض عند الشاعر في هذا المقام شؤم وقلق وخوف، فقد كانت للشيب إيجابياته، فهو لا يخشى القتل بسبب الهوى لأنه أصبح هرمًا، ومثله لا يُقتَل، يقول[٤]:

لا تَخْشَ قتْلي حينَ شبـ ـتُ وهلْ يخافُ الأشْيَبُ

والمتوَّج بالشيب، يقصده الناس لكرمه، ويصبح خبيرًا في الحياة، كريمًا ذا سؤدد شجاعًا مقتدرًا، يقول[٥]:

وكلُّ مُتَوَّجٍ بالشَّيْبِ يَغْدو طويلَ الباعِ مُنْتَجَعَ الجَنَابِ

والشاعر على كرهه للشيب، لا يحب أن يفارقه أحيانًا، فالشيب في بعض حالاته حياة، وفراقه على كرهه موت وفناء، يقول [٦]:

---

(1) المصدر نفسه (٥٢٨/١).
(2) المصدر نفسه (١٦٧/١).
(3) المصدر نفسه (٥٣١/١).
(4) المصدر نفسه (٣١٦/١).
(5) ديوان بشار بن برد (٢٠٦/١). منتجَعَ الجناب: تنتجعه الناس لكرمه. والجناب: الجهة. طويل الباع: كريم مقتدر.

(6) ديوان بشار بن برد (٢٣٧/٢). المودود: المحبوب.

الشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أنْ يُفارقِنِي أعْجِبْ بِشَيءٍ على البَغْضاءِ مَوْدودِ

ويصف الشيب بالغراب الأبيض، يقول[١]:

وصَحَوْتُ منْ سُكْرٍ وكنتُ مُوَكَّلاً أرْعَى الحَمامَةَ والغُرابَ الأبْيَضَا

فعبارة الغراب الأبيض، استعارة تنافرية، فالأصل في البياض أن يكون للجمال والسواد للموت والتشاؤم، لكن الصورة العامة هنا شؤم، الأبيض/ الشيب في الأصل شؤم، والغراب الأسود مثلها.

لقد كان الزمن سببًا في الشيب وهو نذير الموت، ولا يمكن للإنسان أن يعود إلى الوراء، فالبياض إيجابي في أصل دلالته، لكنه هنا نذير شؤم وصورة موت ونهاية.

إن استلاب الشباب أول درجات الموت، عندها يسترجع المرء أمجاد الماضي، وكل حركة في الزمن عند الكائن حركة نحو الموت، والشيب علامة ظاهرة لهذا التغير في حياة الإنسان، وهو محنة يمر بها الناس «**ولذلك نجد أن من وخط المشيب رأسه لا يفتأ يتحسر على الشباب، ويذكر أيامه، ويتمنى عودته... كما أنه يكره الشيب، فهو لا يفتأ يذكره بسوء**»[٢].

(1) المصدر نفسه (٢/٤٢٥).

(2) الزمن في شعر البحتري، الشيب والشباب أنموذجًا، فاطمة محجوب، مكتبة الدراسات الأدبية (٨٠)، دار المعارف، مصر، ص (٨).

الخاتمة:

ظهر لي في نهاية البحث أن بشارًا كان مبدعًا في تشكيل الصور الحسية البصرية، واستطاع أن يصل إلى غرضه بقدرة كبيرة، بأداء جيد وبصيرة نافذة، وعاطفة صادقة، وقد استخدم الشاعر أغلب الألوان في شعره، لكنّه غلّب اللونين الأبيض والأسود، فكان البياض في لون المرأة من أكثر الألوان التي أثارت اهتمامه، وسواد الليل وما فيه من هموم كثيرة بسبب الحرمان والفراق والبين طغى على ذهنه أيضًا، فظهر واضحًا كثيفًا في شعره. ولم ينس الشاعر وهو يركِّز على قيمتي الشجاعة والكرم أن يذكر بياض السيف، وبياض أيدي الممدوح، فالممدوح في الشعر العربي أبيض اللون بياضًا معنويًّا. وشكَّل هذا اللون عنده صورة نمطية للمرأة والممدوح والسلاح، مثلما كان الأخضر لرغد العيش. والشاعر في كثير من الأحيان يربط البياض بالخوف والحزن والموت، خاصة عندما يتحدث عن الشيب. ويربط السواد بصفات الجمال عند تصويره للمرأة، كوصفه للشعر الأسود والعيون السود والخال.

* * *

المصادر والمراجع

١- إبراهيم، نوال:

- الليل في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٩٧.

٢- بشار بن برد:

- ديوان بشار بن برد، شرح حسين حموي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦.

٣- البهبيتي، نجيب محمد:

- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة،

ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

٤– الجادر، محمود عبد الله (الدكتور):

– الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد(٢)، ١٩٩٠، ص(٩٠).

– الأداء باللون في شعر سحيم عبد بني الحسحاس. بحث، المورد العراقية، بغداد، المجلد (٢٧)، العدد(٤)، ١٩٩٩، ص(٦٠).

٥– ابن حجلة المغربي، شهاب الدين أحمد:

– ديوان الصبابة. دار ومكتبة الهلال، بلا طبعة، بيروت، ١٩٨٤.

٦– ربابعة، موسى (الدكتور):

– جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث، في كتاب «قطوف دانية» مجموعة بحوث لمجموعة من المؤلِّفين مهداة إلى الدكتور ناصر الدين الأسد، تحرير عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية، ط٢، ١٩٩٧، ص(١٣٦٠).

٧– سنجلاوي، إبراهيم (الدكتور):

– الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي، ط١، مكتبة عمَّان، عمَّان، ١٩٨٥.

٨– أبو سويلم، أنور (الدكتور):

– الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول، ط١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٣.

٩– طشطوش، عبد العزيز (الدكتور):

– الزمن في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة اليرموك، ١٩٨٦.

١٠– عبد الرحيم، أمينة (الدكتورة):

– الضوء، ط٣، دار الطباعة والنشر، مصر، ١٩٧٠.

١١– عبيد، محمد صابر (الدكتور):

– التشكيل اللوني في الشعر العراقي الحديث، بحث، مجلة الأقلام العراقية، بغداد، السنة ٢٤، ع١١، ١٢، ١٩٨٩، ص (١٦٩).

١٢- العقاد، عباس محمود:
- مراجعات في الآداب والفنون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦.
١٣- الفيفي، عبد الله (الدكتور):
- الصورة البصرية في شعر العميان، ط١، النادي الأدبي – الرياض، ١٩٩٦.
١٤- القيسي، نوري حمودي (الدكتور):
- الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، بحث، مجلة الأقلام العراقية، بغداد، السنة الخامسة، ج١١، ١٩٦٩، ص (٧٥).
١٥- محجوب، فاطمة (الدكتورة):
- الزمن في شعر البحتري، الشيب والشباب أنموذجًا، مكتبة الدراسات الأدبية (٨٠)، دار المعارف، مصر.
١٦- ملحم، إبراهيم (الدكتور):
- الحب والموت في شعر بشار بن برد، ط١، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ١٩٩٨.
١٧- نافع، عبد الفتاح (الدكتور):
- الصورة في شعر بشار بن برد، ط١، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٨٣.
١٨- نصير، أمل (الدكتورة):
- صورة المرأة في الشعر الأموي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
١٩- نوفل، يوسف (الدكتور):
- الصورة الشعرية واستيحاء الألوان، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥.
٢٠- يوسف، إسماعيل:
- بشار بن برد، أخباره ونماذج من شعره، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٨٨.

فهرس أصحاب المقالات في مجلة اللسان العربي
(القسم السادس)[1]

إعداد: أ.عدنان عبد ربه

– أ –

ابتسام مرهون الصفار ٣٤/١٣، ١٦٣/١/١٧، ٢١/٢١،٢٥٦/١/١٧
إبراهيم أباظة ٥/٣/١١،١٥٥/٢/١١
إبراهيم أنيس ١١٨/١/١١،٢٠٧/١/١٠
إبراهيم حركات ٢٧٧/٦،٣٣/٤،٤٠/٢
إبراهيم الخطابي ١١٩/٤٤
إبراهيم الدرويش المصري ٢٦٦/١/٨
إبراهيم دسوقي أباظة ٢١٦/١/٩
إبراهيم السامرائي ٣٩/٣، ٧/١/١٠، ١٦٧/٤٧
إبراهيم الشمسان أبو أوس ٨٧/٤٢
إبراهيم عبد الرحمن محمد ٢١٤/٦
إبراهيم العريض ٧٥/١/١٢
إبراهيم العوضي عبد العزيز ٤٤١/٦
إبراهيم الفحام ٩٤/١٣
إبراهيم كونع الجو ٩٩/٤٥
إبراهيم مدكور ٣٠٣/٣، ٤٥٩/١/٩، ١٧/٢٧
إبراهيم نجا ١٥/٣/١٥
إبراهيم نحال ٩٢/١/١٨،٦٣/١/٧
إبراهيم نياس ١٧٢/٦،٢٩/٥
أبو بكر عبد الكافي ٩٩/١/١٨
أبو شتة العطار ٢٦٦/١/١٧
أبو فارس ٤٣٠/١/٩، ٨٧/٢/٩، ٢٣١/١/١٠،

(١) نشر القسم الأول في المجلد ٧٦ الجزء الرابع، ونشر القسم الثاني في المجلد ٧٧ الجزء الثاني، ونشر القسم الثالث في المجلد ٧٨ الجزء الثاني، ونشر القسم الرابع في المجلد ٧٩ الجزء الرابع. ونشر القسم الخامس في المجلد ٨٠ الجزء الأول.

٣١٣/١/١٧
أبو القاسم كرو ٨٧/٤
إحسان عباس ١١٦/٤
إحسان محمد جعفر ٧٣/١/١٦، ٢١٢/١/١٧، ٢٤٤/١/١٧، ١٨٩/٢٠، ٢٧/٢١، ٢٥/٢٨،١١٧/٢٦
إحسان محمد الحسن ٣٦٠/٢٦
إحسان النص ١٤٦/٤٧
أحمد الأخضر غزال ٥٥٥/٦،٢١٨/١/٩، ٦٦/١/١٠
أحمد أسلمو ١٧٤/١/١٩
أحمد بنزيان ٢٥٨/٢/١٧
أحمد بنعزوز ٣١٤/٣/١٠،٣١٣/٣/١١، ٣٦٠/٢/١٧
أحمد حماد ٣١٨/٣٩
أحمد الخضر ١٨٩/٥
أحمد الخطاب ٢١١/٤٧
أحمد ذياب ٩٢/٤٣
أحمد راتب النفاخ ٣٥٤/٢٥
أحمد رمزي ١١١/٤٣
أحمد رمضان شقيلة ١٠٥/٢٧
أحمد زكي بدوي ٣٢٨/١٣، ١٩٢/٢/١٨، ١٢٥/٢٦، ٣٥٦/٢٦، ٣٥٧/٢٦
أحمد سعيدان ٢٢٨/٣٢،٣٩/٢٧
أحمد الشاوني بنعبد الله ١٣٣/٢٢، ١١٣/٤٠
أحمد شحلان ٥/٣٦، ٦/٣٦، ٧/٣٦، ١٣١/٣٦، ٥/٣٧، ٥/٣٨، ١٧/٣٩، ٤٧/٣٩، ١٥/٤٣، ٢٩/٤٧،٦٩/٤٤
أحمد شفيق الخطيب ٣٧/١/١٩، ٣/٢/٩، ١١٣/٢٤، ١٦١/٣٦، ٩٢/٣٧، ١٤٥/٣٩، ٢٠٥/٤٣، ١٥٢/٤٧،٩/٤٤،
أحمد بن شقرون ٣٨٠/١/٧
أحمد شوقي بنيبين ١٦٥/٤٥
أحمد شوكت الشطي ١٨٠/٦،١٣٦/٥
أحمد صادق القرماني ٢١٤/٣٥
أحمد الصوفي ١٣٦/١/٧
أحمد الضبيب ١٥٩/٦
أحمد العايد ٥٤٨/١/٨، ١٠٣/٢٠، ٥٩/٣٢
أحمد عبد الرحيم السايح ١٤/٦،٤٠/٥، ١٩٣/١/٧، ٣٢/١/٧،

٣٨/١/٨، ٢٥٢/١/٨،
٣٠٤/١/١٧،٤٩/١/٩
أحمد عبد الستار الجواري ١٩١/١/١٥
أحمد عبد الغفور عطار ٢٠٦/١/٩
أحمد عبد القادر المهندس ٢١٥/٣٢
أحمد عمار ١٣٤/١/١٥
أحمد عمر يوسف ٢١٢/٣٩
أحمد قاسم عبد الرحمن ١٤١/٢٤،
٣٠٠/٢٧،١٢١/٢٦
أحمد كشك ١٠٢/١/١٨،١٢٠/١/١٧
أحمد المتيني ١١٧/٢/١٧
أحمد المحلاوي ٣٦٥/١/٧
أحمد محمد بشاوي ١١١/٢/١٧
أحمد محمد جمال ١٦١/٦
أحمد محمد جواد محسن ٢٣٠/٣٢
أحمد محمد حسين ١٧٢/٥
أحمد محمد الحوفي ١٩٥/١/١٠،١١/٢
أحمد محمد عيسى ٢٠١/٣٨
أحمد مختار عمر ١١/٣/٨، ٥/٢/٨،
١٣٣/١/٩،
٣١٣/١/١٤،
١٤٧/١/١٥،
٣٧/١/١٦،
٩٢/١/١٧،
٥١/١/١٨،
٥٧/٢٠،١١١/١/١٩،
٨٣/٢٢،٤٧/٢١
أحمد مدينة ٢٩٩/٢٧
أحمد مطلوب ٢٧٨/٢٤
أحمد منجي ١٧٢/١/١٩
أحمد نصر الدين الغندور ٢١٥/٦
أحمد نعيم الكراعين ٣٣٠/٣٩
إدريس حسن العلمي ٥١٣/٦،
٥٢٣/٦، ٥٧٠/٦،
٤٠/٢/٧، ١٨٥/٢/٧،
١٢٣/١/١١،
١٤٤/١/١٤،
٣٣٨/١/١٤،
١٣٣/١/١٦،
١٠١/٢٣، ٧٥/٣٠،
١٥١/٣٣، ١٥٥/٣٤،
١٨٤/٣٧، ١٥٤/٤٠،
١٩٣/٤٢، ١٢٧/٤٥،
٢٢٥/٤٧
إدريس الخطابي ٧٥/١/١٠
إدريس السلاوي ١٧٤/٤٤
إدريس عمور ١٨٤/٥
إدريس الكتاني ٣٨/١/١٠،٤٧/٣،٢٥/١
إدريس نقوري ١٤٠/٤٦
أدهم سفاف ٢٤٩/٢٦

إدوار يوحنا ١٧/١/٨٠،١٧/٢/١٠٨
أسعد حومد ٦/٣٠٧،٨/١/٣٠٣
إسلمو ولد سيدي أحمد ٢٣/٧١،
٢٤/٢٧٣، ٢٤/٢٧٥،
٢٥/٣٤٧، ٢٦/٣٥٧،
٢٦/٣٥٨،٤٥/١٩٣
إسماعيل العبايجي ٩/١/٤٤٠
إسماعيل بن علي الأكوع ١٥/١/٤٥
أكرم فاضل ٥/٢١٥، ٧/١/٤١١،
٨/٣/٢٥، ٩/٢/١٠،
١٠/٣/١٥٤
ألبير ديتريش ٦/٩٦
الفريد لويس دي برمار ٢٢/١٥١
إلياس زيتس ٥/٧٣
إلياس سعد غالي ١٦/١/٧٧
إلياس قنصل ٨/١/٥٠، ٨/١/١٨٦،
١٠/١/٨٢،
١١/١/١٣٩،
١١/١/١٨٢
أمل بن إدريس العلمي ٤٣/١٣١
أمين علي السيد ١٢/١/٢٩١
أنستاس ماري الكرملي ١٠/٣/٢٠٨
أنطوان شال ١٠/١/٧٥
أنور بكير ٤/٢٧،٥/١٠٣
أنور الجندي ٣/٨٠، ٤/١٢٨، ٥/٣٠٦،
٥/٣٥٧، ٧/١/٩٧،
١٠/١/٦٣،١٣/١٢٣
أنور الخطيب ٢٠/٨٥
أنور العطار ٩/١/٢٩٠
أنيس شباط ٧/٢/٦٣،٧/٢/٦٨
اهيدي محمد ٤٤/١٧٩
أوبلال حميد ٤٤/١٩٢
أيغوركون ٢٦/٣٥٩

– ب –

بابكر إدريس الحبر ٣٥/٤٩
باسل حاتم ٤٠/٢٠٠
باناهي ٨/١/١٨١
بديع الحمصي ١٨/١/١٢١
برصوم يوسف أيوب ١٧/١/٣١٢،
٢٢/٨١
بلاشير ١٥/١/١١٢
بلقاسم اليوبي ٤٦/١٧٨
بهاء الدين الأميري ٦/٢٧٤

– ت –

تاج السر الحسن ٥٩/٢٧
تمام حسان ١١/١/٢٤، ١١/١/٢٨٤، ٢٧٣/٢٤
التهامي الراجي الهاشمي ٦٣/٢١، ١٤٧/٢٤، ٢٢٧/٢٥
توفيق برو ١١٤/١/٧
توفيق سلطان اليوزبكي ١٥/١/١٨٤، ٣١٥/٢/١٧
توفيق سلوم ٣٥٩/٢٦
توفيق عمارين ١٧/٢/١٨٥، ١٨/٢/٣١٣
توفيق محمد شاهين ٢٦/٥٩، ٢٧/١٣٩، ٢٩/٨٧
توفيق المنجد ٥٣/٢

– ث –

ثاني عمر موسى ١١٢/٣٧
تيسير شيخ الأرض ٧/٢/١٥٦

– ج –

ج.س.ساجر ٤٢/١٧٠، ٤٧/١٨٧
ج.ف.رومريو ٢٣/١٤٩
جابر الشكري ١٧/١/١٥١
جعفر الحسني ٨/١/٥٣٦
جعفر الخليلي ٣/١٠١
جعفر دك الباب ١٩/١/٣١، ٢٠/١٣، ٢٥/٢٧، ٢٦/٨٣، ٣٢/٩، ٣٣/١٧، ٣٧/٧٥، ٣٨/٧٤
جعفر عبابنة ٣٩/٣١٣
جعفر الملاح ١٧/٢/١١٧
جلال شوقي ١٠/١/١٨٣
جليل أبو الحب ١٧/٢/١٤٥، ٢٢/٢٧٩
جمال الدين البغدادي ١/٧٦
جمال الدين الرمادي ٤/١١٣
جمال الدين الشيال ٢/٤٩
جمال الدين المظفر ١٨/٢/٥١
جمال عبد الفتاح صبري ١٤/١/٦٤، ١٦/١/١٩٧، ١٦/٢/٣٠٩، ١٦/٢/٤٢٣
جميل علوش ٢٨/١٩
جميل علي ٧/٢/٣٦٠
جميل عيسى الملائكة ١١/١/٢٧٨، ٢٤/٣٥، ٢٧/٣١، ٣٩/١٣٤
جواد حسني عبد الرحيم سماعنه ٢٠/١٣٥، ٢١/٣٧،

١٥٧/٢١، ٢٥٩/٢٤، ٢٦٤/٢٤، ٢٧٨/٢٤، ٢٨٠/٢٤، ٣٥٣/٢٥، ٣٥٤/٢٥، ٣٥٩/٢٦، ١٦١/٣٧، ٣٢٤/٣٧، ٣٠٣/٣٩، ١٢٧/٤٠، ٢١٥/٤٢، ٧/٤٣، ١٨٧/٤٧،٤٠/٤٦
جودت نور الدين ٧٣/١/١١
جورج حبيب الخوري ٣٦٦/٢/٧
جورج كولان ٧٢/٢
جورج ماطوري ٦٩/٣٦
جورج متري عبد المسيح ٤٠/٤٣
جورج مونان ٧٥/٢٦
جوزيف بيلاوسكي ٢٤٩/١/٧
جوناثان بول ١٤٩/١/١٤
الجيلالي حلام =حلام الجيلالي
جيمس بيتر ٣٧/١٣

– ح –

الحاج مير ٣٨٤/٧،٣٨٤/١/٧
حازم البكري ١٦٩/١٣
حازم سليمان الحلي ٥٠/٤١
حامد حسن ٣٨/٦
حامد صادق قنيبي ١٦١/٣٠،١٩/٢٤، ٩٧/٣١، ٥٧/٣٢، ٩/٣٧،٧٩/٣٤
حامد طاهر ١١٢/١/١٥
حامد عبد القادر ١١٩/١١
حبيب سلوم ٣٧/١٣
حبيب صادر ٢٠٣/٥
حبيب علي الراوي ٢٩٨/١/١٠
الحسن بنلفقيه ١٦٣/٣٤، ١٨٠/٣٤، ١٧٥/٣٦
حسن توبي ٣٣/٤٥
حسن الدجيلي ٦١/٢
حسن زوينة زادة ٢١٢/١/١١
الحسن السائح ٢٧٩/٦،٩٧/٣
حسن سعيد الكرمي ١٩٦/٣٨
حسن صادق المرصفاوي ١٥٣/١/١٦
حسن ظاظا ٩١/١/١٢
حسن عباس ١٢٣/١/١٧، ٦٧/٣٣، ٣٧/٣٤
حسن عطية طمان ١٤١/٣٧
حسن فهمي عبد المجيد ٢٣٨/٣
حسن محمد تقي سعيد ٢٩/٣٢، ٤٢/٤٠،٦٩/٣٨
حسن نصار ١٤٠/١/٧
حسني سبح ٢١/٢٧
حسني المحتسب ١١٧/١/٧

حسني محمود ١٧/٢٠
حسين عثمان ٢٣٨/٣٧، ٢٢٤/٣٨، ١٧٣/٤٠
حسين محمد ٩٣/١/٨، ١٠٠/١/٩، ١٣/١/١٠
حسين يسري عليوة ١٩٩/١/١٢
حكمت كشلي ٣٥٥/٢٦
حلام الجيلالي ١٨٦/٣٨، ١٨٤/٤٢، ١١٩/٤٥
حمدي أبو الفتوح عطيفة ٣٠٧/٢/١٩
حمزة الكتاني ٢٨٣/٢٠،٢١/٤٣
حميد بنسالم ٣٤/١
حنا حداد ٢٠٢/٤٦

– خ –

خالد رشيد ٢٣٠/٣٢
خالد عيد ٥/٣/١١،١٥٥/٢/١١
خضر بن عليان القرشي ١٤١/٢٢
خليل إبراهيم الحماش ١٢٩/٢٢
خليل إبراهيم العطية ١٩٤/١/١٧
خليل أحمد عمايرة ٧٧/٤٥
خليل سمعان ٥٤٩/٦، ٢٩٥/١/٩، ٢٥٩/١/١٧، ١٩١/٢٠
خليل عبد الله ١٦٩/١/٧
خليل العزيزي ١٢٩/٦
خليل عودة ٥٦/٣٩
الخليل النحوي ٩/٣٦
خليل الهنداوي ١١٩/١/٧،٤٨/٥
خوان خوصي بارسياغويانس ٣٦/٢/١٢
خير الدين حقي ٢٩/٢، ٦٥/١/١١، ٢٦/١/١٢

– د –

داود عبده ٦٣/٣١،٣٥/١/١٧
درويش العلواني ١٠٩/١/٧
دفع الله الترابي ١٤٣/٤٧،٧٧/١/١٤

– ذ –

ذنون أيوب ٣٢٨/١/٩

– ر –

رشاد دارغوث ٢٥٠/٦،٥٦/٥
رشاد محمد خليل ٧٦/١/١٥،٩٣/١/١٤، ٢٠٩/١/١٦، ٢١٩/١/١٧، ١٠٧/١/١٨، ١٩٥/٢٠،١٤٣/١/١٩
رشدي أحمد طيمة ٧١/٢/١٧
رشدي فكار ١٩/٢/١٦،١٢٧/١/١٥، ٣/٢/٢٧
رشيد أحمد بلحبيب ٤٥/٤٥،٣٩/٤٢، ٢٣١/٤٧
رشيد عبد الحق ٢٠٩/٢١
رضا جواد ٢٦٥/٢/١٨
رغدان العظم ١٧٥/٣٥

روكس بن زائد العزيزي ١٢٣/٥، ١١٨/٦، ٥٤٦/٦
روم لاندو ٩٢/٦
رينهارت دوزي ٢١٥/٥، ٢٥/٣/٨، ١٠/٢/٩، ١٠٤/٣/١٠

– ز –

الزبير الجيلاني موسى ٢٩٨/٢٤
الزبير مهداد ٢٣٣/٤٤
زكريا البري ٢١٧/٦
زكي الأرسوزي ١٠٤/١/٧
زكي طليمات ٨٦/٢
زكي عبد الملك ١٧٥/١/٨
زكي المحاسني ٣٠٢/٦
زكي نجيب محمود ١٧٣/٥
زهير علاف ٢٩٣/١/١٠
زهير الكتبي ١٤١/٤
زيان أحمد الحاج إبراهيم ٥٥/٣٦، ٧/٤٠
زيد بن عبد العزيز بن فياض ١٦٥/٦

– س –

س.بيت كوردر ١٤/١/٦٤، ١٩٧/١/١٦
ساطع الحصري ١٢/١/٣٦، ٣١/١٣، ٥٣/١/١٤
سالم رزق ٢٥١/٣، ٣٣٣/٢/١١، ١٣٧/٢/١٢، ٢٤٥/١٣
سالم محمد الحميدة ١٨٦/١/١٥
سالم مرعي الهدروسي ٥٩/٤٥، ٢١٤/٤٦
سامي الحفار الكزبري ١٥٥/١/٧
سامي الدهان ٢٨٩/١/١٠
سامي عياد ٢١٢/١/٨
سامي الكيالي ١٣٤/١/٧
سامية محمد جابر ١٢٣/٢/١٨
سعد غراب ٩٣/٣٩
سعد مصلوح ١٣٥/٣٣
سعيد الأفغاني ٢٣١/١/١٦
سعيد الديوه جي ٨٣/٤، ٢٨٢/١/٨، ٢٢٢/١/١٠، ٢٨٠/١/١٠، ١٠٣/٢٣
سعيد علوش ١٧٣/٢٩
سعيد هبة الله كامل ٢٩٤/٣٩
سفيان العسولي ١٥٧/٢٢
سلمان حسن العاني ٣١/٢٠، ٤٩/٢٦
سليم حيدر ٦٥/٢
سليم طه التكريتي ٢٠٩/١/١٧
سليم يوسف ١٨٢/٣٧

سليمان قطاية ١٤٤/٥
سليمان هادي الطعمة ٣٢٦/١/٩
سميح أبو مغلي ١٦٥/١/١٦
سمير عبد الرحيم الجلبي ٢٧١/١/١٧
سمير أبو مغلي ١٦٥/١/١٦
سهيل العشى ٥٤/٢
السيد خليل عطا ١٤٩/٢/١٨
السيد محمد يوسف ١٠/١/١٥،٥١/٤

- ش -

شارل بيلا ٥٠/٥،٨٥/١
شاكر طومان العيساوي ٢٣/١/١٤
شاكر الفحام ٣٥٤/٢٥،١١٠/٢/٧
شحادة الخوري ١٣٧/٢١، ٣٧/٢٦، ٩٧/٣٠،٩/٢٩
شفيق جبري ١٨/٤،٣٤٤/٣
شكري فيصل ٣٣/٣/١٥، ١٥/٢٦، ٧/١/١٢
شمس الدين البصروي ٢٢/١/١٥
شوقي سالم ٧٧/٢٥
شوكت الشطي ٧١/٦
شومان ٨١/٢

- ص -

صادق الهلالي ١٥٧/٢٢، ٧٦/٢٣، ١٣١/٢٦، ٩٣/٢٧، ١٦٣/٢٧، ١٢١/٢٨، ١٩٧/٢٩، ٢١٩/٣٠، ٥٣/٤٣،٥٩/٣٩
صالح أبو أصبع ١٩٧/٣٩
صالح القرمادي ٢٠٣/١/١٢
صباح صليبي الراوي ٨٥/٣٢
صبيح التميمي ٤٧/٣٠
صبيح صادق الحكيم ١٤١/١/١١
صبيح الغافقي ٤٠٥/١/٧
الصديق بن العربي ١٦٠/٢/٧
صفاء خلوصي ١٦٤/٥
صلاح الخيمي ١٨٠/١/١٩
صلاح الدين الكواكبي ٣٢٣/٢/٧
صلاح الدين المنجد ٢٦٩/٢/١٥

- ط -

طارق نجم عبد الله ٨١/٣٥
الطاهر أحمد مكي ٤٣/٦،٦٤/٥
طه الولي ١٨٩/١/٨، ٦١/٦، ٢٩٢/١/٨،٢١٩/١/٨

- ع -

عادل أحمد جرار ٨٧/٣٩
عادل عبد السلام ٣٤٨/٥
عامر إبراهيم قنديلجي ١٠٩/٢٥
عامر جيار صالح النداف ٨٣/٣٦،
١٣١/٤٢،٤١/٣٨
عامر رحيل محمد ٧٥/٤٣
عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
٢٥٧/٦، ٢٨٩/٦،
٥٥٣/٦، ١١/١/٨،
١٥/١٣
عائشة عثمان ١٣٣/٢٤
عباس بنعبد الله الجراري ٣٥٩/١/٧
عباس حسن ١٩٤/١/١٥
عباس الصوري ٥/٤٤، ٥/٤٥، ٩/٤٥،
١٥/٤٧،١٥/٤٦،٧/٤٦
عبد الجبار محمد علي ١٥/٢٥
عبد الجليل ٢٨٣/٦
عبد الجليل بلحاج ٢٥٥/٢/١٧
عبد الحافظ حلمي محمد ٢٧١/٢/١٨
عبد الحفيظ لهلايدي ٤٧/٤٣
عبد الحق حجازي ٣٨/٢/٧
عبد الحق فاضل ٢٠/٢، ١٥٢/٢،
٤٣/٣، ٩٥/٣،
١٢٩/٣، ٢١٣/٣،
٢١٩/٣، ٨/٤، ٣٥/٤،
١٨/٥، ٢٧٣/٥،
٦٧/٦، ١٨/١/٧،
٢٠٢/١/٧، ١٠/٢/٧،
٥٢/٢/٧، ٥٣/١/٨،
٢٣٤/١/٨، ١٠/٢/٨،
٥/٣/٨، ١١٨/١/٩،
١٩٧/١/٩،
٣٣١/١/٩،
٤١٣/١/٩،
٤٤٩/١/٩،
٩٠/١/١٠،
١٥١/١/١٠،
٣٣٤/١/١٠،
٣/٢/١٠، ٣/٣/١٠،
١٢/١/١١،
١٢٨/١/١١،
١٦/١/١٢،
٢٠٦/١/١٢،
٢٨٢/١/١٢،
٢٩٦/١/١٢،
٨١/١٣،٢٠٥/٢/١٢،
١١/١/١٤،
١٢٢/١/١٤،
٣١/١/١٥،
٥٧/١/١٥،

١٥٦/١/١٨
عبد الحليم عباس ١٤١/٦
عبد الحليم منتصر ٨٩/١، ٩٧/٥، ٣٤٩/١/٧، ٣١١/١/١١
عبد الحليم الندوي ٣١٥/١/٨
عبد الحميد إبراهيم إبراهيم ٦٠/٣
عبد الحميد الرشودي ٣٤٩/٢٥
عبد الحميد زاهيد ١٩٦/٤٦،٩٣/٤٤
عبد الحميد المهيري ١٤٦/١/٨، ٢٩/٣/١٥
عبد الحميد الوسلاتي ١٧٩/١/١٦
عبد الرحمن أيوب ١٣/١/١٦
عبد الرحمن بدوي ١٥١/٢/١٩
عبد الرحمن بشناق ١٢٣/٦،١٣١/٥
عبد الرحمن الحاج صالح ٤٥/٢٧، ١٠٧/٤٧،٦٩/٢٧
عبد الرحمن حميدة ٢٦٣/٢٩،١٩٤/٦
عبد الرحمن بن عبد العزيز الفاضل ٧٩/٤
عبد الرحمن العلوي ٣٦١/٢/١٦، ٣٥/٢/١٧، ١٨٥/٢/١٧، ٢٥٥/٢/١٧، ٢٥٧/٢/١٧، ٢٥٩/٢/١٧، ٣٥٠/٢/١٨، ١٣٧/٢/١٩، ١٤٣/٢/١٩، ٣٣١/٢٠، ٣٢٣/٢١، ٢٥٣/٢٢، ٣٠٩/٢٤، ٢٣٣/٣٢،٣٦٢/٢٦
عبد الرحمن العوضي ٦٨/٤٣
عبد الرحمن عيسوي ٤٣٧/٢/١٦، ٥٣/٢/١٧، ٢٧٥/٢٢،٦١/٢/١٧
عبد الرحمن الكيالي ٧٩/١/٧
عبد الرحمن مرحبا ١٧١/٥
عبد الرحيم بدر ٢٢٩/٦،٢٧/٣
عبد الرحيم السايح ٢٦٦/٦،٣٠/٤
عبد الرحيم بن سلامة ٣٣/٢/٧
عبد الرحيم أبو اليمن ١٠٤/١/١٠
عبد الرزاق البصير ٢٤٩/٦
عبد الرزاق محيي الدين ١٠٠/٥، ٣٦٩/١/٧، ١٦٤/١/١١
عبد الرسول شاني ١١٥/٢/١٥
عبد الرسول عبد النبي الفردان ١٥٥/٦
عبد السلام أرخصيص ١٢٠/٤٦
عبد السلام الترمانيني ١٩٣/٦
عبد السلام العجيلي ١٣٧/٥

عبد السلام هارون ٢١٩/٦
عبد الصاحب المختار ١٢٤/١/١٥
عبد العال سالم مكرم ٥٠٢/١/٨، ٣١٥/١/٩، ١٦٢/١/١٠، ١٥٤/١/١١
عبد العزيز تكسانة ٢٥٣/٢٥
عبد العزيز بنعبد الله ١٢/١، ٦٧/١، ١٣٤/١، ١٤٢/١، ٧٩/٢، ٨٩/٢، ١٢٥/٢، ٣/٣، ١٠٣/٣، ١٣٤/٣، ١٤٦/٣، ١٦٤/٣، ٢٧٠/٣، ٥/٤، ١٠٢/٤، ١٧٦/٤، ٢٠٩/٤، ٢١٥/٤، ٣٦٠/٤، ٣٧٣/٤، ٥/٥، ٢٣٥/٥، ٢٤٣/٥، ٣١٧/٥، ٥/٦، ٣٢٥/٦، ٣٣٠/٦، ٣٤٥/٦، ٣٨١/٦، ٤٠٠/٦، ٤١٥/٦، ٤٣١/٦، ٥٢١/٦، ٥٨٦/٦، ٥/١/٧، ٢٠٦/١/٧، ٢٥٩/١/٧، ٣٢٠/١/٧، ٤١٥/١/٧، ٢٠٨/٢/٧، ٢١٠/٢/٧، ٢٣١/٢/٧، ٢٤٥/٢/٧، ٢٥٣/٢/٧، ٢٨٩/٢/٧، ٣٠٩/٢/٧، ٥/١/٨، ١٩٦/١/٨، ٧/١/٩، ٢٢٨/١/٩، ٤٨٩/١/٩، ٤٩١/١/٩، ٥١٣/١/٩، ٥٢٢/١/٩، ٥٢٧/١/٩، ٥٣٦/١/٩، ٥٤٥/١/٩، ٣٨٥/٢/٩، ٣٨٧/٢/٩، ٤٥٤/٢/٩، ٥١٩/٢/٩، ٥٢٩/٢/٩، ٦٥٩/٢/٩، ٥/١/١٠، ٢٣٨/١/١٠، ١٣٦/٢/١٠، ٢٠١/٢/١٠، ٢٠٨/٢/١٠، ١٨/٣/١٠، ٨٥/٣/١٠، ٩٠/٣/١٠، ١١٣/٣/١٠، ١٣٩/٣/١٠، ٢١٦/٣/١٠، ٢٥٢/٣/١٠، ٢٧٦/٣/١٠، ٣٠٤/٣/١٠، ٣١٣/٣/١٠، ٧/١/١١، ١٠٢/١/١١،

١١/١/١٥٩، ١١/٢/٧،
١١/٢/٢٨٠،
١١/٢/٣٨٥،
١١/٣/١٢١،
١١/٣/٢٢٨،
١١/٣/٢٦٧،
١١/٣/٢٨٩، ١٢/١/٥،
١٢/١/٣٠٧،
١٢/١/٣٠٩، ١٢/٢/٣،
١٢/٢/٥، ١٢/٢/١٧٥،
١٢/٢/١٧٩، ١٣/٧،
١٣/٢٧٧، ١٤/١/٧،
١٤/١/١٥٥، ١٤/٢/٣،
١٤/٢/٧٤،
١٤/٢/١٩٣،
١٤/٢/٢٥٨، ١٥/١/٥،
١٥/١/١٣٩،
١٥/١/٢٠٧،
١٥/١/٢١١،
١٥/١/٢٢٠، ١٥/٢/٣،
١٥/٢/١٩٧،
١٥/٢/٢٢١،
١٥/٢/٣٣١، ١٥/٣/٧،
١٦/١/٧، ١٦/١/٨٣،
١٦/١/١٣١،
١٦/١/١٨٥،
١٦/١/٢٤٣، ١٦/٢/٣،
١٦/٢/٢٠٢،
١٦/٢/٣٠٩،
١٦/٢/٣٦١،
١٦/٢/٣٩٩، ١٧/١/٥،
١٧/١/١٣٧،
١٧/١/٢١٦،
١٧/٢/٣٥،
١٧/١/١٣٧،
١٧/٢/٢٦٠،
١٧/٢/٣٢٦، ١٨/١/٥،
١٨/١/٧١،
١٨/١/٢٢١،
١٨/١/٢٢٦، ١٨/٢/٣،
١٨/٢/٣٥٠،
١٩/١/١١،
١٩/١/١٣٠،
١٩/١/١٧٨،
١٩/١/٢٠٢،
١٩/١/٢٠٦، ١٩/٢/٧،
٢٠/٢٢٩، ٢٠/٣٣١،
٢١/٢٢١، ٢١/٣٢٣،
٢٢/٥٧، ٢٢/٢١٧،
٢٢/٢٥٣، ٢٣/١٦٥،

٣٠٥/٢٣، ٢٤٧/٢٤،
٢٣٥/٢٨،٢٥٩/٢٦
عبد العزيز بن عبد الله السنبل ٢١/٤٧،
١٥٥/٤٧
عبد العزيز حسين ٢٣٧/٦،١٦٧/٥
عبد العزيز الرفاعي ١١٩/١٣
عبد العزيز السيد ٤٥٧/١/٩
عبد العزيز شرف ٣٢٩/١/١١،
٢٣٠/١٣،١٧٥/١٣
عبد العزيز طشطوش ١٨٩/٣٥
عبد العزيز الطيب إبراهيم ٢٢٣/٣٩
عبد العزيز مطر ٥٢/١/٧،٢٢٢/٦
عبد العلي ٣٩/٢٥
عبد العلي الجسماني ١٤٣/١/١٨،
١٣٦/٢/١٨
عبد العلي الودغيري ٣٥/٢٩،
٢٢٧/٣٢، ١١٩/٣٣،
٢٦٩/٤٦،٦٩/٣٦
عبد الغفار حامد هلال ١٣/٢٣
عبد الغني أبو العزم ٢٨/٤٦،١٩/٤٦
عبد الغني ماجد السروجي ٦٨/١/٧،
٣٧/٢/١٠،
٣٦١/٢/١٩
عبد الفتاح بلفقيه ٢٨٧/٤٧
عبد الفتاح صالح أبو السيدة ٢٨٩/٢٧،
٢٠٨/٣٦،٩٥/٢٨
عبد الفتاح الصعيدي ٢٣/١
عبد القادر الريحاوي ٢٤٥/٣١،١٩٦/٦
عبد القادر زمامة ٣١٢/١/٧،٩٢/٤،
٨٥/١/١٠،١٤/٢/٨
عبد القادر الفاسي الفهري ١٣٩/٢٣،
١٩٣/٢٦، ٢٥٩/٢٧،
٢١٧/٢٨
عبد القدوس الأنصاري ١٦٤/٦
عبد الكريم الأشتر ١٤٨/٥
عبد الكريم بوفرة ١٦٦/٣٨
عبد الكريم خليفة ٥٠/١/١٢،٥٤٤/٦،
١٩/٣/١٥، ١٣/٣٩،
١٣٧/٤٧
عبد الكريم العوفي ٢٦٥/٤٧،١٠٢/٣٨
عبد الكريم غلاب ٣٥٩/٥
عبد الكريم القباج ١٠٨/١
عبد الكريم مجاهد ١٣٧/٣٨
عبد اللطيف أبو غدة ٢٧٧/١/١٤،
٣٤٣/٣٩
عبد اللطيف عبيد ٢٩٧/١/١٧
عبد الله بن خميس ١٦٩/١/٨
عبد الله الجبوري ٤٢/٢/٨
عبد الله الحصين ٢٠٨/٣
عبد الله حمد ٥٧/٤٢

عبد الله زكريا الأنصاري ٢٤١/٦
عبد الله سليمان القفاري ٢٧٧/٣٩، ١٥٥/٤٣
عبد الله صالح بابقي ١٠٥/٣٩
عبد الله الصوفي ٩٩/١/١١
عبد الله الطيب ١٤٠/٤٧
عبد الله عاصم ١٦١/٣٥
عبد الله العقيل ٢٤٥/٦
عبد الله علي العيسى ٢٣٩/٦
عبد الله الفخري ٢٣٧/٢١
عبد الله كنون ١١٣/١، ٥/٢، ٥٧/٤، ٣٣/٥، ١٣٠/١/٩، ٤١١/١/٩
عبد الله واثق شهيد ١٩٢/٥
عبد الله يوركي حلاق ٣١١/٥
عبد الله يوسف الغنيم ٢٧٥/٢٤
عبد المجيد البكري ١٦١/٤
عبد المجيد الماشطة ١٣٧/٢٤، ١٥٥/٢٥
عبد المجيد نصير ٩٠/٣٩
عبد المعطي محمد بيومي ١٥٤/١/١١
عبد المنعم التونجي ٧/٢/٨
عبد المنعم بلبع ١٤٩/٢/١٨
عبد الهادي التازي ٣٦/٢، ٣٤٤/٤، ٣٣٥/١/٨
عبد الهادي الفضلي ٥٨/٦، ٢٤٢/١/٨، ٤٧/١/١٠، ٢٢/١/١٥
عبد الهادي موس ٧٥/٤٣
عبد الواحد العلوي ١٧٩/٥
عبد الوهاب الإدريسي ٩٧/٤٣
عبد الوهاب البرلسي ١١٤/٥، ٢٥٤/٦، ٣٣٣/١/٧
عبد الوهاب الدباغ ١٦٩/٤
عبد الوهاب زايد ٢٥٣/٢٥
عبد الوهاب محمد عامر ١٩٩/١/١٥
عبد الوهاب نجم ٨٥/٣٢
عثمان الكعاك ١٢٣/٢
عثمان الناصر الصالح ٢٩٨/٢٧
عدلي طاهر نور ٧/٣/١٠
عدلي عبد العزيز مصطفى ٢٦٨/١/١٧
عدنان أبو شرخ ٥٣/١/١٦
عدنان الخطيب ١٨٦/١/١٥
عدنان شفيق فهمي ٣٠٦/١/١٧
العربي حصار ١٨٧/٥
عز الدين البوشيخي ٢٢/٤٦
عز الدين الخطيب التميمي ١٣٣/٦
عزت حجازي ٣٢٨/١٣
عزيز العلي ٢٢٩/٢/١٩
عصام عمران ١٦٩/٣٧، ١٩١/٣٦
عفيف بهنسي ٧٧/٥، ٢٢٥/١/٩،

١٣٠/١/١٤
عفيف دمشقية ٩٥/١/١٩
علال الفاسي ٧/١، ٨/٣، ٢٤٤/٣، ٣٣٧/٤، ٨٨/١/٨، ٧٩/١/١٢
علي أحمد الغانم ١٦٦/٥
علي أحمد مدكور ٣٥٠/٢٥
علي توفيق الحمد ١٦٩/٣٩
علي الخطيب ٤٧/١/٨
علي راضي أبو زريق ٢٧١/٦
علي الشنوفي ١٨١/١/١٤
علي عبد اللطيف الجسار ٢٤٣/٦
علي القاسمي ١٦٩/١/١١، ١٠٩/١/١٦، ٢٢١/١/١٦، ٧/٢/١٦، ١٧/١/١٧، ٢٧١/١/١٧، ٧/١/١٨، ١٤٩/١/١٨، ١٤/١/١٩، ١٦٩/١/١٩، ١١٣/٢٠، ١٣٥/٢٠، ١٥٧/٢١، ٤٧/٢٣، ٥٣/٢٤، ٤٥/٢٥، ٨١/٢٧، ٧٧/٢٨، ١٢٧/٢٩، ٨١/٣٠، ٧٧/٣٢، ٣٧/٣٣، ١٤٩/٣٥، ١٢١/٣٧، ٨٥/٣٨، ٢١٧/٣٩، ١٠٥/٤٠، ٣٣/٤٤، ١١١/٤٥، ٥٨/٤٦، ٢٠١/٤٧،٥١/٤٧
علي محمد كامل ١٣٥/١/١٥
علي محمد المدني ٢٤/٤١
عمر بهاء الدين الأميري ٣٧١/٤
عمر الجارم ١٨٣/٥، ٤٥١/٦، ٣٧٨/١/٧، ١٧٣/٢/١٧
عمر الدقاق ١٩٠/٦
عمر الصديق عبد الله ٢٤٩/٢٠
عمر الطاهر ٢٩١/١/١٠
عمر مسلم ١٠٧/٣٩
عمر موسى باشا ١١٩/٢٠،١٨٥/٣٩
عمرو أحمد عمرو ٦٥/٢٣،١٥١/٢٧، ١٥٥/٣٢
عواد الزحلف ١٤٠/٣٩
عودة أبو عودة ٣١٨/٣٩
عودة الله منيع القيسي ١٠٧/٢٤،٣١٨/٣٩
عيسى سليمان حبيب ٥٧/٣٠
عيسى فتوح ١٦١/١/١٦،٤٧/٢٠

عيسى الناعوري ٦٢/٢، ٢١٢/١/١٠

- غ -

غبوش الضاوي ١٦٣/٢٩

- ف -

فاخر عاقل ١٤٦/٥
فارس الطويل ٢٢٥/٣٩
فارس فندي بطاينة ١٢١/٣٤،١٤٤/٣٨
فاروق صنع الله العمري ١٧٥/٢٨
الفاروقي الرحالي ١٢١/١/٧
فاضل حسن أحمد ١٧٣/٢٤،١٦١/٢٥،
٢٧٧/٢٦، ٢٣١/٢٧،
٢٦٩/٢٩، ٢٤٣/٣٠،
٢١٣/٣١، ١٧٧/٣٢،
٢٠٣/٣٢، ٢٦٣/٣٦،
٢١٩/٣٧، ١٩١/٤٠،
١٠٣/٤١، ٢٢٢/٤٢،
١٩٦/٤٤،٢٢٧/٤٣
فاضل الطائي ١٥٣/٥،٢٠٩/٦
فاضل طلال القريشي ٧٤/٤١
فانسان مونتي ٧٦/١
فايز الرفاعي ١٠٥/٤٣
فتحي حسن المصري ٣٠/٣/١٥
فتحي قدورة ٣٤٧/٢/٧،٣١/٢/٨
فؤاد حمودة ١٨١/١/٨، ٢٣٣/٢/١٩،
٢٧١/٢٤،٢٧٢/٢٤
فؤاد الشايب ١٤٠/٥،٨٩/١/٧
فوزي الشايب ٩/٤١
فوزية العلوي ٢٦٢/١/١٧
فولديترش فيشر ٧١/٢٣
فولكهارد فيندور ٢٨٦/١/١٠
فيبكا فالتر ٢٠٨/١/٩
فيديل فرناندیش ٣١٦/٦
فيصل إبراهيم صفا ٤٣/٣٢،١٠٣/٣٥،
٩/٤٢،١٠٣/٣٦
فيصل الرفاعي ١٩٧/٢٢
فيفري ٧٥/٢
فيكتور بيلاييف ٢٣٤/١/١٠

– ك –

كارل أ.فرجسون ١٥٧/٢/١٩
كارل كلير ٢٨٥/٦
كارولين ج كيللين ١٢٣/٢٢
كمال حمدي ١٧٥/٥،٥٤/٣
كمال السيد محمد ١٨٧/٢٣
كمال عبد الله القيسي ١١٩/١/١٦
كونغ الجو الكوري ١٩/٣٥
كيفورك ميناجيان ١٨١/٥، ٥٦٦/٦، ٣٨١/١/٧، ٤٣/٢/٧، و١٠٤، ١٦٢/١/٩، ٣١٤/٢/٩

– ل –

لطيف الخياط ٧٣/٤٢
ليجي الرامي أونا ٢٥٩/٢/١٧
ليلى المسعودي ٩١/٢٥، ٨٥/٢٨، ٢٠٩/٣٥، ٩٢/٤١، ١٦٤/٤٦،٣٤/٤٣
ليوشوسيانغ ١٣٥/٤

– م –

مازن الوعر ١١/٢٢، ١٥٧/٣١، ٢٥/٣٦،٤٥/٣٣
مالك انجاي ١٥٢/١/٨
مالك بن نبي ١٣٢/٤
ماليشفسكي ٣٥٤/٣
ماهر عبد القادر ١٢٣/٢٢
محبوب الحلبي ١٥٢/١/٧
محسن جمال الدين ٨٣/٣
محمد إبراهيم الكتاني ١٨٤/٣، ٤١٥/١/٧، ١٢١/١/٨، ٥٢٤/١/٨،٢٧٣/١/٨
محمد أبو طاهر ٣١٦/٦
محمد أبو عبده ٣١٧/٢٠،١٠٣/١/١٩
محمد أبو الفرج العش ١٩٨/٦
محمد أحمد الشريف ١١/٣/١٥
محمد أحمد عمايرة ١٠١/٢٩،٤٩/٢٦
محمد الأخضر ٣٠٧/١/٧
محمد إدريس العلمي ١٤٣/٣،١٠٢/١
محمد أديب السلاوي ٧١/٣
محمد بن إسماعيل ٢١٥/١/١٦
محمد أفسحي ١٨٩/٣٤،١٢٤/١/١٨
محمد ألتونجي ١٢٦/١/٧، ١٥٩/١/٨، ١٠٢/١٣، ١٢٣/٢٠،

٢٤١/٢٧
محمد أمين الحسيني ٣٠١/٤
محمد أوكمضان ١٠١/٤٤
محمد بسيوني خفاجي ٢٧٢/٢/١٧
محمد البشير الإبراهيمي ٥٤/٤
محمد البطراوي ١٥٠/٤٧
محمد بلاجي ١٧/٤٦
محمد بلقزيز ١٤١/٤٤
محمد بنزيان ٩٢/٦، ٢٤٩/١/٧، ٩٢/٢/١٢، ٢٧٧/١٣، ٢٤٧/٢/١٤، ٢٧٥/٢/١٥، ١٠١/٢/١٦، ١٨٥/٢/١٧، ٢٣٨/٢/١٧، ٢٥٧/٢/١٧، ٢٥٨/٢/١٧، ١٥٧/٢/١٩
محمد بهجة الأثري ٣٢٠/٥، ٧/٦، ١٢١/١/١١، ٣١٣/١/١٢
محمد بوحمدي ١١٨/٤٣
محمد تازروت ١٥٧/٦
محمد بن تاويت ١٨٧/٢/٧، ٤٩/١/١٠، ٦٣/١/١٢، ٧١/١/١٦، ٧٣/٢٢، ١٩٩/٣٧
محمد التركي التاجوري ٤٤/٣/١٥
محمد توفيق الرخاوي ٨٣/٤٣
محمد جمال الدين عبد الوهاب ١٥٤/٦
محمد جميل بيهم ٢٠/٤، ٨٧/٦، ١٦١/١/٧، ٢٨٩/١/٨
محمد جواد النوري ١١٣/٣٨
محمد الحاج صدوق ٢٨٤/٦
محمد حجي ٨٦/١/١٢
محمد الحسايني ١٧٧/٢٠
محمد حسن إبراهيم ٨٠/١/١٨
محمد بن الحسن الزبيدي ٢٩١/١/١٢
محمد حسن عبد العزيز ١٧٠/٤٢، ١٤٣/٤٥
محمد حسن عبد القادر صالح ١٢٤/١/١٨
محمد الحسني البليدي ٣٣٩/١/٩
محمد حسين علي ٢٩/٢/٧
محمد حكمت وليد ١٣١/٢٦، ١٦٣/٢٧
محمد حلمي هليل ٩٧/٢١، ٣٥/٢٢، ١٠٧/٢٣، ٢٩/٢٨، ١١١/٢٩، ٢٠١/٣٠، ١٠١/٣٢، ١٣٥/٣٣، ١٧٣/٣٨

محمد حمادة ١٨٢/٤٤
محمد خان ٩١/٤٥
محمد خليفة الأسود ٦٩/٣٥،٣٣/٣٢، ١٤١/٤٠،٤٩/٣٧
محمد الخمري ١٨٧/٤٤
محمد داود ٢٦٢/٣،١٦/٢
محمد الدحماني ٢٦٧/٤٣
محمد الديداوي ٥٥/٢٥، ١٠١/٢٦، ١٣١/٢٩، ١٨٧/٣١، ١٢٩/٣٢، ٧/٣٣، ١٤٧/٣٤، ١٤١/٣٥، ١٧٨/٣٨،١٧٥/٣٧
محمد راجي الزغلول ٢١/١/١٨
محمد رجب البيومي ٢٤٤/١/٨
محمد رشاد الحمزاوي ١٢١/١/١٢، ٧٥/١/١٨، ٨٧/٢/١٨، ٤١/٢٤، ١١٠/٣٩
محمد رضا مدور ٤٧١/٦،٤٦٢/٦
محمد زنيبر ٢٧٥/٦
محمد سبيلا ٧٥/٢٦
محمد السراج ٦٤/٣
محمد السرغيني ١٠٦/٦
محمد سعيد يوسف ١٧٠/٥
محمد سلام مدكور ٢٦٠/٦
محمد سليم رشدان ٤٤/١/٧
محمد سليم صالح ١٤٣/١٣
محمد سماك ١٠١/١/٧
محمد السهريجي ١١٧/٢/١٧
محمد السويسي ٩/١/١٢، ١٧٦/١/١٤، ٢٣/٣/١٥
محمد السيد رضوان ٢٣٧/٢١
محمد السيد علي بلاسي ٢٩/٢٩، ٦٧/٣٠، ٥٩/٣١، ١٢٣/٣٢، ١٠٥/٣٣، ١٤١/٣٤، ١٣١/٣٥، ١١٧/٣٦، ١٠٢/٣٧، ٢٧٥/٤٧،٨٠/٣٨
محمد السيد غلاب ١٢٤/١/١٨
محمد الشاذلي ١١٦/١/١٥
محمد شفيق العاني ١٤٩/٤
محمد شمام ١٩٤/١/١٤
محمد شيت خطاب ٢٠٣/٦
محمد شيت صالح الحياوي ١٧١/١/١٦، ١٥٦/١/١٨، ٥١/٢٠،١٧٠/١/١٨، ١٠٣/٢٤، ٨٣/٢٣، ١٨٦/٣٧،٢٠٣/٣١

محمد صالح رحال ٣٦/٢/١٢
محمد صغير حسن المعصومي ١٥٢/٦
محمد الطالب ١٥٩/٤٤
محمد طبي ٣٠٣/٤٧،٨٣/٤١،١٥٨/٣٥
محمد طه النمر ١١٦/٦،٩٦/٥
محمد العابد الفاسي ٥٢١/١/٨
محمد عادل الشريف ١٢٤/٦
محمد عبد الحميد الشحات ٧٣/٢/١٧
محمد عبد الرحمن مرحبا ٢٥٣/٦، ١٥٨/١/٧
محمد عبد السلام شرف الدين ١٠٨/١٣، ١٢٩/١٣
محمد عبد السلام عياد ١٥٥/١٣
محمد عبد العزيز محمد ٣٤٧/٢٥
محمد عبد المالك الكتاني ٢٨٠/٦
محمد العدناني ٢٩٨/١/١٢،٤٢٨/١/٩
محمد العربي الخطابي ١٧٧/٥،٢٨/١
محمد علي الخولي ٣٣/٢٠،٧٩/١/١٩، ١١/٢١، ٣٥/٣٠، ٧٧/٣١
محمد علي الزركان ٢١٨/٣٨، ٥٣/٤٠، ٦٩/٤١، ٢٠٦/٤٢، ٢٧٦/٤٤
محمد عمايرة ١٠١/٢٩
محمد عنبر ٣٦/٢/٨
محمد عيد ١٧/١/٩،٦٧/١/٨
محمد الفاسي ٢٩٢/٦
محمد فاضل الجمالي ٢٣/٦،١٦١/٥
محمد قلبي ٢٩٥/١/١٠
محمد كشاش ٢٤٥/٤٧،٣٥/٤١
محمد كمال مصطفى ٣٥٧/٢٦،١٢٥/٢٦
محمد الكنيدري ١٨/٤٧
محمد كيليطو ٥٨١/٦
محمد المبارك ٤٩/١/٧
محمد مجيد السعيد ١٤٥/٢٩
محمد محفوظ ١٦٥/٢/١٧
محمد محمد الخطابي ٢٨٣/١/١٠، ١٥/٢/١٠، ٧/٣/١٠، ١٠٥/١٣، ٣٦٨/١٣، ١٣٩/١/١٤، ٣٦٥/١/١٤، ١٧٨/١/١٥، ٧٣/٤٦،٢١٥/١/١٦
محمد محمود الراميني ١٣٩/٦
محمد محمود محمدين ١٦١/١/١٨
محمد مختار السوسي ٧٢/١٣،٣٢/٢
محمد بن مسعود ٢١٤/٣
محمد المغنم ٩٥/٢٤
محمد مكوار ٣٥٥/٣
محمد المنوني ٥٢/١

محمد نذير السنكري ١٥٩/١٣، ٢٨٩/٢/١٦، ١٥٣/٢/١٧، ٣٤٥/٢/١٨
محمد الهادي الطرابلسي ١٧٠/١/١٤
محمد واصل الظاهر ١٤٥/٤، ٢٠٠/٥، ٣٥٣/١/٧، ٥/٢/٧،
محمد ياسر حماد سليمان ١٨١/٢٠، ٣١/٢١، ٢٣/٢٩، ١٩/٣٨
محمد يحيى الهاشمي ٥/٧،٦/٨١،٧/١/٥٩
محمد يوسف ١٤٥/٦، ١٠٧/١/١٠، ١٣٠/١/١٠، ١٤١/١/١٠
محمد يوسف حسن ٢٧٢/٢/١٧، ٢٣/٣٩
محمد يوسف نور الدين ١٢٧/١/٨
محمود إبراهيم ٣١/٢/٨
محمود أحمد نحلة ٥٩/٣٤
محمود إسماعيل صيني ٢٤٩/٢٠
محمود تيمور ١١٩/١، ٨٦/٢، ٩٦/٢، ٩٨/٢، ١٦/٢/٧، ٤٠٥/١/٩
محمود الجليلي ٣٢٣/١/١١
محمود الجومرد ١١٧/٥، ٢١٠/٦
محمود السمرة ١١/٣٩
محمود شاكر ١٢٤/١/١٨
محمود شرف الدين ٢١/١/١٦، ٧٢/١/١٧
محمود شيت خطاب ١٥٤/٤، ١٥١/٥، ١٩٥/٥، ١٨٠/١/٩
محمود عبد السلام شرف الدين ١١٦/١/١٢، ١٣٩/١/١٢، ٧٢/١/١٧
محمود عبد المولى ٣٤٢/١/٧، ١٣/١/٩، ٧٢/١/١٠، ١٥٨/١/١٠، ١٢٢/١/١٥، ٨٥/١/١٧
محمود فهمي حجازي ١٥٥/٣٥، ٤١/٤٧
محمود فوزي حمد ١٩٩/٢/١٧، ٢١٠/٢/١٤، ٢١٥/٢/١٤، ١٩٩/٢/١٧، ٢٠٥/٢/١٧، ٢٠٧/٢/١٧، ٢١٠/٢/١٧، ٢١٥/٢/١٧، ٢٢٠/٢/١٧، ٢٢٢/٢/١٧، ٦٧/٢٤، ٢٣٥/٢/١٧،

٢٤١/٢٦، ٢٢٥/٢٧،
٢٨٥/٢٩،٢٥٥/٢٨
محمود فيصل الرفاعي ٢٩٤/٢٧،١٩٣/٢٢
محمود محمد إبراهيم زيد ١٦١/٢/١٧
محمود محمد الحبيب ١٧٧/١/١٧
محيي الدين صابر ٣٥٣/١/١٤،
٢٣٢/١/١٥،
٩/٣/١٥، ٨٨/٣/١٥،
٢٤٥/١/١٦،
٩/١/١٩،
١٩٧/١/١٩،
١٩٩/١/١٩، ٩/٢٠،
٩/٢٣، ٩/٢٤، ٩/٢٥،
٩/٢٦، ٩/٢٧، ٩/٢٨،
٢٦١/٢٨
محيي الدين عبد الرحمن رمضان ٩/٣٨
محيي الدين قواس ٢٠٧/٣٥
مخيمر صالح ١٦١/٣٢
مرتضى جواد باقر ٥/٣٤
مرهف صابوني ٧١/٢٧
مروان العطية ١٢٥/٢٤
مساعد عبد الله مساعد ١٩٣/٢٣،
٢٧٧/٢٤، ٣٥٠/٢٥،
٣٥٢/٢٥، ١٢٥/٢٦،
٣٥٥/٢٦، ٣٥٦/٢٦،
٣٥٧/٢٦
مصطفى البارودي ٣٢٦/١/١١
مصطفى بنموسى ٣١٦/٢/٩،
٧٥/٢/١٧،٣٤٧/١٣
مصطفى جواد ٢٠٧/٦
مصطفى ديبون ٢٩٧/٢٦،١٩٩/٢٣،
١٩٣/٢٨،٢٧٥/٢٧
مصطفى الزرقا ١٧٦/٦،٢٣١/٥
مصطفى السيد ٤٣٨/٦
مصطفى الشهابي ١٤٩/٢، ٣٤٢/٣،
٣٥٧/٤
مصطفى العلواني ٣٠٨/١/١٧
مصطفى غلفان ١٤٦/٤٦
مصطفى النجار ٣٠٨/٢٧
مصطفى النحاس ١١/٣٠،٣٩/١/١٨
مصطفى النعمان ٢١٩/١/٩
معروف الدواليبي ٧٤/١/٧،
٩٣/١٣،٢٩٥/١/١٢
معروف الرصافي ٣٤٩/٢٥
معين الدين الأعظمي ١٤٠/١/١٨
مفتي محمد شفيع ١٤٣/٦
مكي الحسني ١٤٣/٢٤
مكي حيدر ١٣١/١/٧
ممدوح حقي ٣٠٩/١/٩، ٢٦٤/١/٨،
٤٣٨/١/٩، ٣٣٩/١/٩،

٤٦٢/١/٩،
٢٤٨/١/١٠،
٣٩٣/٢/١٠،
٦٤/١/١١،
١٦١/١/١١،
١٥٥/٢/١١، ٥/٣/١١،
٣٣١/٢/١٥،٧٤/٢/١٤
ممدوح محمد خسارة ٧٧/٤٠،٢١٥/٣٨
المناصف محمد ٣١٣/٢/١٨
مناف مهدي محمد الموسوي ١٤٣/٣٠،
٣٧/٣١، ٩٩/٣٤،
٩٣/٣٥، ٢٧٤/٣٧،
١٦٧/٤٠
المنجي الصيادي ١٥٢/١/١٤،٦٥/١٣،
١١٠/١/١٥،
٣١١/٢/١٥،
١٥٤/٢/١٦،
١٩٠/٣٧،٣١٨/٢/١٧،
٢١١/٤٥
منذر البكر ٣٠٢/١/١٢
منذر الدقاق ١٣٣/٥
منذر نعمان بكر التكريتي ١٤٨/٤٧
المهدي بنعبود ٢٣١/٣
مهدي الظالمي ٩٥/١/١١
مهدي المخزومي ٩١/٢٣
الموساوي العجلاوي ١٢٨/٤٦
موهان فيوك ٣٤٦/٣
ميشون ٢٨٦/٦
ميرغني دفع الله ٤٦٩/١/٩

– ن –

ن.ريشير ١٤٩/٢٣
ناجي عبد الجبار ١٠٧/٣٩
ناجية غافل المراني ١٠٥/٢٨
ناصر الدين الأسد ١٩٥/١/٩
الناصر الكتاني ٧٦/٤
نايف خرما ١٥٣/١/١٨
نبيل عبد السلام هارون ٣٥٥/٢٥
نجيب جريس ٢١٢/١/٨
نديم عدي ١١٧/١/٧
نديم الملاح ١٤٢/٦
نعمان ماهر الكنعاني ٢٣/٤
نهاد الموسى ٣٩/١/١٧،١٥٣/١/١٢
نور الدين صمود ١٨٦/١/١٤
نور الدين عتر ٢١٥/١/١٤
نوزاد حسن أحمد ١٠٩/٤٢
نيقولا دوبريشان ٢٣٦/١/١٠

- هـ -

هادون أحمد العطاس ١٧٧/١/١٦
هاشم منقذ الأميري ٢٦٨/٢٤، ٢٨١/٢٤، ٣٥٥/٢٥، ٣٥٧/٢٥، ٣٦٠/٢٦، ٢٣٠/٣٢،٢٢٨/٣٢
هشام ناصيف مكي ١٦٤/٣٨،١٨٩/٣٦
هـ-فيلبر ١٣٥/٣٣،٢٠١/٣٠
هلال ناجي ٤٧٤/١/٩،٣٣٧/١/٨
هنري فليش ٨٦/٥
هيثم الكيلاني ١٧٥/٣،١٤١/٣

- و -

وجيه حمد عبد الرحمن ٦٧/١/١٩، ٧/٣٥،٥٧/٢٤
وجيه السمان ٣٠٢/١/١١
الوراقي ٢٣٠/٢/١٨
ولفجانج يندوبيتي ١١١/٢٩
وهيب دياب ٥٤٨/٦، ٢٠/٢/٧، ٣٣٦/١٣

- ي -

ياسين رفاعية ٣٤/٦،٣٥٣/٥
يحيى بلعباس ٢٢٠/١/٩
يحيى الخشاب ٤٦/٢
يحيى الشهابي ٣٦١/٤
يحيى عبد الرؤوف جبر ١١٣/٣٥، ١٤٢/٣٦، ٣٤/٣٧، ٣١/٣٨
يحيى محمد عزت ٢٣٧/٢٣
يعقوب الشراح ٧٣/٤٧
يوسف توني ٤٣٥/١/٩
يوسف الخليفة أبو بكر ٥٣/٢٣
يوسف الخوري ١٤٩/١/٧
يوسف الغريب ٢٥٠/١/١٠
يوسف محمود ١٣٣/١/١٩

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير

في كتاب القانون لابن سينا

(القسم الثاني والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

تُوبَال(**)

توبال، توبالات ١: ٣٠٧، **٤٤٩**/ ٢: ١٩٥

توبال الحديد ١: ٤٤٩/ ٢: ٣٩٥، ٤٨٣/ ٣: ١٧٧

توبال السابورقان، توبال الشابرقان ١: ٣٢٣/ ٣: ١٧٤، ١٧٧

توبال النحاس ١: ٣٢٣/ ٢: ١٢٠، ١٢٦، ١٥٧، ١٧١، ٣٩٥، ٦٢٨/ ٣: ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٤٢٥.

ذكر ابن سينا التوبال في الأدوية المفردة فقال: «توبال: الاختيار: أقواه

(*) نشرت الاقسام الواحد والعشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) ومج (٨٠: ص١٦١).

(**) كتاب ديسقوريدس ٤٠٥ (لابيس)، والملكي ٢: ١٣٣ (توبال النحاس)، ومنهاج البيان ٦٢ ب (توبال النحاس)، ١٣ (توبال الحديد)، والمختارات ٢: ١٨٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٥، والمعتمد ٥٥، والشامل ١٤٧، وما لايسع ١٣٢، وتذكرة داود ١: ٩٥، ومعجم الشهابي ٥٩٤، وتاج العروس (تبل)، والمعجم الوسيط ١: ٨٢، وبرهان قاطع ١: ٥٢٧.

توبال الحديد [ثم النحاس][1] وهو ما يتساقط من الطَّرْق عليها. وجميعها مجففَّة وقد قيل أيضًا فيها ...»

يستنتج من المراجع الطبية واللغوية أن التوبال هو ما يتساقط من المعادن عند طرقها، سواء أثناء استخراجها من معادنها أو أثناء صناعتها، لكن ابن الكتبي خص هذا الاسم بما ينتج من المعادن عند تنقيتها إذ قال في ما لايسع الطبيب جهله: «توبال: ... هو عبارة عن وسخ الأجسام المتطرقة التي تعلوها عند السبك. لكن قد خص به عند الإطلاق توبال النحاس..» وبالتوبال ترجم الأمير مصطفى الشهابي الاسم الفرنسي Scories de déphosphoration أو Posphate métallurgiques فقال: «هو خبث الحديد أو توبال الحديد أو فصفات الخبث، وهو سماد فصفوري يحصل في صناعة الفولاذ». أما القدماء فاستفادوا من التوبال طبيًا في معالجة القروح الظاهرة ومنعها من الانتشار. ضبطت توبال في المعجمات بضم التاء، وهي لفظة معرّبة. قال ابن الكتبي وداود الأنطاكي «من الفارسية» وهو في تلك اللغة توبال بالباء العربية وبالباء الفارسية كما جاء في برهان قاطع.

تُوث*

توث ١: ١٦٧، ٤٤٨، ٤٤٩/ ٣: ٣٠٣

(١) ما بين معقوفين من المصورة.

* كتاب ديسقوريدس ١١٩ (مورالا)، وكتاب النبات ٧١، والحاوي ٢٠: ١٩٠، والملكي ١: ١٨٨، ٢٠٨ (رب التوث)، ٢: ١٢٠، ٥٩٢ (رب التوث)، ومفاتيح العلوم ١٦٨، والصيدنة ١٢٢، ومنهاج البيان ٦٢ أ، ١٣١ ب (رب التوث) ٢٦٩ أ (ورق التوث)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٠، ومفردات ابن البيطار: ١: ١٤٢، والمعتمد ٥٣، والشامل ١٣٨، وما لايسع ١٣٠، وتركيب ما لايسع ٥٠ أ (رب التوث)، وحديقة الأزهار ٢٩٧ (٣٢٣)، وتذكرة داود ١: ٩٤، ومعجم أحمد عيسى ١٢١ (١)، ومعجم الشهابي ٤٣٩، والمعجم الموحد ١٣٩، والقاموس واللسان والتاج (توث، توث) ، والمعرّبات الرشيدية ١٢٦، ومعجم دوزي ١: ١٥٣، ومجلة المجمع العلمي ٢٣: ٣٣٨ (الألفاظ السريانية ...)، والمعجم الوسيط ١: ٩٠، وبرهان قاطع ١: ٥٢٧. (فرصاد).

توت ١: ٤٠٠/ ٢: ٢٠٤
توث حامض ١: ٤٤٨
توث حلو ١: ٤٤٩
توث شاميّ ١: ٤٤٨، ٤٤٩/ ٢: ٣٥٧، ٤٧٠، ٥٣٨/ ٣: ٧١
توث عفِص مملح مجفف ١: ٤٤٩
توث فج ١: ٤٤٨
توث مزّ [صحفت بإهمال الراء] ١: ٤٤٨
ثمرة التوث الفج ٢: ٤٣٠
دمعة التوث[1] ١: ٤٤٩
دواء التوث بالمر والزعفران ٢: ٢٠٥
رب التوث، رب التوت ١: ١٥٥، ١٥٧، ٣٦٨/ ٢: ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٢٤.
رب التوث البري ٢: ٢٠٣
رب التوث الحامض ١: ٤٤٨
رب التوث الشامي ٣: ٧١
رب التوث المز [صحفت بإهمال آخرها] ٢: ٢٠٤
سُلاقة أصول التوث ٢: ٤٧٨
طبيخ أصل التوث ١: ٤٤٨
طبيخ قشور التوث ٣: ٢٢٩
عصارة أصل التوت ٢: ٤٠، ٤٧٧

(١) في المطبوع «أدمغة التوث» والصواب من المخطوطات.

عصارة التوث ١: ٤٤٨/ ٢: ٤٠٥، ٤٣٩
عصارة ورق التوث ١: ٤٤٩
عصارة ورق التوث الحامض ١: ٤٤٨
قداح التوث مسحوقة ٣: ٢٧٦
قشور أصل التوث ٢: ١٩٢، ٤٦٧، ٤٧٧
قشور التوث ٢: ١٩٢
قشر شجرة التوث ١: ٤٤٩
لبن التوث ٣: ٤٣٥
لبن شجرة التوث ٣: ٤٠٦
لحاء التوث ١: ٤٤٩
لحاء شجرة التوث ٢: ١٨٥
ماء التوث ٢: ٥٢٧
ماء التوث الشامي ٣: ٢٨، ٧٠، ٣٧٣
ورق التوث ١: ٢٨٥، ٤٤٨

جاء في كتاب الأدوية المفردة، في القانون: «توث. الماهية: التوث صنفان أحدهما هو الفرصاد الحلو، وهو يجري مجرى التين في الإنضاج إلا أنه أردأ غذاء وأقل ... وأما المز[1] الذي يعرف بالتوت الشامي فليكن الآن أكثر كلامنا فيه، والفج منه إذا جفّف قام مقام السماق»

التوت مما ذكره أبو حنيفة في كتاب النبات وغيره في معجمات اللغة

(١) في القانون المطبوع (المر) بالراء تساوت فيه طبعتا رومة وبولاق، وتابعهما بعض المصنفين والصواب ما أثبته بالزاي، ومعناه ما خالط حلاوته حموضة، يريد التوث الشامي المشهور المعروف حتى اليوم، يصنع منه أهل الشام ربًا، مازلوا يداوون قروح الفم وقلاع الصبيان به، ويتخذون منه شرابًا لذيذًا مرطبًا يشربونه في الصيف.

وكتب المفردات، وهو شجر معروف يسميه العرب الفرصاد. قال ابن الكتبي «إذا أطلق أريد به الثمرة» وله أنواع كثيرة أشهرها الحلو النبطي، والمز الشامي، وهو أكثر استخداماً في الطب وبخاصة ربه الذي ينفع لبثور الفم وأوجاع الحلق. الاسم العلمي لجنس شجر التوت هو Morus، والحلومنه Morus alba، والشامي،MORUS MIGRA

وردت لفظة توث بالتاء المثناة في آخرها، وبالثاء المثلثة، وهو الأكثر في قانون ابن سينا. وقد اختلف اللغويون والمصنفون في أمر الحرف الأخير؛ قال أبو حنيفة توث بالثاء، وقوم من النحويين يقولون توت بالتاء، ولم نسمع به في الشعر إلا بالثاء ، وذلك أيضًا قليل لأنه لا يأتي عن العرب إلا بذكر الفرصاد .. وقد روي عن الأصمعي أنه قال: التوث هو بالفارسية، وهو بالعربية التوت. وقال بعض الرواة: أهل البصرة يسمون شجرته الفرصاد ويسمون الحمل التوث» ونقل عن الجوهري أنه قال: «توت بالتاء ولا تقل التوث بالثاء ..» وفي تاج العروس (توث): «الفرصاد أنكره الحريري في درة الغواص وزعم أنه تصحيف، وقد قلده في هذا جماعة. والصحيح أنها لغة في المثناة حكاها الفارسي وأبو حنيفة .. أقول: لا داعي لكل هذا الجدل فكثيراً ما استبدل العرب التاء بالثاء، وكثيراً ما اختلفوا في طرق التعريب. واللفظة ليست عربية، والغالب أنها انتقلت إلى العربية والفارسية من الآرامية والسريانية كما جاء في مجلة المجمع العلمي وفي حاشية برهان قاطع.

توثة

توثة ١: ٣٥٨

في كتاب الأدوية المفردة، وأثناء كلام ابن سينا على اللحم وأصنافه وأجود أنواعه

ذكر التوثة، ويريد بها اللحم الرخو من الحيوانات المأكولة، كالغدد مثلاً. وسيأتي تفصيلها إن شاء الله في معجم التشريح.

توتياء*

توتياء ١: ٢٣٧، ٢٤٥، ٣١٠، ٣٧٨، ٣٩٤، **٤٤٣**، ٤٦٩/ ٢: ١١١، ١١٢، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٠، ١٤٤، ٣٣٣، ٤٤١، ٤٨٥، ٥٥٤، ٥٥٥/٣: ١٥٤، ١٨٢، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٧، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤.

توتياء أبيض ١: ٤٤٣، ٤٤٤

توتياء أخضر، توتياء خضراء ١: ٤٤٣/ ٣: ١٦٣

توتياء أصفر ١: ٤٤٣، ٤٤٤

توتياء إلى الحمرة ١: ٤٤٣

توتياء رقيق ١: ٤٤٣

توتياء غليظ ١: ٤٤٣

توتياء فستقي كرماني ١: ٤٤٤

توتياء محرَق ١: ٤٣٢

* كتاب ديسقوريدس ٤٠١ (سفوديس)، والحاوي ٢٠: ١٩٤، والملكي ٢: ١٣١، والصيدنة ١٢٠، ومنهاج البيان ٦٢ب، والمختارات ٢: ١٩١، وأقرباذين القلانسي ٣١٦، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٣، ومفيد العلوم ٢٣، والمعتمد ٥٤٠، والشامل ١٤٦، وما لايسع ١٣١، وتذكرة داود ١: ٩٥، والمعجم الموحد ٦: ١٢٧، ولسان العرب وتاج العروس (توث). ومعجم دوزي ١: ١٥٤ (حجر التوتيا)، والمعجم الوسيط ١: ٩٠، وصحاح المرعشلي ١١٤. وبرهان قاطع ١: ٥٢٩ ومعجم الحيوان ٩٤، ٢٢١.

توتياء مرباة بماء المرزنجوش ٢: ١١٢
توتياء مسحوق ٢: ٥٩٠
توتياء مغسول ١: ٤٤٤/ ٢:١١٦، ١٤٠، ٥٨٩/ ٣: ١٣٧، ١٣٨، ١٨٢
توتياء هندي ١: ٤٤٣/ ٣: ٤٢٠
خبث التوتياء ٣: ١٦٧
دواء التوتياء ٣: ١٣٨
(رماد) التوتيا ٢: ٥٥٤
الشياف التوتيائي الذي ذكره مسيح ٣: ٤٢١، ٤٢٣
غُسالة التوتياء ١: ٤٤٣
كحل توتيائي، أكحال توتيائية ٢: ١٢٩

التوتياء من الأدوية المفردة التي ذكرها ابن سينا في القانون حيث قال: «الماهية: أصل التوتيا دخان يرتفع حيث يخلّص الأسرب والنحاس من الحجارة التي تخالطها والآنك الذي يخالطه. وربما صعّد الإقليميا فكان مصعَّده توتيا جيدًا، ورسوبه قليميا .. والتوتيا منه أبيض، ومنه أصفر، ومنه أخضر، ،ومنه رقيق، ومنه غليظ، ومنه إلى الحمرة، وهذه كلها تعمل ببلاد كرمان. والهندي غسالة التوتيا يجتمع كالدرديّ تحت الماء الذي يغسله .. والفرق بينه وبين التوتيا، أن التوتيا يصعد، وذلك يبقى أسفل الأمانيق التي يسيل فيها النحاس .. وقيل إن في البحر حيوانًا مدورًا صلب الخارج يموت في البحر والأمواج ترمي به إلى الساحل يجعل منه التوتيا، وهو لطيف جدًا ..» ثم ذكر من فوائد التوتياء أنه مجفف للقروح، نافع من أوجاع العين ... وغير ذلك.

واضح من كلام ابن سينا السابق، ومما قاله ديسقوريدس ومن نقلوا

عنه أن التوتياء مادة مصنوعة تنتج عند تخليص المعادن وتجمع من الأتانين والأمانيق المستعملة في التخليص، وفي المراجع وصف لطرق الحصول عليها، والفروق بين أصنافها وما يمكن أن يستعاض به عنها من أدوية نباتية وحيوانية تجمع وتحرق. ووصف البيروني في الصيدنة أصنافًا طبيعية معدنية للتوتياء وأخرى صناعية. والظاهر أن المصنوعة لم تكن معروفة في المغرب فاكتفى ابن البيطار في كلامه عليها بنقل أقوال ديسقوريدس وجالينوس. وقال ابن الحشّاء: «توتيا: المعروف منه المعدني ويوجد بالأندلس. وأما الذي ذكره دياسقوريدس وهو المستخرج من تخليص النحاس فغير معروف». أما المراجع غير المغربية ففيها وصف للنوعين كليهما. فقد جاء في الشامل: «توتياء منه معدني، ومنه مصنوع. والمعدني يوجد بسواحل الهند ونحوها. وأما المصنوع فيتولد من دخان مسبك النحاس، وهو الذي يخلص فيه النحاس مما يخالطه من الحجارة والأتربة[1] ونحوها. والمعدنية أنواعها ثلاثة، وألطفها البيضاء، وهي التي يشاهد على ظاهرها كالملح، ثم الصفراء، وهي التي لونها بين الصفرة والحمرة. وأغلظها وأردؤها الخضراء ... وإذا صعّد الإقليميا كان مُصَعَّدُه توتياء جيدة ...».

إذا أردنا مقارنة هذه المواد التي وصفها القدماء بمعلوماتنا الكيماوية الحديثة فإننا نقول: التوتياء هي أكاسيد بعض المعادن. وقد جعل الدكتور زهير البابا التوتياء الكرماني مقابلاً لأكسيد الزنك، وذلك في المعجم الذي صنعه لأقرباذين القلانسي.

أما التوتياء الحيواني الذي ذكره ابن سينا فهو حيوان صدفي معروف هو القنفذ البحري ترجمه لوكلير بـ Oursim . وفي معجمات اللغة التوتياء

(١) غامضة في الأصل المخطوط تحتمل قراءة «الأسرب».

معروف وهو حجر يُكتحل به. وهو معرَّب صرح بذلك الجوهري وغيره. قال ابن الكتبي «فارسي معرب عن اسم الدخان»، وفي برهان قاطع[1]: توتيابضم أوله معرب. توتيا (تفس)، وبالفرنسية Tutie. اكسيد الزنك (عن دوزي).

تودري*

تودري	١: ٢٦٧، ٢٨٤، **٤٤٣**/ ٣: ٣٥٩
تودران، بودريحان [تصحيف]	٢: ٢٧٩/ ٣: ٣٠٣
تودري أبيض	٣: ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨
تودري أحمر	١: ٣٥١/ ٣: ٣٢٣، ٣٣٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٨
تودرنج أبيض، تودرنج أحمر	٢: ٥٤٠
بودرنجين أبيض وأحمر	٣: ٣٤٠ [تصحيف. والصواب تودرنجين]
تودريحان	٢: ٥٤٠ [تصحيف. والصواب تودريجان]
تودري بري	١: ٤٤٣
بزر التودري	١: ٤٤٣
بزر التودري البري	١: ٤٤٣

(١) في التعليقات أسفل الصفحة ٥٢٩.

* كتاب ديسقوريدس ٢١٤(اوروسيمن)، ٢٩٦ (ارمينن)، الحاوي ٢٠: ١٨٩ (تودري)، ١٩٠ (تودرنج)، والملكي ٢: ١١٠، والصيدنة ١٢١ (تـودري)، ومنهاج البيان ٦٢ ب (تودري)، والمختارات ٢: ١٨٨، ومفيد العلوم ٢٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٣، ومنهاج الدكان ١٨٢، والمعتمد ٥٤، والشامل ١٤٦، وما لايسع ١٣١، وتذكرة داود ١: ٩٤، ومعجم أحمد عيسى ١٧٠ (٦)، ومعجم دوزي ١: ١٥٤، ومحيط المحيط ٦٨ (تدر)، وبرهان قاطع ١: ٥٢٩ (تودرى).

جذر التودري ١: ٤٤٣

أقماع التودري ١: ٤٤٣

ماء التودري ٢: ١٣٥/ ٣: ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣١

ورق التودري ١: ٤٤٣

جاء في كتاب الأدوية المفردة في القانون قول ابن سينا: «تودري. الماهية: قال ديسقوريدس: عشبة شبيهة الورق بورق الفراسيون مربع الجذر وجذره قدر نصف ذراع له أقماع فيها بزر مستطيل أسود، وهذا هو المستعمل من التودري. وأما البري فبزره مدحرج ... ينفع من السرطانات التي ليست بمتقرحة .. ينفع من أورام أصول الأذن .. إذا اكتحل به مع العسل نفع من قروح العين .. يعين على نفث الأخلاط .. ينفع في الباه ..».

هذا الوصف جاء في كتاب ديسقوريدس في كلامه على (ارمينن) وهو نبات آخر غير التودري. أما التوذري، أو التوذرنج بالفارسية، فهو أروسيمن في كتاب ديسقوريدس. والمنافع التي ذكرها ابن سينا في كلامه على التودري هي مجمل ما ذكره ديسقوريدس للنباتين المختلفين اوروسيمن وارمنين. على حين وضح الرازي في الحاوي أن التوذري هو اوروسيمن وكذلك البيروني في الصيدنة[1].

تابع ابنَ سينا في غلطه كل من ابن جزلة الذي أورد في المنهاج ما يشبه كلام ابن سينا دون زيادة أو مناقشة. وابن هبل الذي أضاف قوله: «والذي نعرفه نحن فهو بزر إلى الحمرة صغار جداً مفرطح».

نبه ابن البيطار على الغلط الذي وقع فيه ابن سينا ومن تابعه فقال:

(١) هذا إذا نظرت إلى بداية كلامه الوارد في المطبوع. أما إذا قرأت ما جاء في آخر المادة بين معقوفتين، وهو مما تفردت به إحدى مخطوطات الصيدنة فتجد كلام ابن سينا نفسه. وقد نبهت مرات على أن تلك النسخة فيها زيادات منقولة من القانون هي إضافات مقحمة على الأصل. لا أشك في ذلك.

«تودري، ويقال تودرنج أيضًا، وهو السقل المعروف باللبسان.. قال أبو حنيفة امتجارة. قال: وسمعت أعرابيًا يقول الجارة ويسقط الميم، ولا أدري هل هو من الأول أم لا. ويقال امتجارة بكسر الميم وفتحها[١]. وقال حنين: هو الدواء المسمى باليونانية ارق سمن ونحن معتبون حنينًا في ذلك[٢]. وهذا النبت يعرف ببيت المقدس وما والاها بالامتجارة. وأما الشيخ الرئيس وصاحب المنهاج فغلطا فيه غلطًا فاحشًا وتَقَوَّلا في الماهية على ديسقوريدس مالم يقله. ثم إنهما نسبا إلى هذا الدواء منفعة دواء آخر وهو الذي ذكره ديسقوريدس في الثالثة وسماه باليونانية ارمينن[٣]، وقدذكرته في الألف ... ديسقوريدس في الثانية: اروسيمن[٤] يزرع في المدن، وينبت في البساتين والخرابات، وله ورق شبيه بورق الجرجير البري، وأغصان دقاق، وزهر أصفر، وعلى طرف الأغصان غلف شبيهة في شكلها بالقرون دقيقة[٥] مثل غلف الحلبة، فيها بزر صغار شبيهة ببزر الحرف يلذع اللسان ...» والظاهر أن الغلط كان يحيط بهذا الاسم من كل جانب فها هو ذا الكوهين العطار ينبه على خطأ آخر إذ يقول: «تودري أبيض وأحمر. ذكر بعض المفسرين أنه الخشخاش الأبيض والأسود، وليس بصحيح، بل الصحيح أنه من أنواع الرشاد، وأنا رأيته ونقلته عن والدي، وطعمه كطعم الرشاد. ومنه أصفر وأحمر، وقدر بزره قدر بزر الخشخاش مدور إلا أنه أصلب ..» وقد تنبه مؤلفو المفردات بعد تلك الحقبة إلى خطأ ابن سينا وغيره فوصفوا

(١) في ما لايسع (اسحاره)، وفي التذكرة (السماره)، وفي معجم أحمد عيسى (اشجارة)، ونص ابن البيطار يؤكد أن في الكلمة ميمًا لكنه لا يمنع أن يكون قد أصابها تصحيف آخر. ولم أجدها بهذا اللفظ في المراجع الأخرى.

(٢) أي في التصحيف البسيط الذي وقع فيه إذ قال ارق سمن بدلاً من أروسيمن.

(٣) في الأصل المطبوع ارقين، وفي باب الألف ارمينس وكلاهما تصحيف.

(٤) في الأصل المطبوع أروسهن وهو تصحيف.

(٥) كذا في المطبوع والأشبه أن تكون «رقيقة».

التودري مثلما وصفه ابن البيطار، لا كما في القانون، لكنهم لم يذكروا خطأ ابن سينا ومن تابعه. وإذا أُطلق التودري فإنما المراد به البذور بالذات. والاسم العلمي لنباته هو Sisymbrium officinale.

ورد هذا الاسم في القانون والمراجع الأخرى بلفظ تودري، وتوذري، وتودريج، وتوذريج وهو معرب من الفارسية. وقيل إن عربيته القَصِيصة كما جاء في برهان قاطع، ومعجم أسماء النبات، وزاد البستاني في محيط المحيط بزر الهوة.

تياست

تصحيف. انظر مادة (بناست) التي سبقت في باب الباء من هذا المعجم.

تيادريطوس*

تيادريطوس، بيادريطوس، تياذريطوس، ياذريطوس ٢: ٣٦٦، ٤٦٩، ٥٦٥، ٥٦٦، ٦٠١/ ٣: ١٤١، ٢٨٤، ٣٤٥، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٢

تيادريطوس الأكبر ٣: **٣٤٣**

تيادريطوس آخر ٣: **٣٤٤**

تيادريطوس آخر مسهل ٣: **٣٤٤**

تيادريطوس بجوزبوا ٣: **٣٤٤**

هو دواء مركب قديم مشهور. ذكره ابن سينا في أقرباذين القانون في المقالة

* الملكي ٢: ٥٤٧، ٥٤٨ (بيادريطوس)، ومنهاج البيان ٦٥ أ (ثياذريطوس)، وتركيب ما لايسع الطبيب جهله ٢٥ أ (ثياذريطوس)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٩٨.

الخاصة بالايارجات وذكر فوائده ووضح بالتفصيل مكوناته على أربع نسخ مختلفة بزيادة بعض المفردات أو نقصها، لكنها لا تخرج عن القاعدة العامة في صنع الإيارجات، وهي أن تدق الأدوية المفردة وتسحق وتعجن بالعسل وحده أو بالعسل والماء[1]. وفي القراباذينات نسخ كثيرة لهذا الدواء بعضها مماثل لما عند ابن سينا.

ورد هذا الاسم في القانون بالتاء المعجمة باثنتين، وفي كثير من المراجع الأخرى بالمثلثة ، والذال تعجم وتهمل. قال ابن الكتبي: «ثياذريطوس، ورأيته بخط الأفاضل بالتاء. هذا معجون قديم عُمِل لثياذريطوس الملك اليوناني قبل زمن جالينوس، وهو من الأدوية العظيمة النفع الجليلة الخطر، نافع من برد المزاج وفساده وفساد الكبد والمعدة والطحال والكلى والأرحام والقولنج ويسهل في غير مشقّة ..» وفي تذكرة داود: «ثيادريطوس ملك من ملوك اليونان عمل له هذا المركب فسمي باسمه. قيل إن أول من عمله اندروماخس الثاني، وقيل أبقراط. وهو دواء جيد قديم».

تيس

انظر مادة (ماعز) في باب الميم من هذا المعجم.

تين*

تين. تينات ١: ١٦٣، ١٨٧، ١٨١، ١٨٥، ١٨٨،

(١) لمزيد من التفصيل انظر مادة (أيارج) التي سبقت في باب الهمزة من هذا المعجم مج ٧٢ / ص ٧٤٧ .

* كتاب ديسقوريدس ١٢١، وكتاب النبات ١: ٦٩، والحاوي ٢٠: ١٩٧، والملكي ١: ١٨٧، والصيدنة ١٢٣، ومنهاج البيان ٦٣ أ، ومختارات ابن هبل ١: ٢٦٠/ ٢: ١٨٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٦ والشامل ١٤٠، وما لايسع الطبيب جهله ١٣٣، وحديقة الأزهار ٢٩٦ (٣٢٢)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٥، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٨٣ (٤)، ومعجم الشهابي ٢٧٧. والمخصص ١١: ١٣٧، والقاموس واللسان والتاج (بلس، تين)، ومعجم دوزي ١: ١٥٦، ومحيط المحيط وغيره (تين).

٢٣٤، ٢٤٤، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٧،
٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٠٣،
٣٢٠، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٨٨، ٣٨٩،
٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٩. ٤٤٠، **٤٤٦**.
٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٤/ ٢: ٨٩، ١٥١،
١٦١، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٩، ١٨١، ١٩٧،
٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٦،
٢٨٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٧٦،
٣٧٨، ٤١٨، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٦٨،
٤٧٠، ٤٧٢، ٤٨٤، ٥٢٥، ٥٤٤، ٥٥٢،
٥٧٦، ٥٩٨، ٦٠٢/ ٣: ٣٧، ٥٣، ٦٤،
١١٨، ١٢٢، ١٢٩، ١٤٦، ١٧٥، ٢١٨،
٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦١،
٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٠، ٢٩٨.

تين أبيض ١: ٤٤٦/ ٢: ١٥٨، ٢١٢، ٥١٠
تين أحمر ١: ٤٤٦.
تين أسود ١: ٤٤٦
تين أصفر، تينات صفر ٢: ٦٢٨/ ٣: ٦٩
تين بري ١: ٢٨٥، ٤٤٧
تين بُسْتي ٢: ٥٥٤/ ٣: ١٣٥
تين حرّيف ١: ٤٤٦، ٤٤٧
تين رطب ١: ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨/ ٢: ٢٢٧
تين سمين، تين سمان ٢: ٢٢١، ٤١٦

تين شديد النضج ١: ٤٤٦، ٤٤٧
التين العلك ٢: ١٨٤
تين فجّ ١: ٢٨٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨/ ٣: ٢٣٤، ٢٥٣، ٢٥٤
التين الكبار ٢: ٢٨٠
تين لحيم ٢: ٣٩٣
التين الذي قد سقط قبل النضج ٣: ١٣٣
ويبس
تين مسلوق بماء العسل ٢: ٤٩٤
تين مطبوخ ٢: ٤١٦
تين منزوع الحب ٢: ١٥٧، ١٥٨
تين يابس ١: ١٧٨، ٣١٦، ٤١٩، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨/ ٢: ٨٩، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٦، ٣٩٧، ٤٩٩، ٥٧٢، ٥٧٨/ ٣: ١٢٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٩٤، ٣٠٦.
بزر التين ١: ٢٨٥
دواء التين المتخذ بالفوذنج ٢: ٢٢٦
رماد التين ١: ٤٣٠/ ٣: ٢٣٥
رماد حطب التين ٢: ٥١٥/ ٣: ٢٣٣، ٢٣٨
رماد خشب التين ٢: ٤٠، ٢٣٨
رماد شجرة التين ٢: ٥١٤/ ٣: ٢٦٠
سويق التين ٣: ١٧٩

شجر التين، شجرة التين، أشجار.. ١: ٨٤، ٢٨٥، ٣٨٨
شراب التين[١] ١: ٤٤٧، ٤٤٨
ضماد التين، ضماد التين والخردل ٢: ٢٣١، ٣٣٢/ ٢: ٤١٦
طبيخ التين ١: ٤٤٧/ ٢: ١٧٩، ٢٠٤، ٢٢٧، ٤٦٨، ٤٩٥/ ٣: ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١
أطراف التين ٣: ٢٦٥
عسل التين ٢: ٣٩٧
عصارة التين ١: ٤٤٦، ٤٤٧
عصارة قضبان التين قبل أن يورق ١: ٤٤٧
عصارة ورق التين ١: ٤٤٧، ٤٤٨
عقد التين الذي في الحيطان ٣: ٣٢٠
عقيد التين ١: ٤٤٦
أغصان التين البري ١: ٤٤٦
قضبان التين، قضيب التين ١: ٤٤٧
كعوب التين البالي في الحيطان ٣: ٣١٩
لبن التين[٢] ١: ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨/ ٢: ٦١٨/ ٣: ٢٣٤، ٢٦١، ٢٨١
لبن التين البري ٢: ٦٢٠
لبين التين الفج ١: ٤٤٦/ ٣: ٢٥٧
لبن التين المجفف ٢: ٥١٥
لبن التين المقطر ١: ٤٤٨

(١) انظر صنعته في كتاب ديسقوريدس ٣٨٩.

(٢) أي نال المادة البيضاء اللزجة التي تخرج من عنق الثمرة عند قطفها أو من الأغصان الطرية.

لحم التين ٢: ٣٩٧
ماء التين ١: ١٤٦، ١٤٧/ ٢: ٢٣٠، ٢٥٦/ ٣: ٦٩، ١٢٩
ماء رماد التين ١: ٤٣١/ ٣: ١٣٠
ماء رماد حطب التين ٢: ٥١٥
ماء رماد خشب التين المكرر ١: ٤٤٧، ٤٤٨/ ٣: ٢٣٤، ٢٣٥
ماء أغصان التين ١: ٤٤٦
ورق التين، أوراق التين: ١: ٢٨٢، ٤٤٧، ٤٥٠/ ٢: ١٣٥، ٤٣٩، ٤٦٢/ ٣: ١٥٤، ١٧٩، ٢٦٩، ٢٨٤، ٢٨٦
ورق التين الأسود ١: ٤٤٨
ورق التين الطري ١: ٤٤٨
ورق التين المسلوق ٣: ٢٦٦
ورق التين اليابس ٣: ٢٨٤
ورق شجر التين ٣: ١٦٢، ١٧٥

التين من مفردات القانون و لم يصفه ابن سينا لشهرته، بل ذكر خواصه وفوائده فقال: «التين في نفسه له طبع، ولأوراقه ولبنه قوة يتّوعيّة[1]، وإذا لم توجد أوراقه طبخ أغصان البري منه مكسورة مرضوضة، وأخذ ماؤها واتخذت منه عصارة كما تتخذ من سائر الحشيشات. وعقيد التين يشبه العسل في أفعاله. الاختيار: أجوده الأبيض ثم الأحمر ثم الأسود .. الرطب منه حار قليلاً ..» ثم أتم ذكر فوائده الكثيرة التي تستفاد من كل جزء من أجزائه فتفيد في كل أعضاء الجسم البشري.

(١) نسبة إلى اليتّوع. انظر مادة (يتوع) في هذا المعجم.

قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «تين: الواحدة تينة، وأجناسه كثيرة برية، وريفية، وسهلية، وجبلية. وهو كثير بأرض العرب. أخبرني رجل من أعراب السراة ـ وهم أهل تين ـ قال: التين بالسراة كثير جدًا مباح. قال: ونأكله رطبًا ونُزَبِّيه فندَّخره. قال: ومن أجناسه عندنا الجلداسي وهو أجوده، نغرسه غرسًا، وهو تين أسود ليس بالحالك ... وهو من أحلى تين الدنيا .. ومنه القلاري وهو تين أبيض متوسط .. ومنه الطُّبار، وهو أكبر تين رآه الناس أحمر كميت .. ومن أجناسه الفيلجاني .. وهو مدور أسود شديد السواد، جيد الزبيب ـ يعني بالزبيب يابسه ـ ومنه الصُدَّى .. ومنه المُلاَحيّ .. ومنه الوحشي، وهو ما تباعدت منابته فنبت في الجبال وشواحط الأودية، ويكون من كل لون أسود وأحمر وأبيض، وهو أصغر التين. وإذا أكل جنيًا أحرق الفم، وهو صادق الحلاوة .. وقال غيره من الرواة: من أجناس التين تين الجُمَّيز. وشجر التين الجبلي يقال له الحاط. وأخبرني بعض الأعراب أنه في مثل نبات التين غير أنه أصغر ورقًا، وله تين كثير صغار من كل لون .. وهو شديد الحلاوة، يحرق الفم إذا كان رطبًا ..». إذا أطلق اسم التين في كتب الطب فالمراد به الثمرة، كما جاء في ما لايسع الطبيب جهله. والاسم العلمي لهذا الجنس من الشجر هو Ficus Caracia من الفصيلة التوتية.

ذكر التين في القرآن الكريم[1]، وذكره ابن سيده في أجناس البَلَس حيث قال: «التين واحدته تينة وهو البلس. وقيل البلس الثمر، والشجر التين».

(١) سورة التين ٩٥

باب الثاء

ثافسيا*

ثافسيا	١: ٢٣٤، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٣٤، ٣٦٨، ٤٤٥، **٤٥١**/ ٢: ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٤٤، ٨٤، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ١٦٨، ٢٨٨، ٦٢٦/ ٣: ٢٢٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦ ، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٨، ٤٤٠
تافسيا(تصحيف)	٢: ٣٤١
فافسيا	١: ٣٥٨
يافسيا (تصحيف)	١: ٢٩٠
تفسيا	١: **٤٤٥**
تفسيا طري	١: ٤٥١
ثافسيا حديث	٣: ٢٦٧
ثافسيا طري	١: ٤٥١
أصل التفسيا	١: ٤٤٥

* كتاب ديسقوريدس ٥٥٩ (ثابسيا)، والحاوي ٢٠: ٢٢٢ (ثفسيا) ٢٢: ٥٨، ٣٤٧ (تفسيا)، والملكي ٢: ١٠٦، ومفاتيح العلوم ١٧٢ (ثفسيا)، والصيدنة ١٠٩ (تافسيا)، ومنهاج البيان ٦٤ أ، والمختارات ٢: ١٩١ (تافسيا)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٤٨، ومفيد العلوم ٢٧، ومنهاج الدكان ١٨٢، والمعتمد ٥٧، والشامل ١٤٧، وما لايسع الطبيب جهله ١٣٥، وحديقة الأزهار ٢٩٢ (٣١٨)، وقاموس الأطباء ١: ٢١١ (الثافيسيا)، ومعجم أسماء النبات ١٨٠ (٣). ومعجم دوزي ١: ١٥٦، ومحيط المحيط ٧١ (تفسيا).

أصل الثافسيا	١: ٤٥١
دمعة التفسيا	١: ٤٤٥
دمع الثافسيا	١: ٤٥١
دهن الثافسيا	٢: ٥١٦
دواء ثافسيا	٢: ٢٩٩
ضماد ثافسيا	٢: ٤١٦
طلاء ثافسيا	٢: ٨٦
عصارة تفسيا	١: ٤٤٥
عصارة ثافسيا	١: ٤٥١
قشر التفسيا، قشور التفسيا	١: ٤٤٥
قشر الثافسيا، قشور الثافسيا	١: ٤٥١
قيروطي الثافسيا، قيروطي	٢: ٢٣٥، ٢٣٦

من الثافسيا

ذكر ابن سينا هذا العقار في أدويته المفردة مرتين اثنتين. الأولى في فصل التاء المثناة حيث قال: «تفسيا. الماهية: هو صمغ السذاب البرى، وقد يقال بالثاء. لا ينتفع إلا بطريه حار جدًا .. وإذا أتى عليه سنة ضعف .. منقٍّ مسهل منضج .. ينفع من نفث القيح .. في أصله وقشوره ودمعه إسهال .. إذا أكثر منه ضر ..». والثانية في فصل الثاء المثلثة حيث قال: «ثافسيا. الماهية: هو صمغ السذاب البري .. لا ينتفع إلا بطريه .. حار جدًا ... إلخ» وكرر فوائده التي شرحها في الموضع الأول. كما تكلم على هذا العقار أيضًا في معرض حديثه عن السموم فقال[1]: «فصل في الثافسيا. هذا هو صمغ السذاب الجبلي وقد يوجد طعمه كطعم

(١) القانون ٣: ٢٢٥.

الباذروج وهو حاد ويُعرَّض مَن شربه لاحتباس كل ما يسيل من السبيلين ويرم اللسان ...» ثم يبين طرق علاج من تضرر به.

أكثر ما قاله ابن سينا في منافع هذا العقار وأضراره مأخوذ عن ديسقوريدس الذي حلى نباته قائلاً: «ثابسيا: استخراج هذا الدواء من ثابسيس الجزيرة لأنه يُظن أن أول ما وجد بها. وهو نبات جملته تشبه النبات الذي يقال له نرثقس[١]، إلا أن ساقه أدق، وورقه شبيه بورق النبات الذي يقال له ماراثن[٢]، وعلى أطرافه في كل شعبة أُكلَّه شبيهة بأُكلَّة الشبث، فيها زهر أصفر، وبزر إلى العرض[٣] ماهو، شبيه ببزر النبات المسمى نرثقس غير أنه أصغر منه، وأصل أبيض كبير غليظ القشر حريف. وقد يستخرج منه دمعة بأن تحفر حوله حفرة وتشق وتشدخ، أو بأن يحفر حفرة مستديرة وتغطى الحفرة لتبقى الدمعة نقية، وفي اليوم الثاني يؤخذ ما اجتمع من الرطوبة. وقد تستخرج عصارة الأصل بأن يدق ويعصر .. ويجفف في الظل في إناء خزف ثخين .. ومن الناس من يعتصر الورق مع الأصل..» ثم ذكر من فوائد هذه العصارة وأضرارها ما تردد في كتب المفردات بعده. لم يقل ديسقوريدس إن ثافسيا هو صمغ السذاب البري أو الجبلي. ويتبين للباحث أن أحد القدماء أخطأ في ترجمة ثافسيا فتابعه كثيرون منهم ابن سينا. جاء في الحاوي قول مؤلفه الرازي[٤]: «تفسيا: أصبت أنه صمغ السذاب البري» ولم يحدد مرجعه، وفي مفاتيح العلوم أيضًا «تفسيا هو صمغ السذاب» أما في الصيدنة المطبوع فلم يُحقق كلامُ البيروني تحقيقًا يعوَّل عليه،

---

(١) هو القنا كما في كتاب ديسقوريدس. قال ابن البيطار وهو الكلخ وهو عند عامة الأندلس القنا.

(٢) هو الرازيانج كما في كتاب ديسقوريدس وكتاب الصيدنة وغيرهما.

(٣) في الأصل الأرض، وما أثبته من مفردات ابن البيطار. وفي النص تصحيفات أخرى مشابهة لم أنبه عليها.

(٤) الحاوي ٢٢: ٥٨.

لكنني آنست من العبارة المضطربة والحواشي التي نقلت بعض ما جاء في النسخ المخطوطة، أنه أحس بالخطأ ونبه عليه.

بعد أن قال ابن سينا في القانون في ثلاثة مواضع إن الثافسيا هو صمغ السذاب، شاع هذا التفسير وتابعه فيه كثيرون من القدماء والمحدثين منهم ابن جزلة في المنهاج، وابن هبل في المختارات، وابن رسول في المعتمد، والبستاني في محيط المحيط. لكن ابن البيطار نبه في مفرداته على هذا الخطأ حيث قال: «تافسيا يسمى بالبربرية ادرياس[1]، وأخطأ من جعله صمغ السذاب ثم نقل أقوال ديسقوريدس فيه، ولم يذكر ابن سيناً بخير أو شر، ولم ينقل من كلام المؤلفين بالعربية إلا بعض ما قاله الشريف في مدة بقاء قوة هذا الدواء ومنافعه .. وأيده في هذا أبو المنى العطار الذي قال في منهاج الدكان: «ثافسيا هو الدرياس. وقيل إنه صمغ السذاب البري .. وفحصت عنه فلم أجد للسذاب صمغًا. ويقال إن صمغ السذاب الغربيون، وفحصت عن الآخر، وسألت عنه عبد الله بن البيطار فذكر أن عندهم سذابًا في المغرب يطلع بريًا كبيراً يرجع مثل الشجر، ولم يتحقق أنه يطرح صمغًا». وتابعهما ابن الكتبي الذي قال في ما لايسع الطبيب جهله: «ثافسيا اسم مشتق من اسم الحزيرة .. وغلط من جعله صمغ السذاب ..» على حين تحاشى كثير من المؤلفين بعد ابن البيطار ذكر صمغ السذاب عند الكلام على الثافسيا، منهم مؤلفو الشامل، وقاموس الأطباء، وتذكرة أولي الألباب .. وجمع ابن الغساني في حديقة الأزهار كل الاختلافات حول هذا الاسم وحققه بقوله: «ثافسيا. شرح الماهية: اختلف الأطباء فيها: قيل إنها عصارة، وقيل إنه صمغ السذاب البري، وقيل صمغ المشنان، وقيل صمغ نوع من الكلخ، وقيل صمغ الدرياس،

(١) وهذا ما أكده ابن الحشاء في مفيد العلوم حيث قال: «ثافسيا هو النبات المسمى بالبربرية الدرياس ...».

وقيل السذاب نفسه. والصحيح أنه نبات له ورق كورق الرازيانج، وساقه مجوفة في غلظ الإصبع الوسطى ملساء خضراء معقدة تعلو نحو الذراعين، في أعلاها إكليل كإكليل الشبث عليه زهر أصفر، وبزر في قدر الكرسنة الصغيرة، وأصل كالسلجمة الطويلة، وهو اللفت المحفور. إذا شدخ خرجت منه دمعة حارة محرقة. فتلك الدمعة هي الثافسيا. وذكر ابن عبدون أن هذا النبات كثير بنواحي فاس، وقد جلب منها إلى قرطبة ..»

الاسم العلمي لنبات الثافسيا هو كما في معجم أسماء النبات Thapsia garganica من الفصيلة الخيمية. ورد اسمه في المراجع بعدة ألفاظ متقاربة هي: ثافسيا، ثفسيا، تافسيا، تفسيا وكلها أشكال من التعريب للاسم اليوناني الذي أفادنا ديسقوريدس أنه مشتق من اسم جزيرة ثابسيس.

ثالافسيس*

ثالافسيس، ثالسفيس ٣: ٣١٢، ٣١٥

ذكر ابن سينا هذا العقار في كتاب الأدوية المركبة مرتين بلفظين مختلفين. الأولى في العقاقير الداخلة في تركيب الترياق الفاروق بلفظ ثالافسيس قال: «وهو الحرف الأبيض». والثانية في تركيب المثروذيطوس بلفظ ثالسفيس قال: «وهو الحرف البابلي». وهذان اللفظان تحريف للاسم اليوناني ثلاسفي Thlaspi وهو نبات طبي وصفه ديسقوريدس في كتابه فقال: «ثلاسفي هو نبات دقيق الورق، طول ورقه إصبع، منبسط على الأرض مشرف الأطراف وفيه شيء من

* كتاب ديسقوريدس ٢١٣ (ثلاسفي)، والحاوي ٢٠: ٢٢٥ (ثلاسفي)، ومفردات ابن البيطار ٢: ١٧ (حرف السطوح وباليونانية بلسفى)، ومنهاج الدكان (تالسفي وبلا شقين) كذا في المطبوع ولعل الثانية تصحيف ثلاسفيس، ومعجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ١٠٧ (٩) وانظر (حرف).

رطوبة لزجة، وله قلب في وسطه دقيق طوله شبران له شعب يسيرة، وعلى كل ثمر واسع الطرف فيه بزر شبيه بالحرف، شكله على شكل الفلكة كأنه شيء قد عصر من جانبين وله زهر لونه إلى البياض، وينبت في الطرق وعلى الحيطان والسياجات، وبزره حريف مسخن .. وقد يزعم فراطوس أنه يكون منه ضرب آخر يسميه بعض الناس خردلاً فارسياً ..». وما جاء في المراجع الأخرى عما جاء في كتاب ديسقوريدس. الاسم العلمي لهذا النبات هو Lepidium cam-pestris

وردت اللفظة مصحفة بأشكال مختلفة كثيرة في المراجع منها: بلاسفى، تلاسفى، بلاشقين .. إلخ وأقربها إلى اللفظ اليوناني: ثلاسفي

ثالثة ثانية

كثيراً ما يتكرر في الكلام على الأدوية وقواها قول الأطباء ومنهم ابن سينا: يابس في الأولى، حار في الثالثة، رطب في الثانية .. إلخ فسرت هذه المصطلحات في مادة (أولى) التي سبقت في باب الهمزة من معجمنا هذا.

ثجير*

ثجير الافسنتين	انظر مادة افسنتين
ثجير حب البان	انظر مادة بان
ثجير الخل	انظر مادة خل
ثجير العنب	انظرمادة عنب

* كتاب الصيدنة للبيروني ١٢٤، ومفردات ابن البيطار: ١: ٩٦، ومفيد العلوم لابن الخشاء ٢٧، والمعتمد لابن رسول الغساني ٥٧، والشامل ١٥٦، وما لايسع الطبيب جهله ١٣٦، ومعجمات اللغة (ثجر) وشفاء الغليل ٩٠. وانظر مادة (ثفل) في هذا الباب أيضاً.

عرض ذكر الثجير في كلام ابن سينا على بعض العقاقير ولم يحدد المراد به طبيًا.

في معجمات اللغة ذكر للثجير معنيان أحدهما خاص والآخر عام. جاء في اللسان: «الثجير ما عصر من العنب وجرت سلافته وبقيت عصارته فهو الثجير. ويقال: الثجير ثفل البسر يخلط بالتمر فينتبذ .. والثجير ثفل كل شيء يعصر والعامة تقوله بالتاء». أما في كتب المفردات فلم يرد إلا المعنى العام. قال ابن الحشاء في تفسير ألفاظ المنصوري: «ثجير كل شيء معتصر هو ثفله الذي يبقى منه بعد العصر». وقال ابن البيطار: «ثجير. اسم لما غلظ ورسب من المعتصرات» هذا هو اصطلاح الأطباء يوافقه ما في القانون.

ضبطت اللفظة بفتح الثاء وكسر الجيم. قيل في المصباح وشفاء الغليل وغيرهما إنه معرَّب ولم يذكر الأصل الذي عُرِّب عنه.

ثَرْب*

ثرب الغنم انظر مادة (ضأن)

تردد اسم الثرب مرات كثيرة في القانون وبخاصة في فصول التشريح. لكنه في هذا الموضع ورد ضمن أخلاط بخور يخرج العقارب فعددته لذلك في العقاقير.

عرف ابن الحشاء في مفيد العلوم الثرب بأنه «اسم عربي للغشاء الشحمي الذي يغطي الأحشاء، قال وتسميه العامة ـ أي عامة المغرب ـ الراداء والمنسج. فالأطباء إذًا لم يخرجوا في هذا الاصطلاح عن المعنى اللغوي. جاء في لسان العرب وتاج العروس: الثَرْب شحم رقيق يغطي الكرش والأمعاء وجمعه ثروب

* مفيد العلوم ٢٧، والقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس ومحيط المحيط (ثرب)، ومعجم دوزي ١: ١٥٨.

في الكثرة وأثرب في القلة. والثرب الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين.

ثريد

ثريد ٢: ٣١٣، ٣٢٦ / ٣: ١٤٣

ثريدة، ثرائد ٢: ٢٩٦، ٤٣٣/ ٣: ٢٧٠، ٣٨٧

ثريدة دسمة ١: ١٧٠

من فنون صنع الطعام وتهيئته الثَرْد وهو أن يُفَتّ الخبز ثم يبل بمرَق، ويشرف وسط القصعة. وهو عند ذاك ثريد وثريدة وثردة وثرودة.

ذكر ابن سينا الثرائد في أصناف الغذاء التي ينصح بتناولها المرضى والأصحاء مهيأة لكل منهم بما يناسب جسمه وسنه، فحدد أحيانًا صفة المرق الذي يثرد فيه الخبز، وأطلق ذكره أحيانًا أخرى. ولم يستخدم من أسمائه إلا الثريد والثريدة، وجمَعَهما على ثرائد.

ثعلب*

ثعلب ١: ١٠٤، ٤٥١/ ٢: ١٠٤

ثعلب حي أو مذبوح ٢: ٦٢١

جرو ثعلب ٢: ١٠٣

بعر ثعلب ٢: ٥٦٦

خرء الثعلب ٣: ٣١٩، ٣٢٠

رئة الثعلب ١: ٤٣٢، ٤٥١/ ٢: ٢٢١، ٢٢٢، ٢٥٨، ٤١٣

* كتاب الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٢، ١٨٣/ ٣: ٣٠٥، ٤٠٦/ ٦: ٢٤، ٣٥٧ وغيرها، والحاوي ٢٠: ٢١٢، والملكي ٢: ١٣٦، ومنهاج البيان ٦٤ب، ١٦٣ب (شحم الثعلب)، ٢٤٨ ب (مرارة الثعلب)، ومختارات ابن هبل ٢: ١٩٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٠، والمعتمد ٥٨، والشامل ١٤٩، وما لايسع ١٣٦، وحياة الحيوان ١: ١٥٢، وتذكرة داود ١: ٩٦، ومعجم الحيوان ٢٥٨، ومعجم الشهابي ٥٥٧، ومعجمات اللغة (ثعلب).

(زيت الثعالب) زيت مطبوخ ٢: ٩٠، ٩٩
فيه الثعالب
الزيت الذي يطبخ فيه الثعلب حيًا ١: ٤٥١
شحم الثعلب، شحوم الثعالب ١: ٤٤٠، ٤٥١/ ٢: ١٥٤، ٢٢١، ٤٨٩/ ٣: ١٣٥
طبيخ الضبع والثعلب ٢: ٦٢١
فراء الثعلب ١: ٤٥١
كبده ٢: ٤١٣
مرارة الثعلب ٢: ١٤٠
مرقة الثعلب ١: ٣٥٩

ذكر ابن سينا الثعلب في أدويته المفردة لما فيه من خواص نافعة لبعض الأمراض وبخاصة شحمه. وكذلك ذكرته كثير من كتب المفردات قبل ابن سينا وبعده. وكان التداوي ببعض أجزاء الحيوان أليفًا ووحشيًا أمر شائع في الطب القديم.

الثعلب حيوان بري معروف، صنفه العرب قديمًا في السباع، وهو كما في معجم الحيوان: «من فصيلة الكلاب وعشيرة الثعالب، أصغر من ابن آوى، كث الذنب، والفرق بينه وبين ابن آوى في حدقته، فهي إهليليجية فيه، ومستديرة في ابن آوى..» له أنواع كثيرة واسمه العلمي Vulpes

جاء في اللسان: «الثعلب من السباع معروفة، وهي الأنثى، وقيل الأنثى ثعلبة والذكر ثعلب وثُعْلُبان .. الأزهري: الثعلب الذكر، والأنثى ثُعالة، والجمع ثعالب وثعالٍ ..» قلت: ولم يذكر ابن سينا في القانون إلا الثعلب بلا هاء، وهو

• مختارات ابن هبل ١٩٤، والمعتمد ٥٨، وما لايسع ١٣٧، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٠: ١٧٤، ومعجمات اللغة (ثفل)، ومعجم دوزي ١: ١٥٩.

عنده مذكر، فقد قال في أثناء كلامه عليه: شحمه .. رئته .. الخ».

ثُفْل*

ثفل	١: ٤٥٠/ ٢: ١٧٣
ثفل البول	انظر بول
ثفل البصل	انظر بصل
ثفل البورق	انظر بورق
ثفل الجلنار	انظر الجلنار
ثفل الخل	انظر الخل
ثفل دهن الزعفران	انظر زعفران
ثفل دهن السوسن	انظر سوسن
ثفل الرمان	انظر رمان
ثفل الزيت	انظر زيت
ثفل طحين السمسم	انظر سمسم
ثفل العدس	انظر عدس
ثفل عصر الزيت	انظر زيت
ثفل الفقاع	انظر فقاع
ثفل الفولاذ	انظرفولاذ
ثفل النارديـن	انظر ناردين
ثفل النبيذ	انظر نبيذ

* مختارات ابن هبل ١٩٤، والمعتمد ٥٨، ومالايسع ١٣٧، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٧٤، ومعجمات اللغة (ثفل)، ومعجم دوزي ١: ١٥٩.

الثفل من مداخل الأدوية المفردة في القانون. قال فيه ابن سينا: «ثفل. الاختيار: أجوده ثفل دهن الزعفران الرزين. الطبع: ثفل عصير الزيت في الأول من الحرارة. . الخواص ...» ثفل كل شيء ـ كما جاء في معجمات اللغة ـ هو ما استقر تحته من كدره أو مارسب من خثارته. ويقال الثافل أيضاً، ولم يستخدمها ابن سينا.

بهدا المعنى اللغوي ذاته استخدم ابن سينا كلمة الثفل في كلامه على الأدوية وغيرها، وقد أحلت كلاً على موضعه المناسب من المعجم، كما استخدم مرادفات أخرى له كالثجير..قال الأنطاكي في تذكرته: «ثفل: هو الثجير بعينه إلا أنه أعم» قلت: والعامة تستعمل هذه الكلمة مضبوطة الحركات إلا أنها تبدل الثاء المثلثة تاء بنقطتين فِعلَها في عامة الألفاظ التي تقع فيها الثاء كالثوم والأنثى والإرث وغيرها.

ثَلْج*

ثلج ١: ٩٢، ١٠٠، ١١٦، ١٢١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٢٠، ٤٥٠/ ٢: ١٤٨، ٢٧٩، ٣١٠، ٣٤٠، ٣٤٤، ٤٤٥، ٤٣٨، ٦٠٣/ ٣: ١٤، ٣٠، ١٧٠، ٢٢٠، ٢٢٤

يُثَلِّجُ (الدواءُ) ١: ١١٩

ماء الثلج ١: ١٨٥، ٤٥٠/ ٢: ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٧،

* الحاوي ٢٠: ٢٢٥، والملكي ١: ٢٠٢، والصيدنة ١٢٥، ومنهاج البيان ٦٤ب، والمختارات ٢: ١٩٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٠، والمعتمد ٥٩، والشامل ١٤٩، وما لايسع ١٣٧، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٧، وقاموس الأطباء ١: ٨٣ ،ومعجمات اللغة (ثلج). وانظر مادة (جمد).

٢٠٨، ٢٧٠، ٢٧٩، ٣٢٨، ٤٠٨/ ٣: ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٣٧٢

جاء في أدوية القانون المفردة قول ابن سينا: «ثلج: الخواص: رديء للمشايخ. ماء الثلج يسكن وجع الأسنان .. الثلج ضار بالعصب .. ضار بالمعدة»

كذلك ذكرته سائر المراجع الطبية فتكلمت على فوائده ومحاذيره، وبعضهم تكلم عليه في أثناء الحديث عن الماء وأنواعه. عرفه البيروني بقوله: «هو ماجمد من ماء السحاب عند سقوطه على الأرض أو بعد سقوطه عليها» لكن من تلاه من الأطباء ميزوا بين أصنافه، كمؤلف الشامل الذي قال: «إن الثلج سحاب قد حدث له جمود قبل استحالة ما فيه من الأجزاء البخارية ماء ويخالف الجَمَد والبَرَد في أن كل واحد منهما فإن جموده قد عرض له بعد أن كان ماء فإن جرم الثلج متخلخل بخلاف الجمد والبرد، مع أن السبب المجمد للثلج أشد وأقوى كثيراً من السبب المجمد للبرد، ولذلك فإن البرد يحدث في الربيع والخريف وفي البلاد الحارة. والثلج ليس كذلك ..» وهكذا حرص المتأخرون على التمييز بين أصناف الثلج. وقد استفاد الأنطاكي من كلام الذين سبقوه فحاول تعريف الثلج تعريفًا علميًا حيث قال: «الثلج هو ما تصاعد من البحر إلى كرة الزمهرير ليكون مطراً فتتعاكس عليه الرياح الباردة فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة عن الشمس إما مبندقًا ويعرف بالبرد اصطلاحًا، أو كالدقيق ويخص باسم الثلج، وأما الجليد فغيرهما ..».

لم تحفل معجمات اللغة بالتمييز بين هذه الأصناف، واكتفت بالقول: «الثلج الذي يسقط من السماء معروف» واصطلاح ابن سينا في القانون أقرب إلى الاصطلاح اللغوي العام.

عَلاَّمة الشام

الأُستاذ أحمد راتب النَّفَّاخ

(١٣٤٦/ ١٤١٢هـ- ١٩٢٧/ ١٩٩٢م)

د. حسين جمعة

١- رسم الفقيد:

فقدنا بموت المرحوم علاَّمة بلاد الشام الأستاذ الشيخ أبي عبد الله أحمد راتب النَّفَّاخ قلّ نظيره من أهل العربية وعلومها، والأدب وفنونه؛ والفكر وشذراته؛ والقرآن الكريم وقراءاته، والحديث الشريف وروايته، والثقافة وآفاقها...

فقد فاجأه الموت - على غير موعد - بعد مكابدة عظيمة مع الحياة التي أوقعته في أزمات صحيَّة، ورمته اجتماعيًّا وثقافيًّا بأقوام كانوا مدعاة لتوتر مستمر، بل سببًا للاضطراب النفسي الدائم... فغادرنا قبل الأوان في زمن ما نزال نحتاج فيه إليه وذلك صباح يوم الجمعة (١١/ ٨/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢/٢/١٤م) بعد أن أدَّى صلاة الصبح ثم بدأ التلاوة؛ فقرأ ما شاء الله له أن يقرأ من سورة البقرة. ولكن الصوت المرتل لم يلبث أن خفَت وسكت، وهُرع الأهل إلى الطبيب. وبذل الأطباء ما بذلوا فما نجحوا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا فأسلم الروح إلى بارئها راضيًا مرضيًّا. رحمه الله الرحمة الواسعة وأسكنه فسيح جناته»[١].

وشيَّعته أحداق العيون المغرورقة بالدمع؛ وودَّعه الأهل والخلان والأصحاب والأقرباء والجيران، وأهل الحي والطلبة الذين أحبوه، والجموع الغفيرة من ذوي العلم

وشُداته؛ ومن أهل النظر والفكر والأدب ورواته... شيَّعوه جميعهم إلى مقره الأخير في مجنَّة يحتضنها جبل قاسيون الأشم، في غُرة مدن الدنيا دمشق الفيحاء التي أحبها الشيخ وأحبته... وكان لسان حالهم يقول: رحل الشيخ الجليل صاحب القلب الطيب الصافي النقي الذي ما حمل غِلاًّ يومًا؛ رحل الأستاذ الفاضل الذي خصَّه القاصي والداني بالحفاوة والمهابة والتقدير؛ رحل علاَّمة الشام الذي ملأ الدنيا بوجوده علمًا وشرفًا؛ لقد دعته الآخرة فلبّاها؛ وصدق فيه ما يصدق على جميع البشر، وما قاله كعب ابن زهير(٢):

كلُّ ابنِ أنثى وإنْ طالَتْ سلامتُهُ يومًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

وقَع القضاء – ولا مهرب لإنسان منه – وحثَت الأيدي التراب على جسد أبي عبد الله المكفَّن بالنبل والطهارة... وغاب الوجه الأبيض الذي زانه التقى والهدى؛ بعد أن كان يلقاك بالمهابة والوقار، انطفأ نور عينيه الزرقاوين اللامعتين حدة وذكاءً ونشاطًا، والمفعمتين بالرجولة والدفء، واللتين يعلوهما جبهة شامخة شموخ العربية وعلومها.

وإذا كانت شاهدة القبر التي انتصبت فوق ثراك الطاهر حاملة اسمك الميمون (أحمد) فما نسي طلبتك ومريدوك، وأصدقاؤك الأوفياء رسم قامتك المعتدلة التي انتصبت في جسم مال إلى النُّحول في أخريات أيامك.

لقد تركوه وحيدًا مفردًا؛ وقد خلَّف فينا ولده الصغير عبد الله الذي يدرج في مرابع الطفولة وحيدًا، وكان قد حدب عليه عطفًا ورعاية حتى غدا رجلاً في إهاب البراءة، يقرأ من الأسفار ما يعجز الكبار عن مجاراته فيها ونرجو له الله أن يكون وريث عِلْم أبيه في قابل الأيام.

قد يكون التراب حال بيننا وبينك؛ إذ أسدل على جثمانك الطاهر

ستارة كثيفة؛ ولكنه لم يحل بيننا وبين طيفك الذي يشمخ حاضرًا في كل مجلس علم؛ فيحضر حضور الزمن الأبدي، ويتردد اسمك وعلمك في الأفواه وهي تفخر بك... فأنت ملء الأفواه والأسماع؛ إذ طالما فتحت لنا نوافذ الفكر، وتصيَّدت شذرات الأفهام التي لم يقدر عليها إلا أنت... كنت الملجأ والعاصم لنا من القلق والاضطراب والشك والخوف، والتردد والضحالة الثقافية، فإذا حزنَّا عليك وبكينا دمًا حُقَّ ذلك فيك، فقد كان فَقْدك عظيمًا؛ كزلزال عنيف، فصدق فيك قول عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم[٣]:

فلم يكُ قيس هلكُهُ هُلْكُ واحدٍ ولكنه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

فالمصاب بك مصاب الأمة؛ ولكن عزاءها أنك خلَّفت فيها سيرة عطرة عظيمة، وتراثًا من الخُلُق والعلم لا تبلى جدته على مر الدهر.

وهنا يفرض عليَّ المقام أيُّها الشيخ الحاضر فينا أبدًا أن أعرض لبعض قبسات من إنسانيتك النبيلة، ثم أعرض لشيء من سيرتك العلمية ومكانتك الفكرية والأدبية... فأثرك باق لا يزول، ومنهجك سنن علمي وضَّاء ماض في الأجيال مُذ أن أصبحتَ مثالاً للعالم الزاهد العصامي المخلص. وكأن الله ما خلقك إلا لذلك مُذ أبصرْتَ النور بدمشق في (١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) ونشأت في كنف أسرة كريمة تقية تعود بأصولها إلى إحدى أُسَر حوران، ولكنها انتقلت إلى بعلبك؛ ثم رجعت أدراجها فأقامت بدمشق قبل أكثر من مئتي عام ... منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي على الأقل.

٢– قبس من إنسانيته:

إذا كان لي شرف الكتابة عن الفقيد الأستاذ الشيخ الجليل – رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه – وإذا كانت الكتابة نقشًا في الخلود على جدار الزمن،

فما خلودها إلا بخلود ما تحلَّى به من كريم الصفات، ودلائل الخيرات؛ وأريحية المروءة والعطاء، وثبات على المبدأ وإعزاز للقيم والمبادئ في وقت غدت فيه المكانة العلمية والاجتماعية والثقافية مهزوزة مأزومة... صارت العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة، وطفقت التقلصات الفكرية عند دعاة العلم والثقافة تتقدم في الوسط المحيط على أنها لون من زناد فكر وقَّاد وإبداع عقل صناع.

من أين أبدأ – يا سيدي – في سرد خصالك؛ فالقلم ينزف دمًا وحسرة على فراقك؛ فمداده دمع؛ وخطه على الورق أنين وآهات... إنه محزون كصاحبه؛ وكلاهما يعيش أزمة ثقافية ونفسية بعد رحيلك ؟!!

كنا – يا سيدي – إذا ادلهمَّ الخَطْب، وأطبقت الظلمة على النفوس تدنينا من نفسك حتى نستشعر الحياء من ذواتنا المتضخمة أمام عظمة تواضعك وسموّ روحك... فتهدِّئ روعنا بوجهك الذي يطفح بالطمأنينة، ويتهلَّل بالمودة على ما توحي به قسماته الخارجية من شدة وحدَّة وقوة، لكنها ما تحمل إلا الحزم والإرادة، واللِّين والرِّقة.

عرفناه بصفاته النبيلة التي ارتفعت على كل الصفات وقد نذر نفسه وروحه للعلم وطلبته؛ لم يبخل يومًا بالنصيحة أو الإرشاد، فكان «النموذج الإنساني الساطع الذي وفَّق بين قوله وفعله وحقَّق في نفسه مَثَله: أعرض عن مغريات الدنيا، وارتفع عنها. لم يخلبه المال، فعاش في بيت بسيط جدًا في حدود الكفاية التي تصون ماء الوجه. لم يخلّف لأهله إلا هذا البيت الذي كان أبوه خَلَّفه له ، وإلا الكتب التي صحبها، ونذر حياته لها. لم يسعَ إلى منصب، ولم تفتنه المظاهر؛ ولم يقف بباب أحد. وربما جاءه أصحاب الحاجات فقضاها لهم ونسي حاجة نفسه وأهله»[٤].

«كانت البطولة تستثيره؛ فإذا اغتيلت أو أُكرهت بدت له أشد استثارة. من هنا يبلغ عطفه على الفقراء والبائسين وأصحاب الحاجات حدًا يغفل فيه – كما يفعل المثاليون؛ غالبًا – عن حقائق الواقع». يحكي الدكتور الأشتر قصةً وقعت لهما ذات يوم فيقول: «خرجت في صحبته يومًا من باب الجامعة الكبير في البرامكة، واجتزنا الشارع إلى الرصيف المقابل. فلم أَلحظ صبيًّا مستلقيًا عليه يسأل الناس – وقد مدَّ رجلاً تكسوها بقع الدم – ولكن الأستاذ النفاخ لم يشغله عن الصبي شيء. رأيته يندفع إليه؛ وينحني ويسأله عن حاله؛ فشكا إليه الصبي بلهجة منكسرة، ذاب لها قلبه، الفقر والعجز عن دخول المشفى؛ فما أسرع ما ضَرب بيده إلى جيبه فأعطاه؛ ثم لم يكتف؛ فاستوقف سيَّارة أوصى سائقها بحمل الصبي إلى المشفى ودفع له أجره»[٥].

كان لا يبالي في سبيل حق العلم والوفاء للتراث وشرف العربية وأئمتها « أَكَثُرَ محبّوه أم شانئوه. فلعلك ترى أستاذًا له قديرًا، أو صديقًا له أثيرًا، أو محبًّا مريدًا قد وَهَت العلائق بينهم وبينه. لم يتحملوا صدعه بالحق الذي يراه، ولم يكن عندهم من الحُجَّة ما يدفعون به قوله؛ فكانوا في مجالسهم يتحدثون عن شدته عليهم، وينسون شدته هو على نفسه. هذه الشدة التي كانت تحول بينه وبين أن يكتب إلا ما يراه صوابًا، بل مَحْض الصواب، ثم لا يبالي من بَعْدُ أَخسر صديقًا أم كسب عدوًّا... فلم يسعَ إلى لقب، ولا طمع في منصب، ولا استخفته شهرة، ولا طرِب لِمديح، إنه زهد حتى في مظاهر الحياة؛ فاطَّرح التكلف جملة؛ واستراح من أعبائه. فكنت تراه يستقبل زائريه على أيِّ هيئة اتفقت له. حتى بيته بقي بعد زواجه المتأخر مثال بيت العالم الزاهد»[٦].

وكان – رحمه الله – أقرب إلى الحق من أي رجل آخر؛ فإذا رأى رأيًا

وتبيَّن له وجه الخطأ فيه رجع عنه معترفًا بذلك على الملأ. فقد حدثني أستاذي الدكتور إحسان النُّص مرة بعد مرة عن ذلك، وآخر حديث جرى بيننا كان يوم الثلاثاء (٤/ ٦/ ٢٠٠٢م) في مكتبه بمجمع اللغة العربية... وإذا كنت وبعض زملائي قد عاينَّا منه ذلك في مناسبات كثيرة – رحمه الله – فإنني أثبت ما أورده في تعليق له على تحقيق (رسالة الغفران) للدكتورة عائشة عبد الرحمن؛ ولاسيما تعليقه على ضبط لفظ (غبًّا) في بيت النابغة[٧]:

كما لقيَتْ ذاتُ الصَّفَا من خَليلها وكانَتْ تَدِيه المالَ غِبًّا وظاهرَهْ

فقال: «وكانت المحققة ضَبطت (غبًّا) في الطبعة الأولى بكسر الغَين، وذهبتُ في مقالي – اعتمادًا على ما ورد في الديوان ص (٦٢) (طبعة بيروت) – إلى أنها بضمّ الغَيْن؛ ومعناها ما غمض من الأرض. وهذا وَهْم وقعتُ فيه؛ وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة، والصواب أنها بكسر الغين؛ والغِبُّ أن ترعى الإبل يومًا وتَرِد من الغد، والظاهرة أن ترد كل يوم نِصْف النَهار. وقد وردت الكلمتان في حكاية المعري نفسه للقصة ص (٣٥٦)، وشرحتهما المحققة ثمة شرحًا صحيحًا؛ إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي انسقت إليه»[٨].

ومن ثم فالشيخ الجليل على عظمة معارفه لا يبخل بما يراه، ولا يزدهيه ذلك؛ فقد حقَّق له علمه ومروءته الصدق مع الذات ومع الآخرين؛ لم يتطاول عليهم يومًا؛ وإذا أخطأ سارع إلى الاعتراف بما كان منه؛ وإذا فاته أمر نبَّه على غفلته كما قال: « فأحببت أن أعرض وجهة نظري فيما توقفت فيه على العاملين في هذا المضمار؛ ليدلي بوجهة نظره من عنَّ له رأي فيه... وأضفت إلى هذه النقاط نقاطًا لم أفطن لها فيما مضى»[٩].

وإذا أدام النظر في مسألة ما، ولم يهتد إلى رأي فاصل فيها أسرع إلى الإقرار

بعجزه، ثم يعرض أمره على صفحات الورق لعل ذوي الرأي من الباحثين يهتدون إلى رأي فيها، فيقول: « وقد اضطرني إلى ذلك محاولة الكشف عن رجال من رجال الرواية؛ منهم من خفيت حاله، ومنهم من لم أُصب له ترجمة»(١٠).

«والأستاذ راتب إلى ذلك كله وفيٌّ لأساتذته، حفيٌّ بهم، ذاكر لفضلهم متأسٍّ بهم، وطالما سمعناه يثني على علاَّمة العصر الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي والأستاذ الشاعر محمد البزم، والعالم الناقد المعروف أمجد الطرابلسي؛ أعضاء مجمعنا؛ والعلاَّمة الراوية محمود شاكر، والأديب الكبير شوقي ضيْف»(١١).

فهو شديد الاعتداد والثقة بزملاء له آثرهم وأثنى عليهم وعلى كل من وجد فيه العلم والحق مثل السيد أحمد صقر، وأحمد محمد شاكر؛ وعبد الرحمن الحاج صالح، ونجيب البهبيتي وصبحي الصالح ومحمود الغول وحاتم الضامن وحمد الجاسر وإحسان عباس وعبد الكريم زهور عدي وعبد الهادي هاشم وشاكر الفحام وعبد الكريم اليافي وإحسان النُّص وعبد الكريم الأشتر وغيرهم.

وكذا يذكره أصدقاؤه وأهل الحق بالفضل، وطالما سمعت منهم الثناء عليه؛ والقرين بالقرين مقتد، وها هو ذا الدكتور شاكر يقول: « عرفته في أواخر الخمسينيّات، وأنست بصحبته، وامتدت صداقتنا حتى قضى الله قضاءه، فعرفت فيه الصديق المخلص، الكريم الخلق، الطيب القلب، الصادق الود؛ يسارع في الخيرات، قد نصب نفسه لتلبية قاصديه، ومساعدة طلابه».

ويتابع الدكتور شاكر وصفه لأخلاق الأستاذ: «كان – رحمه الله – على خُلق كريم، وفيًّا لأصدقائه؛ محبًّا لإخوانه، وكان شديد التعلق بالمثل العليا، والقيم الخلقية، قد أخذ نفسه بها أخذًا شديدًا. وكان صريحًا صُلبًا في الحق، لم يعرف المهادنة، ولم يرض عن المصانَعَة... كان يحس أنه غريب في دنياه، فهو يحمل

همومه، وتَبْهظه أحزانه، ولا يكاد يرى من يبوح له بها. لقد أفردته أخلاقه ومُثُله، وباعدت بينه وبين ما حوله. وكنت حين أراه، وأُحس بما يعتلج في نفسه أُردّد هامسًا قول رسول الله ﷺ: «طوبى للغرباء»(١٢).

ونكتفي بهذه الملامح من قبس إنسانيته الرفيعة، وخلقه النبوي؛ الذي أخذ به نفسه؛ وكأنه يتأسى بخلق رسول الله ﷺ في أهله وبيته، وفي أسرته. فقد استقام على الحق والعدل في كل أمر من أمور حياته؛ فإذا ذُكر الإنسان الحر النزيه الشريف التقي النقي كان صورته؛ وإذا ذُكرت العفة والطهارة كان صميمها؛ وإذا ذُكر الصدق والجد والتفاني في العمل كان عنوانه... جمع المروءة ووعاها.

فالصفحات القليلة السابقة أعجز من أن تحيط بالحديث عن مُثُله وقيمه، ولعل ما يأتي من البحث يبيِّن جملة من فضائله وشيمه الأخرى... علمًا بأن الحديث عن مثله وطباعه يحتاج إلى المزيد من الصفحات. فهو موضوع قائم بذاته.

٣– سيرته العلمية:

إن من حق العلم وتقدير أهله في كل زمان ومكان أن تعترف الأجيال بصنيع المبدعين وتفرُّدهم، فالأستاذ – رحمه الله – وُلد لأسرة من أهل الخير والصلاح؛ وفدت إلى دمشق الفيحاء من بعلبك مع مطلع القرن التاسع عشر، وكانت في الأصل تسكن حوران، وانتقلت لأمر ما إلى بعلبك.

وقد نشأ في كنفها ودرج في مرابع الطفولة، فإذا دخل في السن الرابعة وجّهه أبوه إلى (الكتّاب) قُرْب مسجد الشيخ محيي الدين بن عربي؛ ثم التحق بمدرسة (الصالحية الابتدائية) في سن السادسة، وقد بدأت ملامح النجابة

تظهر عليه في هذا المرحلة. ومن ثم غدا أحد طلاب ثانوية (التجهيز) واسمها اليوم (جودة الهاشمي)، وأصبح واحدًا من أمهر المواهب السنية؛ التي توسَّمها فيه أساتذته؛ ولاسيما أستاذه آنذاك الشاعر محمد البزم؛ إذ رأى فيه النبوغ والتميُّز، وفاخر به، فما خيَّب ظنّه؛ ثم شهد له الأساتذة جميعًا بالعبقرية، أينما حلَّ وذهب، وكذلك عرفه زملاؤه.

وتجلَّت شخصية التلميذ الفذّ في المعهد العالي للمعلمين. فتخرّج بعد أربع سنوات في قسم اللغة العربية لعام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) بتفوق ملحوظ على أقرانه.

ويُعد الأستاذ الدكتور عادل العَوّا – رفيق صباه رحمه الله – من أحسن مَنْ عرفه في هذه المرحلة من الدراسة الجامعية فيصفه بقوله: «وقد بان ولعه؛ بل شغفه باللغة العربية أجلى بيان حين كاد يعزف عن النطق بلغة أجنبية، وكأن لغة الإنسان الحق هي اللغة القرآنية، لغة الصدق واللسان، فترسله سيلاً متدفقًا بصوتك الجَهْوري الذي زيّنه فَصاحةُ وبلاغة المبين»[١٣].

ثم التحق في العام الدراسي (١٩٥٠–١٩٥١م) بكلية التربية في جامعة دمشق (الجامعة السورية آنذاك) فحاز بجدارة شهادة أهلية التعليم الثانوي سنة (١٩٥١م) المعروفة الآن بـ(دبلوم التأهيل التربوي).

وقد توجَّه في هذه السنة (١٣٧١هـ/١٩٥١م) ميمِّمًا وجهه إلى مواطن جذوره الأولى؛ إلى حوران ومدينتها (درعا) ليكون أحد مدرِّسي ثانوياتها مدة عامين. أعلن فيهما إخلاصه لأصوله، وظهرت فيه روح المربي الفاضل الغيور على الأجيال؛ فرسم لهم صورة مثلى للقدوة الحسنة؛ وللحارس الأمين على تراث الأمة، والمحافظ على لغته الشريفة؛ ولاسيما حين تصدَّى لمناقشة أول طبعة لرسالة الغفران (١٩٥٠م) بتحقيق د. عائشة عبد الرحمن، فأرسل حين

اطلع عليها مقالة يكشف فيها عن الأخطاء التي ندَّت من الباحثة بعد أن أثنى على جهدها، وتوَّجها بمقالة إلى مجلة (الكتاب) المصرية؛ التي نشرتها بدورها في (مج١٠- ج٦) من عام (١٩٥١م). وإذا كانت أُسْرة المجلة قد تصرَّفت في المقالة على نحو ما؛ فإن ما جاء فيها قد أفادت منه المحققة الباحثة في الطبعة الثانية.(١٤)

ومن ثم استقبله قسم اللغة العربية بجامعة دمشق معيدًا لديه (١٣٧٣/ ١٣٧٥هـ -١٩٥٣-١٩٥٥م) ثم أوفده إلى جامعة القاهرة للدراسات العليا، فاستحق فيها درجة الماجستير بمرتبة الشرف سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م). بموضوع دراسة عن الشاعر ابن الدُّمَيْنة وتحقيق شعره. وقد نُشر تحقيق الديوان سنة (١٩٥٩م).

واستقرت به رحلة العلم في القاهرة على يد الأستاذ العلاَّمة الدكتور شوقي ضيف - رحمه الله - الذي أشرف عليه مرة أخرى لنيل درجة الدكتوراه. ولما كانت همة الشيخ عظيمة وحبه للعربية أعظم؛ ورأى أن أفضل ما يُحقق له رغبته الدراسات القرآنية لأنها أُمُّ الدراسات في العربية اختار موضوعًا في القراءات القرآنية لنيل تلك الدرجة، وانغمس في إعدادها حتى نجز أكثرها، ولكنه بدا له ما بدا؛ فطوى ذلك في سره - إذ شاء الله له ألا يحوزها - فعزم جازمًا على العودة إلى دمشق. ثم حط به المقام فيها سنة (١٣٨١هـ/١٩٦٢م) وانضم إلى أسرة قسم اللغة العربية بجامعة دمشق ليقضي فيه سبعة عشر عامًا حتى سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

وقبل أن يجذبني الحديث عن هذه المرحلة وما بعدها فإن العقل يستفزه السؤال المحيّر والملغز حول عزوفه عن اللقب العلمي، وإحجامه عنه بهذا

الشكل، في حين طمح إليه – ومازال يطمح – كل من هو أدنى منه بكثير، وهو الذي نشر عددًا من البحوث العلمية العالية في تلك المرحلة؛ ومن أمثلتها (القصيدة الصورية) – وقد نُشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية (مج٢– ج١– ١٩٥٦م)– وتعليقه المشهور الثاني على الطبعة الثانية لرسالة الغفران (١٩٥٧م) الذي نُشر فورًا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج٣٢– ج٤– ١٩٥٧م) و(مج٣٣– ج١– ١٩٥٨م) في باب التعريف والنقد.

أما لقاؤه أهل العلم والمعرفة في القاهرة فقد كان سمته المفضل؛ إذ جمعته صداقة لا ينحَلّ عراها مع العلاَّمة محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، رحمهما الله وغيرهما فضلاً عن شيخه وشيخ العلماء الجهبذ النّحرير عبد العزيز الميمني الراجكوتي الذي أجازه مرتين في رواية الحديث الشريف من الكتب الستة، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي، وهي إجازة موصولة بسند متصل برجال الحديث الثقات حتى تنتهي إلى الإمام المحدّث أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وهي آخر إجازة عن القدماء.

وعلاَّمة العصر الميمني (١٣٠٦ – ١٣٩٨هـ/ ١٨٨٨– ١٩٧٨م) أجازه بالرواية عنه في القاهرة المحروسة (منتصف صفر: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وبخط يده، وكان الميمني قد زار دمشق الفيحاء وكتب له إجازة أخرى. وفي إحداهما يقول: «لقيت الطالب الراغب والشادي الأديب أحمد راتب النفاخ بالقاهرة المحروسة وبمدينة دمشق الفيحاء... إني أجزت له أن يروي عني الكتب الستة الأمهات، وموطأ مالك، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، وبلوغ المرام، كما أجازني به شيخي ... حسين بن محسن بمدينة دهلي سنة ١٣٢٦هـ»[١٥].

وإذا كان الشيخ قد زهد في الألقاب، وعزف عنها لأنه أخذ نفسه

بالإتقان، والكمال؛ فرأى أنه دون ذلك؛ كما يخبرنا عنه الأستاذ الفاضل الدكتور عادل العوا – رحمه الله – صديق عمره الذي يتابع تفسيره لهذه المسألة قائلاً فيه: «وكأنك امتثلت لحديث رسول الله ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) وكأنك لم ترْض بمقولة الفلاسفة المعاصرين: إن الحياة مشروع وجود ناقص لا يتم إلا بالموت»(١٦).

وهذا أيضًا ما شهد به الأساتذة الأخيار ممن عرفوه. وآخرها شهادة أستاذنا الدكتور إحسان النّص – أطال الله عمره – في لقائي معه – وقد كان الشيخ مدار حديثنا – إذ قال: « لقد كان – رحمه الله – شديدًا على نفسه، أخذها بالكمال – والكمال لله وحده – فأحجم عن اللقب، وطالما حمَّلني الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رسالة للأستاذ ودعاه غَير مرة لمناقشة ما لديه من رسالته في القراءات القرآنية، ولكنه لم يستجب. كان – رحمه الله – يشكر ثقة الدكتور شوقي به؛ ويثني على رغبة أصدقائه؛ ولكنه –كما يبدو – بعُدت به السنون عن نيل اللقب العلمي؛ ولم يكن هذا استصغارًا لشأن الدرجة أو أصحابها..»(١٧).

ولعلي أرى في صحبتي المتواضعة لشيخنا أنَّه أخذ نفسه بالكمال والمثال الأرحب للعلم، وحب الإتقان للشيء، وهذا لا مراء فيه، ولكنه في الوقت نفسه كان ذلك الرجل التقي النقي الزاهد الصالح الذي أدرك حقيقة ما كان الأصمعي قد سبقه إليه من قبل، فلما تجلَّى عظمة ما يقوم عليه علم القراءات من مسائل وقضايا، وخشي أن يقع في حَرَج ما في وجه من وجوه القول نأى بجانبه عنه؛ تقىً وورعًا؛ كما فعل الأصمعي، واكتفى من العلوم بعلم العربية وآدابها، وكان عزاؤه عن اللقب العلمي ما انتهى إليه من الإجازة برواية كتب الحديث عن شيخه علاَّمة العصر، وما يجده في طلبته الذين منحهم اللقب نفسه على مدرَّج شفيق جبري من

كلية الآداب بجامعة دمشق، وفي مريديه الذين يتحلَّقون حوله.

وإذا كانت رحلته العلمية قد بدأت في مطلع الخمسينيّات بمدينة (درعا) جنوبيّ سورية فإنها استقرت إلى أمد محدود في جامعة دمشق بين عامي (١٩٦٢– ١٩٧٩م)– ثم انتهى به المقام إلى مجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية بدمشق) عضوًا عاملاً بالمرسوم التشريعي للسيد رئيس الجمهورية ذي الرقم (٢٧٩٨) تاريخ (٣٠/ ١٢/ ١٩٧٦م) المتضمن قرار مجلس المجمع في جلسته الأولى بتاريخ (٢/ ٩/ ١٩٧٦م)[١٨].

ومن ثم أُقيم له حفل استقبال سنة (١٩٧٧م)؛ وفي عمله في المجمع كان أحد المبرِّزين علمًا وفكرًا ونظرًا ومنهجًا ودقة في الاجتهاد، وقد أخذته الغَيْرة عليه والعمل على تطويره، كما كان عهدنا به مع اللغة والتراث، فمنحه الجهد والوقت والصحة حتى سعد المجمع من بعد بتسميته رئيس المقررين فيه (١٩٧٩– ١٩٩٢م). وكان له القدح المعلَّى في أعمال لجنة الأصول ولجنة المجلة والمطبوعات. وظل هذا دأبه وهو يناقش «بكل الجد والحيوية مشروع خطة جديدة ترسم وجوه نشاط المجمع في المستقبل. وقد شهد الجلسة الأخيرة له في يوم الأربعاء (١٢/ ٢/ ١٩٩٢م) ومن ثم تواعد مع صديق العمر أستاذنا العلاَّمة الدكتور شاكر الفحّام – مدَّ الله في عمره وأسبغ عليه ثوب العافية – على اللقاء يوم الأحد للاجتماع في لجنة المجلة والمطبوعات، لكن القدر لم يمهله للوفاء باللقاء، فجاء الأجل المحتوم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَستَأخِرُون سَاعَةً وَلاَ يَستَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٧/ ٣٤] وانتهت رحلة خمسة وستين عامًا كان فيها الشيخُ الفارسَ المجلي والعالم الفذ[١٩].

ولذلك كله يشهد الأستاذ العالم الدكتور شاكر الفحام بأن « من أبرز صفاته أنه كان معلمًا، بالمعنى الرفيع للكلمة. فُطر على القراءة والمطالعة، وأحب

العربية وعلومها الحبَّ الجمَّ، إنها له لسان وهوية وحياة؛ وقد عبَّر عما يحسه من ذلك بقوله: «آليت على نفسي ألا أعيش إلا لها، ولكتابها العربي المبين»(٢٠).

ومن هنا كان يلتزم العربية المبينة في حديثه، ويبين عن علم واسع وثقافة متنوعة استوعبها ذهن وقَّاد وحافظة فولاذية، ولم نشعر أنا وغَير واحد من أصدقائي إلا أنه أحد أولئك الأئمة الكبار الأثبات، والعلماء الأخيار من القرن الثاني أوالثالث أو الرابع الهجريّ، إلا أن زمانه قد تأخر فَعاش بيننا. وكم كانت الأجيال من الطلبة والمريدين والأصدقاء وأهل العلم محظوظة به؛ بل الأمة كلها.

وفي ضوء ذلك كله أقول في نهاية هذه الفقرة ما قاله الصديق العزيز الدكتور محمد الدالي: «مازال الأستاذ يَنبوع عِلمٍ عِدٍّ، فمنه ما وعته صدور الخاصة من أصحابه وتلامذته، ومنه ما بثَّه فيما نشره، وفيما لم ينشره من النصوص، وفيما كتبه من مقالات، ومنه ما قيّده على الكتب التي حوتها مكتبته؛ وذهب بموته علم كثير، فعمل الأستاذ باق إلى يوم القيامة، لا ينقطع حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»(٢١).

وهذا كله ينقلنا إلى الحديث عن مكانته الفكرية والعلمية.

٤– مكانته الفكرية والعلمية :

لعل استشراف مكانة علاَّمة بلاد الشام العلمية والأدبية واللغوية، بله الفكرية كلها يكاد يكون من المحال، فقد كان – ومايزال – نسيج وحده. فقد انغمس في خدمة العربية وعلومها، والأدب وأجناسه وفنونه، وكان من كبار علماء القراءات القرآنية. انغمس في ذلك كله انغماس الصوفي الزاهد في ملذات الحياة ومتعها، لا نصيب له منها إلا خدمة التراث، وصحبة الكتاب، فيهما فنيت روحه؛ وبعشقهما تعلَّق حتى الثمالة، فلم تأخذه ظاهرة المقاهي الثقافية، ولا عادات ريادة النوادي، ولم

تستفزه شياطين الشهوة المادية والحسية من هذه الدنيا الفانية، فإذا ما بحثت عنه لن تجده إلا في أربعة أماكن: منزله وشداة العلم، وأصحاب الفكر يحيطون به، أو مكتبه في قسم اللغة العربية؛ أو مكتبه في مجمع اللغة العربية... وقد انكبَّ فيهما على كتاب يقرأ فيه، أو بحث يردد فيه النظر. أما المكان الأخير فهو البحث عن كل جديد في مكتبات دمشق؛ لأنه يرى أن الكتاب نافذته على الذات والمجتمع والتراث والثقافة والكون، وهذا ما يحكيه على مسامعنا الأستاذ إبراهيم الزيبق؛ فيقول: «ومرَّ شهران أو أكثر؛ وطال شوقي إلى الأستاذ ومجالسه، إلا أن الخوف كان يصدّني عن زيارته؛ حتى كان يوم رأيته فيه مصادفة في مكتبة. وما إن وقعت عيناه عليَّ حتى بادرني بالسلام؛ وقال لي متشوقًا: أين أنت ؟ لم أرك منذ زمن. كان في صوته ونظراته هذا الشوق الذي تحس حرارته في أعماق القلب، داريت خجلي؛ وقلت: سأزوركم الليلة؛ إن شاء الله»[٢٢].

أما الأستاذ المفكر عبد الهادي هاشم – رحمه الله – فيقول: «ما زرته في داره مرة إلا وجدت عنده زائرًا من كبار رجالات البحث والتحقيق المعروفين في الشرق والغرب؛ جاؤوا يستفتونه في قضية علمية؛ أو يطارحونه الحديث في مشكلة لغوية؛ يجدون عنده ما لا يجدون عند الكثيرين من المتخصصين المتمرسين»[٢٣].

ويقول الأستاذ الدكتور شاكر الفحام: «كان – رحمه الله – جبلاً راسخًا من جبال العلم؛ قد جعل الكتاب خدينه وأَنيسه، فلا تراه إلا قارئًا أو مُقْرِئًا» ثم يستشهد بعبارة للشيخ المفكر المرحوم عبد الهادي هاشم قالها في الأستاذ النفاخ: وقد أتقن «كثيرًا من العلوم التي عرفها السلف، أو استحدثها الخلف؛ وبذَّ الأقران في فنون منها، انتهت إليه الرياسة فيها في عصرنا هذا في بلدنا هذا: كالقراءات والنحو والبلاغة والعروض واللغة : فقهها وعلمها، وأصبح حجَّة فيها لا ينازعه منازع. هذا

إلى أسلوب جزل متميِّز في الكتابة تفرَّد به واشتهر»[٢٤].

ويعترف له الأستاذ الأشتر فيقول: « لو جاز أن نمثِّل لبعض الناس بالكتاب لكان صديقي الأستاذ أحمد راتب النفاخ يكون واحدة من المخطوطات النادرة التي جار عليها الزمان فوقعت فيها خروم وانطمست كلمات، وانقصفت أوراق، ولكنها ظلت حيَّة تحتفظ بقيمتها وتنفرد بحقائقها، فما نجده فيها قد لا نجده في كتاب آخر»[٢٥]. أما أستاذنا الدكتور الفاضل وتاج العلم المبجَّل محمد إحسان النص فيثني على مكانته في البحث العلمي والفكر؛ فيقول: «كان قمة شامخة من قمم البحث العلمي، وكان بحرًا فياضًا في مجال الدراسات الإسلامية واللغوية والأدبية، وكل ما يتصل بالتراث العربي الإسلامي»[٢٦].

فالأستاذ النفاخ تربَّع على عرش العلم والبحث واللغة في زمانه، ولم يجرِ أَحد في حلبته؛ كان بمنزلة السابق، ولم يتراجع قط إلى مرتبة المصلّي أو المجلّي... إليه المورد وعنه المصدر، وهو وحده من يتصيد شوارد الأفكار. وكان له أصدقاء «من كبار العلماء والباحثين في شتى أقطار العروبة والإسلام، وكلهم عرفوا له مكانته العلمية ورسوخ قدمه في علوم العربية؛ والدراسات الإسلامية والقرآنية»[٢٧].

فكم من صديق، أو عدوّ عالِمٍ أَقَرَّ لك بالفضل والعلم؛ اعترف لك الجميع بقصب السبق؛ وعرفوا عن كثب قدرتك العظيمة على اكتناه الحقائق ومعرفة مفاصل الكلام وتمييز أساليب الناس. وكأنك ورثت هذا كله من علاّمة العصر الميمني؛ والعلاّمة الراوية محمود شاكر، ثم عمَّقته بحدة الذكاء وسرعة الخاطر، ودقة الفهم.

فإذا قرئ عليك كلام ما من دون نسبة عزوته إلى صاحبه، وما خاب حَدْسك في أسلوب ما؛ وأنت القائل: « رابني في هذه النسبة أني لم أحسَّ في

الكتاب نَفَسَ ابن القيِّم الذي أَعرفه فيما قرأتُ من كتبه، ولا طريقته. ثم رأيت الأستاذ خير الدين الزركلي – رحمه الله – قال في التعليق على ترجمة ابن القيِّم في (الأعلام ٦/ ٢٨١–) وفي (نموذج الشيخ منير ٧٨) نُسب إليه كتاب (أخبار النساء) وهو لابن الجوزي؛ والكتاب أشبه بكتب ابن الجوزي حقًا؛ إلا أن أمر تسميته يحتاج إلى مزيد من التحقيق»[٢٨]. وقلت في تعليقك على تحقيق الطبعة الثانية لرسالة الغفران (سنة ١٩٥٧م): « وما كنت قلته – سنة ١٩٥١ – اجتهادًا قد وجدته مؤخرًا منصوصًا عليه. فقد أورد ابن قتيبة الأبيات – مع خلاف في بعض اللفظ – في المعاني الكبير ص(٣٧٦)»[٢٩].

ويؤكد ذلك أستاذنا الدكتور الأشتر قائلاً : « كان من أقدر الناس على قوة التمثُّل؛ والوقوف على مفاصل الكلام، كما كان يسميها (يعني محاورها الفكرية) وكان يبلغ من العمق في تحليل الكتب أحيانًا ما يصلح لو كتب أن يكون درسًا يقرأ»[٣٠].

ويحدثنا الأستاذ الزيبق عن تجربة له مع الفقيد الراحل فيقول: « كنت آتيه – كعادتي – أصيل كل يوم، أقرع بابه على استحياء، فيستقبلني كعادته بوجه طلق؛ أدخل الغرفة الصغيرة التي باتت أحبَّ إليَّ من بيتي، وأجلس حيث اعتدت أن أجلس فيها، وأنشر أوراقي، وتبدأ جلسة لن أنساها طوال عمري؛ جلسة تعيش فيها لذة اكتشاف المعاني المخبوءة تحت أطلال التصحيف والتحريف وتشهد قراءة للنّص هي إبداع له من جديد. وأذكر مرة أني سهوت في أثناء نسخي لأحد أبيات ابن منير فقدَّمت كلمة على كلمة في البيت. ولم يخلَّ هذا التقديم بوزن البيت ولا بمعناه، ولكن الأستاذ حين تأمَّله طويلاً؛ قال لي جازمًا: لو كان قائل هذا البيت شاعرًا حقًا لقدَّم هذه الكلمة على تلك. فوجئت حقًا؛ ولم

أجد جوابًا. وحين عدت إلى البيت بحثت عنه في المخطوط فوجدته على الصورة التي اقترحها الأستاذ، وحين خبّرته خبر البيت في اليوم التالي ما زاد على التبسم» (٣١).

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أسوق حكاية ما وقع لي معه، فقد كنت ذات يوم أراجع مسألة في كتاب (سمط اللآلي) لأبي عبيد البكري؛ فاعتاص علي أمرها وأشكل، واشتد بي الكَرْب لأن الساعة غير مؤاتية لكي أهاتفه، بيد أن جفائي الأعرابي كان أقوى من مدارج الكياسة والمدنيَّة، فإذا بيدي تقع على قرص الهاتف وتحرِّك أرقام هاتفه – على حين كان ألفُ سؤال وسؤال يتردَّد في ذهني من هذا التصرف – ولكنه – رحمه الله – ما إن سمع ندائي حتى تلقاني بقوله: أهلاً يا حسين، أين أنت يا أخانا؟. فإذا به يخفف عني ثقل جبل كان يعلو عاتقي، وزال الحرج، وشفي جرح كَرْبي بكلماته الودية، فكان أشبه بجرَّاح ماهر أبرأ نفسي من سقمها. ودلفت إلى منزله وقت الهاجرة من صيف دمشقي غير معتاد في شدة حرارته؛ وكنت أقطن على مسافة أميال معدودة من منزله في منطقة الجبة من الشيخ محيي الدين؛ على حين بيتي في سفح قاسيون من منطقة ركن الدين، وما إن فتح الباب حتى استقبلني بوجه يطفح بالمسرَّة والترحيب والبشر وكأنه يلقاني أول مرة بعد غيبة طويلة؛ وهو يقول رادًّا عليَّ السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً يا أخانا؛ تفضَّل يا أخانا، أين أنت يا أخانا؛ لم نرك منذ أمد ؟ ويأخذني المجلس إلى إحدى الأرائك التراثية القليلة في الغرفة الصغيرة، لكنها كانت فسيحة الأرجاء في احتضان شداة العلم ومحبيه، إنها غرفة أشبه بغرف الزُّهاد والناسكين، ثم أخذ الأستاذ مجلسه على أريكة تعوَّد أن يتخذها لنفسه؛ وهي دون بقية أخواتها؛ فسارعته بالسؤال، باسطًا له قول البكري، ظانًا الظن الحسن بزناد

فكري، وبأنني ألفظ كلام البكري على منواله الحق، فإذا به يقاطعني قائلاً: ما هكذا يقول الرجل، وهذا كلام لم أعهده في أسلوبه، ثم ألقى إليَّ كلامًا يعتقد أنه الوجه الصحيح. ومن ثم نهض إلى غرفة مجاورة كانت مخصَّصة للكتب، فإذا بكتاب البكري يستقري كلام الأستاذ، لم يخرم منه حرف، فجاء كما ذهب إليه؛ ثم ذلَّل لي ما كان قد اعتاص عليَّ وشغلني، وبيَّن لي الوجه فيه؛ فغمرني علمًا ورحمة.

لقد سما بالعلم الشريف الأصيل حتى صار مصدره ونبعه، واستقام فيه على منهج الحق والصدق والدقة والشمول والاتساع فكان الكامل فيه؛ ولم تعد صفة (الكَمَلَة) حكرًا على بعض العرب من الجاهليين، كالربيع بن زياد العبسي[٣٢]؛ وكأنه ينطبق عليه قول محيي الدين بن عربي في نظرية الإنسان الكامل، فهو الكون الأصغر[٣٣] :

سرُّ الوجود الكبير هذا الوجود الصغير

فالأستاذ النفاخ كان «واحدًا من علماء العربية الكبار، يكاد يكون لا مثيل له في أوطان العربية الممتدة إلى حيث يقرأ القرآن ويؤذَّن للصلاة» كما قال الدكتور الأشتر[٣٤] .فكم من أجيال متعاقبة تلقَّفت العلم على يديه، وكم من قوافل بعيدة استقرت مطاياها عند عتبات بيته، وصدرت عن منهل علمه نهلاً بعد علل.

لهذا كله فإن فقده لا يمثِّل فقدًا عظيمًا لذويه وأهله وخلاّنه وطلبته ومريديه وأهل العلم والعربية فحسب، بل هو خسارة كبرى أُصيب بها الوطن كله. وقد أحسَّ بهذه الفجيعة أستاذنا الدكتور النص فقال: «لقد فقد مجمعنا بفقده ركنًا من أركانه الوطيدة، وفقدت الأمة العربية باحثًا محقِّقًا قلَّ نظراؤه في أقطار الوطن العربي» [٣٥].

ولا يفوتني في هذا المقام عدم ذكر ذلك اللقاء الذي جمعني بالأستاذين الفاضلين الدكتور حاتم الضَّامن، والدكتور أحمد مطلوب... فقد التقيت بهما صيف عام (١٩٩٧م) في رحاب جامعة اليرموك؛ في أيام انعقاد مؤتمر النقد الأدبي السابع... وكان الأستاذ علاَّمة الشام مرتكز حديثنا أبدًا؛ كل منهما يقرظه على طريقته بما لا يمكن أن تتسع له الصفحات، سواءً كان ذلك في منهج التحقيق أم سعة العلم؛ وعمق المعرفة؛ أم القدرة على سبر أغوار النَّص التراثي وردّ الأشكال إلى أشكالها...

فكم شعرت بالفخر والاعتزاز؛ لأنك كنت الغائب الحاضر في ذلك المؤتمر مع العديد من الأصدقاء الذين يتسابقون إلى الثناء على قدرك وشخصك.

فإذا كان جسدك قد انقطع من الدنيا فإن ذكرك العطر باق ما بقي الوفاء والصفاء؛ وما بقي أهل العلم ومحبو العربية والتراث.

ولا شيء أدل على أقوالهم من آثارك السنية التي تركتها زادًا لهم ولنا؛ ومن منهجك في التحقيق والبحث العلمي، إنه مدرسة متميِّزة قلَّ أن نجد لها مثيلاً؛ لأنها ربطت بين أصالة التحقيق التراثي، ولم تنفصل عن المعاصرة بكل ملامحها الفكرية البناءة.

وهذا ما سنتحدث عنه فيما يأتي .

٥– آثاره:

ترك الأستاذ النفاخ لنا وللأجيال المقبلة آثارًا على قلتها تدل على إبداع فريد، وفهم رفيع؛ ونقدٍ فذٍّ وجريء... فقد بقي لنا منه «كتب وفهارس ثمينة، ومقالات ومختارات، ونقول، ورسائل وشروح وتعليقات؛ فضلاً عن كثير مما لم يُطبع منها، وفيها أثره الكبير في القراءات. وهي في جملتها ثروة أدبية ولغوية

تبلغ الغاية في الإتقان» [٣٦].

وسبق أن أشرنا إلى أنه – رحمه الله – أخذ نفسه بالكمال، وحبّ الإتقان، ولهذا قَلَّ نتاجه من الكتب بين أيدي الناس، وصدق فيه قول العباس بن مرداس[٣٧]:

بُغاث الطير أكثرها فراخًا وأُمُّ الصَّقر مِقْلاتٌ نَزُورُ

وإذا كانت كتبه قليلة العدد، فأفكاره المبدعة لا يحصيها مُحْصٍ، ومريدوه من مشرق الوطن العربي إلى مغربه، وفي العالم كله، ولاسيما الإسلامي، أعظم من أن يعدّوا. ولذا قال الأستاذ النّص: « نهل من معينه الثر المئات من الباحثين، واغترف من مورده الآلاف من الطلاب من أبناء العروبة الذين قرؤوا عليه» [٣٨].

وقد عرف القاصي والداني – كما يقول الأستاذ الدكتور حسني سبح (رئيس مجمع اللغة العربية السابق) – « ما كان للأستاذ النفاخ من خبرة متميِّزة في تحقيق كتب التراث، ومن اطلاع واسع على اللغة... فالأستاذ سلفي المنبت عصري المنهج» [٣٩].

ولم يبخل على صديق، أو غيره بتصحيح ما كان يراه في عمله المحقَّق؛ لأنه كان رجل علم وعدل. ولعل حق العلم ووفاءه للتراث وأئمته قد جرّا عليه نقمة عريضة ممن لم يَصْدَعوا للحق؛ على حين كان يرى في تصحيح أخطائهم – رحمه الله – مؤازرة لهم وللعلم ... فلم يكن نقده لأي باحث أو محقِّق على وجه التجريح أو الطعن فيه؛ بل كان على وجه الخير في تصحيح كل ما يمكن أن يشوِّه من مصادر التراث، فشِدَّته بل حزمه في هذا المجال إنما كان منه توجيهًا وتسديدًا لكل عمل؛ ولئلا يتجرأ أحد على إخراج كتاب تراثي قبل استكمال صورة تحقيقه على وجه دقيق وصحيح ...

ولعلي في هذا المقام أُبين ما كان من تعليقه على تحقيق (رسالة الغفران) للدكتورة بنت الشاطئ؛ وقد أذعنت للحق، وأخذت بكل ما عنَّ له من نظرات وآراء؛ لهذا أشاد – رحمه الله – بروح العلم والحق لديها قبل تعليقه وبعده؛ ومما قاله مقرِّظًا إياها: « وكانت المحققة ضَبطت – في الطبعة الأولى – كلمة (شُطَبا) بضم الشين وفتح الطاء؛ وشرحتها بأنها جمع شُطَبة؛ وهي السَّعْفة الخضراء. فصححتُ – في مقالي السابق – ضَبْط الكلمة، وذكرت أنها ينبغي أن تضبط (شُطِبَا) بفتح الشين وكسر الطاء؛ أو بالتحريك؛ بالاعتماد على القاموس المحيط واللآلي ومعجم البلدان؛ وهو اسم جبل. فأصلحت المحقِّقة – في الطبعة الجديدة – الشرح على ما جاء في مقالي؛ على حين أبقت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة كالسابق (شُطَبا)»[٤٠]، وحتمًا قد وقع منها هذا سهوًا ...

هكذا تركت نباهته أثرها واضحًا منذ وقت مبكر، سنة (١٩٥٠م) ولم تزد سنه على ثلاثة وعشرين ربيعًا، وإثر تخرجه من الجامعة. ونستدل على هذا من آثاره الآتية ذاكرين الكتب ثم المقالات تبعًا لتاريخ نشرها[٤١]، ومنوِّهين بآثاره المخطوطة .

أولاً – الكتب المطبوعة :

١– النصوص الأدبية: (منهاج شهادة الثقافة العامة في كلية الآداب) بإشراف أحمد راتب النفاخ – مطبعة الجامعة السورية – ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٢– ديوان ابن الدمينة: صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب – تحقيق أحمد راتب النفاخ – مكتبة العروبة – القاهرة – ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

وهو جزء من رسالته لنيل درجة الماجستير، ولكنه دلَّ فيه على مقدرة

عالية في التقصّي والتحقيق وسعة الاطلاع على مصادر التراث، والاهتداء إلى حل المشكلات العويصة، ومع ذلك فقد أكَّد تواضعه للعلم والعلماء، إذ قال فيه: « وبعد؛ فما أشكُّ أن بين عملي، وما أريده له بونًا بعيدًا؛ وإني لآمل أن أجد من آراء الزملاء الدارسين ممن ينظرون في هذا الديوان ما يعين على استكمال أسباب التحقيق؛ من تقويم عوج، أو تصحيح خطأ، أو تلافي نقص» .

وقد نظروا فيه – من دون شك – فما وجدوا فيه شيئًا يمكن أن يُضيفوه حتى الآن. ولعل اختياره لهذا الشاعر الغزلي ليس لإعجابه به فقط؛ وإنّما لحالة نفسية ذاتية كان يمرُّ بها آنذاك؛ فجعله نافذة له للتعبير عن مشاعره المرهفة دون أن يبوح بمكنون نفسه صراحة... وهذا ما يستشف من حديث خاص للأستاذ الأشتر معه؛ في منتصف ليل صيفي مقمر وهما يمشيان في أطراف دمشق قريبًا من كيوان. فلما كلاّ استراحا تحت شجرة صَفْصاف بجوار نهر يزيد، فجاشت نفسه بالبوح[٤٢].

٣- مختارات من الشعر الجاهلي: اختارها وعلَّق عليها أحمد راتب النفاخ – مكتبة دار الفتح – دمشق – ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

ويعدُّ هذا الكتاب مدرسة في الاختيار الدقيق منهجًا وتحقيقًا واستقصاءً وتعليقًا؛ وإثباتًا للحواشي الدقيقة ... وتدريبًا على نخل الروايات وتصحيحها وإثبات المطلوب منها . وقد أخذ بعض المعاصرين جزءًا ليس باليسير من الكتاب، ووضَعوه في كتبهم حتى نُسب إليهم[٤٣].

٤- فهرس شواهد سيبويه: صنعة أحمد راتب النفاخ – دار الإرشاد/ ودار الأمانة – بيروت – ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

وهذا الكتاب فريد في بابه، فهو من أهم الكتب علمًا وتحقيقًا، وقد تفوَّق فيه على أمثاله من المحققين. إذ نسَّق الشواهد: القرآن فالحديث ثم الشعر، فقرَّب كتاب سيبويه إلى الناس، بصَّرهم بمسائله العويصة؛ وذلَّل لهم الطريق الوعرة، وشذَّب مسالكها(٤٤).

٥– كتاب القوافي: لأبي الحسن الأخفش – تحقيق أحمد راتب النفاخ – دار الأمانة – بيروت – ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

وكان قد هيَّأ هذا الكتاب للطبع على نسخة مخطوطة وحيدة يملكها وحده؛ ومن ثم عَلِمَ بِنِيَّة أحد الباحثين الأفاضل نَشْرَهُ؛ فتلبث وتريث، ثم ظهر كتاب (القوافي) مطبوعًا في وزارة الثقافة بدمشق عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) بتحقيق الدكتور عزة حسن، نشر نقدًا له في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في المجلد السابع والأربعين(٤٥)، ثم عقد العزم على نشر الكتاب محقَّقًا ومحررًا من كل عيب، فكان في طبعته السابقة .

ومن يرجع إلى طبعة وزارة الثقافة، وإلى طبعة الشيخ الجليل يدرك البون الشاسع بينهما، ففي عمل الشيخ جهد العالم المحقِّق المتابع المناظر القابض على مصادر التراث ومعرفة دقائقه وأسراره .

٦– شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد العسكري (الحسن بن عبد الله بن سعيد: ٢٩٣– ٣٨٢هـ(– تحقيق الدكتور السيّد محمد يوسف – مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

قدَّم الأستاذ رحمه الله لهذا الكتاب فَضائل لا تُحصى؛ شرحًا وتعليقًا وإضافات مما «دعا إلى جعله في قسمين: وقد صدر القسم الأول من الكتاب.

مما يُؤسف له أن الأسباب لم تتهيأ لصدور القسم الثاني منه؛ ففاتنا بذلك علم غزير»[٤٦]، كما ذكر الأستاذ العلاَّمة الدكتور شاكر الفحام .

وأثبت الأستاذ للكتاب مقدمة جليلة نوّه فيها بفضل شيخه الميمني؛ وأشار إلى تتبعه لنُسخ الكتاب في القاهرة ودمشق، رأى تطابقًا بين أصول شيخه، وما وقف عليه المحقِّق الدكتور يوسف، ثم بيَّن جودة القسم الأول تحقيقًا وشرحًا، على حين لم يكن الثاني بمستوى سابقه؛ لأن المحقِّق عمل فيه وهو بعيد عن مكتبته، وشيخه الميمني، مما وجد فيه مجالاً كبيرًا للتعليق عليه[٤٧].

وقد ميَّز تعليقاته من تعليقات المحقِّق فقال: «وكنت إذا ما عنَّ لي ما أَزيده على تعليقات الدكتور جعلته ما بين حاصرتين[ ]»[٤٨].

ثانيًا – المقالات المنشورة، وما ناظرها :

١- رسالة الغفران: (تعليق ونقد) – مجلة (الكتاب) المصرية – مج ١٠- ج٦- حزيران/ يونية – ١٩٥١م.

وقد أشرنا سابقًا إلى أن بحثه هذا أول مقالة له أرسل بها إلى المجلة فتصرَّفت فيها حتى أفسدتها.

٢- القصيدة الصورية – مجلة معهد المخطوطات العربية – مج٢ – ج١ – ١٩٥٦م.

٣- رسالة الغفران – باب التعريف والنقد – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٣٢ – ج٣٢- ج٤- ص(٦٨٥)- لعام ١٩٥٧م/ ومج٣٣- ج١- ص (١٤٦) وبعد – لعام ١٩٥٨م.

٤- المحتسب – باب التعريف والنقد – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق- مج٤٢ – ج٤- ص(٧٥٨) وبعد – ١٩٦٧م/ ومج٤٣- ج١-

ص(٧٩) وبعد – وج٢– ص٣٦٩ وبعد – لعام ١٩٦٨م.

«وعرض جملة ما استدركه حتى ختام الكلام في سورة البقرة؛ ثم رغَّب إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقه بأصول أخرى»[٤٩].

٥– المعيار في أوزان الأشعار – مجلة معهد المخطوطات العربية – مج١٥– ج١– ٢– لعام ١٩٦٩م.

٦– نظرات في كتاب اللامات – مجلة العرب – السنة ٥ – ج١– ١٩٧٠م.

٧– كتاب القوافي لأبي الحسن الأخفش – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٤٧– ج١ – ص (٩٢) وبعد – ١٩٧٢م.

٨– تعقيب على أرجوزة في العروض – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – ٤٧ – ج٤ – ص (٨٦٣) وبعد – لعام ١٩٧٢م.

٩– كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج ٤٨– ج٤– ص (٨٤٠)– ١٩٧٣م/ ومج٤٩– ج١– ص (٩٣)– ١٩٧٤م.

١٠– كلمة في حفل استقباله، وقد تحدَّث فيها عن سَلَفه الشيخ محمد بهجة البيطار – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج ٥٣– ج١– ص (٢٢٠– ٢٤٥)– ١٩٧٨م.

وتعدُّ كلمة هامة في الكشف عن عوالم للشيخ بهجة لا توجد إلا فيها، فضلاً عن أمور كثيرة أخرى .

١١– حركة عين المضارع من (فَعَل) – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٥٧– ج٣– ص(٤٧٢– ٤٨٥)– ١٩٨٢م. ويدل في هذا المقال

على معرفة عجيبة بعلم لا يمكن أن ينضبط بشكل وطريقة. فهو يعلِّق مثلاً على عين المضارع في (ضَرب) و(نَصر) فيقول: « وما سمع فيه الوجهان؛ فالأصل فيما كان من هذا القبيل أن يترك لكل امرئ أن ينطق به على الوجه الذي يجذبه إليه طبعه ويخف على لسانه ... ولكن إذا ما شاء امرؤ أن يختار لنفسه في ذلك مذهبًا يبنيه على أصل ما؛ من غيرما إنكار على من خالف اختيارُه اختيارَه فلا حَرَج عليه في ذلك[٥٠].

١٢- كتاب المحبَّة لله سبحانه: تحقيق الأستاذ عبد الكريم زهور عدي – مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٥٨- ج٤- ص (٦٥٧- ٧٢٩)- ١٩٨٣م/ ومج٥٩- ج٢- ص (٢٤٥- ٢٨٤) / وج٣- ص (٤٦٣- ٥٠٤)- ١٩٨٤م.

١٣- نظرات في نظرات – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٥٩- ج٣- ص (٥٨٧- ٦١٨) (باب التعريف والنقد)- ١٩٨٤م/ ومج٦٠- ج٢- وج٣- ١٩٨٥م.

١٤- فقيد المجمع الأستاذ عبد الكريم زهور عدي: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٦٠ – ج٣- ١٩٨٥م.

١٥- استفتاء وجوابه – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٦٠- ج٤- ١٩٨٥م.

١٦- أشعار اللصوص وأخبارهم (باب التعليقات) للأستاذين أحمد راتب النفاخ والدكتور شاكر الفحّام – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٦٦- ج٤- ١٩٩١م.

والأشعار من صنعة الأستاذ عبد المعين الملوحي؛ ثم جمعها ثانية؛

وأصدرها في كتاب خاص .

ثالثًا– الآثار غير المنشورة :

لعله من نافلة القول أن نذكر مؤازرة الأستاذ النفاخ للمحققين وتصحيح ما كان يعنّ له، فضلاً عن الاستشارات الكثيرة من قبل مريديه وأصدقائه ... لاستطلاع رأيه والوقوف على الحق ... وكل منهم محضه الشكر في مقدمة كتابه، وأثنى على فضله وعلمه[٥١]، ولولا اعترافهم ما عرفنا ذلك.

أما آثاره التي لم تظهر إلى النور فأبرزها ما يتعلق بالقراءات القرآنية التي أملى شيئًا منها على طلبته في الدراسات العليا ... فضلاً عن علوم القرآن؛ مثل (معاني القرآن) للأخفش، و(معاني القراءات) للأزهري، وكتاب (طبقات القراء) للحافظ الذهبي؛ و(الشيرازيات) و(العسكريات) لأبي علي الفارسي، و(جمال القُرَّاء) للسخاوي. فهذه الآثار وغيرها مازالت مخطوطة؛ ومحبوسة في خزائن مكتبته.

لهذا يقول الأستاذ الدكتور شاكر الفحّام: «وحفلت كتبه بالتعليقات الثمينة القيِّمة؛ فقد كان – رحمه الله – إذا لاح له – وهو يقرأ كتابًا – موضع يحتاج إلى تعليق لإيضاح مبهم، أو إصلاح غلط؛ يسارع إلى إثباته في حاشية الكتاب. وكانت هذه الفوائد التي لا يقوى عليها إلا عالم ثَبت متمكِّن كالأستاذ راتب، معروضة لكل وارد أحبَّ أن ينتفع بها»[٥٢].

وقد اطلعت – فيما اطلعت عليه – ما علَّق به على كتاب (تأويل مشكل المتنبي) – وأذكر أنه قال لي – رحمه الله –: إن ما حواه هذا الكتاب من تعليقات جعلته مصدرًا لي أرجع إليه في كل حين؛ ويكاد لا يفارقني .

وكم رجوته أنا وأصدقائي من مريديه ومحبيه وأصدقائه، أن يخرج تلك

التعليقات ليفيد منها الناس، فلا يزيد على الصمت .

وهذا ما كان يقوم به أستاذنا الفحّام إذ يقول: «فإن أغلى ما في الكتب النوادر وأنفسه تلك التعليقات التي حفلت بها حواشي كتبه. وطالما رجوت الصديق الكريم أن ينشر تلك التعليقات ليفيد منها الباحثون وطلاب العلم»(٥٣). وقد سمعت هذا الكلام من أستاذنا الفحام غير مرة في مكتبه بمجمع اللغة العربية.

أما أثره في القراءات القرآنية — وهو رسالته لنيل درجة الدكتوراه — فخبرُه عند أستاذنا الفحّام، فيقول: «ومازلت أذكر أن الدكتور شوقي ضيف، وكان المشرف على رسالتي أيضًا؛ حدثني عن رسالة الأستاذ راتب في القراءات حديث المعجَب؛ وذكر لي أن الجزء الذي قدَّمه كافٍ لنيل درجة الدكتوراه. وطلب إليَّ أن أبلغه ذلك، وأحثه على الحضور إلى القاهرة للمناقشة، وأبلغت الصديق الرسالة؛ فما زاد على أن تبسم»(٥٤).

وقد أكَّد لي ذلك غير مرة أستاذنا الدكتور الفحام(٥٥)، وغيره من الأساتذة الأفاضل، فضلاً عما أحسست به في مجالستي إياه، وكأنه رأى في صورة طلبته ومريديه ما يعوِّضه عن اللقب العلمي، وفيما قلناه عن إجازة علاَّمة العصر له برواية أمهات الكتب .

لهذا فإننا نتمنى على الله أن يمد يد المساعدة لولده (عبد الله) كي يُخرج للباحثين وللأمة هذه الكنوز؛ لأننا نؤمن بأنه ما من باحث منصف اطلَّع بعمق ودراية على آثار الأستاذ السنية إلا وجدها تنتظم في بنية فكرية ومنهجية تحفيزية لاستلهام نسق الحق واتباع الدقة في المعالجة، والأمانة في الموروث الفكري. فهي تؤسس ذلك على منهج البناء الحقيقي لجدار الثقافة العربية والنهوض بإحياء تراثها العظيم، مما يجعل الحاجة إلى نشر مخطوطاته ضَرورة

ملحة وأساسية للأجيال .

فأي أثر مما تقدَّم ذكره يُثير في الإنسان إحساسًا بالفكر والوجود؛ وإثبات الذات الحضارية، ومن ثم تصبح قراءة أي أثر آخر تجربة حيَّة منقذة من حداثة ثقافية مأزومة لا طعم لها ولا مذاق؛ في كثير من اتجاهاتها الفكرية والأدبية، والأدبية واللغوية والبلاغية .

وقبل أن نتناول منهجه في دراساته وتحقيقه؛ علينا أن نتساءل: إذا كانت عبقرية هذا الرجل قادرة على كشف أساليب الكلام ومفاصله وأسراره: ألم يقل الشعر؟ وأين هو ؟ بلى، لقد قال الشعر؛ وله فيه حكايات يرويها عنه أصدقاؤه، كما يتبين لنا فيما يلي.

رابعًا – الإنتاج الشعري :

لعل من باب الإدهاش ألا يكون (أبو عبد الله) شاعرًا، ولكننا نفتش عن شعره فلا نجد إلا أبياتًا تسللت من أصابع الزمن في لحظة بوح وجداني لصديق؛ أو في تجربة فريدة عاينها هذا الصديق أو ذاك، فشعره يصدق عليه ما يصدق على آثاره في القراءات، فإذا لم يبلغ حد الكمال فلا نصيب له من النور.

ويبدو أن موهبة الأستاذ الشعرية ظهرت منذ ريعان الشباب كبقية مواهبه الأخرى، ويحكي لنا الأستاذ عبد الهادي هاشم رحمه الله، بعض تجاربه مع (علاَّمة الشام) منذ المرحلة الثانوية في (جودة الهاشمي) وكان يُقال لها (التجهيز) فيقول: «ومن ذلك أنه كان يقرأ من المقرر في الصف التاسع أو العاشر قصيدة مهيار الديلمي المشهورة التي يفخر فيها بآبائه من الفرس والتي مطلعها:

أُعجبَتْ بي بين نادي قومها ذات حسن فغَدت تسأل بي

فحمي راتب لقومه ولغته وأخذ يردُّ على مهيار بأبيات على وزن

قصيدته يخاطبه فيها ويقول :

لا تقل: لي في المعالي نسبٌ ليس في المجد كآبائي أبُ
لغتي الضَّاد وقومي عرب عزَّت الضَّاد وعزَّ العربُ

وله قصائد كثيرة ينحو فيها نحو الصوفية، ويبدو فيها أثر ديوان إقبال (ضَرْب الكليم) ولكن راتبًا زاهد في شعره؛ فإذا نشر شيئًا منه رمز إلى قائله أو عزاه إلى غيره من الشعراء»[٥٦].

أخيرًا أقول: إن أي إنتاج للأستاذ النفاخ يعدُّ زهرة عطرة في بستان جميل؛ كيفما قلبتها انتشيت برائحة زكية، وكيفما سرت في رياضه ظهرت لك قامته الشامخة، وتسامقت أمام كل ما نعرفه ممن يعرضون كتبهم على أرصفة المدن، ويفرّخون بغاثهم الذي استنسر، ولكن هيهات هيهات ... فإن ذلك كله لا يغيّر من الحقيقة؛ أو الحق شيئًا، فالشمس لا تضيئها الكواكب؛ وسيبقى شمس العلم ونوره.

وهذا كله يدعونا إلى الوقوف عند منهجه في التحقيق والدراسة.

٦– منهج التحقيق لدى علاَّمة الشام :

إن تجربة التحقيق عند علاَّمة الشام؛ بل الكتابة كلها، انقلبت إلى فعل إبداعي خَلاّق؛ إذ أراد للنّص المحقَّق أن يعود إلى نَصاعته وبهائه كما أراده له صاحبه. لهذا كان – رحمه الله – شديدًا على نفسه في هذا المجال، وأراد للآخرين أن يكونوا مثله؛ مستندًا إلى احترامه لذاته وتراث أمته، وللعلم والأخلاق والحق.

فتجربة التحقيق لديه – بهذا المفهوم – موقف ذاتي وطني ثقافي إنساني من التراث والكون والمجتمع، لهذا تراه ينتفض غاضبًا من عبث العابثين، وتخليط

المتسرعين في تحقيق التراث، لأنهم يسيئون إليه بتقديمهم نُصوصًا لا تعبّر عن الحقيقة، ولا عن زمانها وبيئتها، وصاحبها، وعدَّ ذلك من باب الخيانة للأمانة العلمية، فتراه ينقضُّ حانقًا على محقق ما؛ وربما رماه بمُرِّ الكلام؛ لأنه تجرأ على أمر ليس أهلاً له؛ فَشوّهَ مقدَّسات الأمة؛ في وقت تحتاج فيه إلى من ينهض بها على وجهٍ صحيح .

أما من توسَّم فيه الخير والصلاح، والدقة في التحقيق، ولكنه وقع في هنات هنا أو هناك فإنه كان يُثني عليه أيما ثناء، ثم يقدّم له ما كتبه بكل تواضع وأدب ومحبة؛ لعله ينتفع به في الطبعة القادمة. وهذا ما وجدناه من موقفه – مثلاً – مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) حين طبعت رسالة الغفران فقال: «ظهرت الطبعة الأولى لهذا الأثر العلائي الهام بتحقيق الدكتورة بنت الشاطئ عام ١٩٥٠م، وكانت مثلاً طيبًا للمنهج العلمي في تحقيق النصوص ونشرها نشرًا علميًا محررًا، فتلقاها المشتغلون بالعربية وآدابها بما هي جديرة به من تقدير، ومنحها مجمع اللغة العربية بالقاهرة جائزته لتحقيق النصوص في ذلك العام. وكنت كتبت في تلك الأيام كلمة أشدت فيها بصنيع المحقِّقة، وبالجهد الذي تكبدته في ضبط النص وشرحه، وعرضت فيها لمواضع اتجه لي فيها رأي غير ما رأته الباحثة ... ولما ظهرت الطبعة الجديدة للغفران عمدت إلى قراءتها ومقارنتها بالطبعة الأولى؛ فإذا المحقِّقة عند حُسن الظن بها، فقد خَطت، في سبيل استكمال تحقيق النص وشرحه، خطوات فساحًا، غير ضَانَّة عليه بما يتطلَّبه المنهج العلمي الدقيق من جهد لا يقدِّره حق قدره إلا من مارس هذا العمل ووقف على صعابه. وقد كان موقف المحقِّقة مما كنت أَبديت من آراء – سواء ما نُشر منه في مجلة (الكتاب) وما لم ينشر – موقف المقدِّر،

فأخذت بالكثير منها، وترددت في بعضها، وعزفت عن الأخذ ببعضه الآخر، فأحببت أن أعرض وجهة نظري فيما توقَّفت فيه على العاملين في هذا المضمار ليدلي بوجهة نظره مَنْ عَنَّ له رأي فيه، عسى أن نصل إلى وجه الصواب في هذا كله. وأَضفت إلى هذه النقاط نقاطًا لم أفطن لها فيما مضى»[٥٧].

ولعلنا نكتشف في هذا النَّص احترام العالم للآخر في الحق، وتواضعه لأهل العلم والثناء عليهم، وبسط القضية بين يدي أهلها؛ وهو ما عزّ وجوده عند علماء هذه الأيام، وهو لا يكتفي بذلك بل يعلن تواضعه على الملأ، وإذا كان قد أخطأ في نظراته فليُرَدَّ إلى الصواب: « هذا ما عنَّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران. وإني لأشكر مَنْ رأى فيما أبديت خطأً فردَّني إلى الصواب، كما أشكر للمحقِّقة الأديبة جهدَها وخدمتها للأدب ولغة العرب»[٥٨].

فالمحقِّق الواعي، والعالم الحق المحب لتراث أمته قادر على التمييز بين الوَهْم العلمي أو الخطأ العلمي وبين الجهل في تحقيق التراث، وهو يعطي كل ذي حق حقَّه، بكل عدل وإنصاف، ومما يُؤسف له أن الناس قد أشاعوا عنه حِدَّته في النقد، ولم يستبينوا الحق في سبب نقمة الأستاذ، فهو أكثر الناس اعترافًا بالحق وانصياعًا له — على ما كان عليه من حدة في المزاج لرهافة حسه، وحساسيته الشديدة نحو كل من يتصدى للتراث بغير علم، ولابأس أن نضيف له مأثرة أخرى من ثنائه على أحد المحقِّقين؛ لكي يتعزَّز لنا الأمر، فالشيخ علّق على عمل للأستاذ صبحي البصّام فقال: «للأستاذ صبحي البصّام فيما يخبّره من مقالاتٍ التفاتاتٌ طريفة، وتحقيقات بارعة لا يغض من قدرها أنه ربما ذهب في بعض الأمور مذهبًا يرى غيره خلافه ومن ذلك أشياء استوقفتني وأنا

أنظر في مقالته، منها ما سها فيه الأستاذ في النقل عن بعض المصادر أو في تسميتها ...»[٥٩].

فكل من يقرأ أحد آثاره يتحقق رغبتَه في نشدان الحق والكمال والصدق، ويبين له مدى الزمن الطويل الذي مكث فيه حتى استجلى حقيقة الأمر، ولم يكن كغيره متسرعًا، لا مباليًا، كيف جاء الأثر المحقق، وقد ساعده على ذلك قدرة عجيبة على المتابعة والصبر والأناة مما يدل على حِلْم وذكاء ودراية لا نظير لها، فضلاً عن ثقافة موسوعية قديمة وحديثة فهو كما وصفه الدكتور حسني سبح « سلفي المنبت عصري المنهج»[٦٠].

وفي ضوء ذلك يمكن أن نتبيَّن ملامح منهجه كما يأتي :

١- الانغماس الصوفي في النص : لما نشد الكمال في العمل، وحُبَّ الإتقان، لأنه أراد له أن يمثِّل قيمة بقاء لا قيمة فناء –كما قال الدكتور العوا – [٦١]، أنكر ذاته في سبيل تحقيق النَّص، وشُغف به وتابعه في كل صغيرة وكبيرة ... فانقطع إليه انقطاع العابد الزاهد، فهو يتفاعل مع النّص تفاعلاً متبتلاً؛ فكم من فكرة كانت غلقة فجلاها وكشف أسرارها، فلم يهدأ له بال مادامت شاردة عنه، تعقَّبها ليل نهار، طلبها حثيثًا حتى انقادت له وانتهى فيها إلى رأي ما .

٢- الاستيفاء الكامل في التحقيق، رواية وشرحًا وتوضيحًا، وتحقيقًا لأي فكرة أو خبر أو شاهد، أو بيت من الشعر أو قول من الأقوال، مع إسناده إلى مصدره. وهو القائل: «ومن ثم رأيت من حق العلم عليَّ، ومن الوفاء لهذا التراث وللأئمة الذين أورثونا إياه ألا أدع بيان ما وقفت عليه»[٦٢].

فهو يستقصي مادة كل ما يقع بين يديه، ويُثبت إحالاتها على مظانّها،

ويُؤيد رأيه بالدليل «والدليل معيار. وهذا المعيار عنده هو تواتر الرواية عن إنسان عربي صريح من صميم العرب»[٦٣].

ولهذا قد تطول الإحالة أو التعليق لديه؛ فيعتذر عن هذا، فيقول: «وقد حملني على الإطالة في عدة مسائل أن كان لابد لاستيفاء الكلام في بعضها من دراسة طائفة من الأسانيد» . وهذا ما نجده في الحاشية(١١) من تعليقه الذي قدَّم له بهذا الكلام، حين قال: «علَّق محقِّقُ غريبِ الحديث د. عبد الله الجبوري على هذا التفسير قال: (لم أجده في كتاب الخيل) يعني كتاب أبي عبيدة المطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٥٨هـ. وهو كما قال، مع أن الكتاب – كما جاء في فاتحته– من رواية أبي يوسف الأصبهاني، عن أبي حاتم عن أبي عبيدة. وقد صحَّ عندي أن ابن قتيبة ينقل عن كتاب آخر لأبي عبيدة في الخيل سماه ابن السيد في (الاقتضاب) كتاب (الديباجة)، وأما كتاب (الدِّيْباج) فالظاهر أنه هو الذي سماه ابن السيد كتاب (الديباجة)، يؤيِّد ذلك أنه جاء في التهذيب (٨/ ٢٣٢): (قال أبو عبيدة: من الأشقر سِلَّغْدٌ، وهو الذي خلصت شُقْرته؛ وأنشد: أَشقر سِلَّغَدٌ وأحوى أَدْعج). وهذا التفسير نفسه نقله البكري في اللآلي (ص١٤٧) عن كتاب أبي عبيدة أيضًا، وسمَّاه كتاب الدِّيْباج»[٦٤].

فهل يوجد – بعدُ – أعلى من هذا الاستيفاء والدقة في متابعة القضية التي تقف بين يديه؛ ومن ثم التثبت في رواياتها في مظانها الصحيحة ؟!!.

٣– المقابلة والموازنة بين الروايات، والآراء: لم يقدِّم الأستاذ رأيًا ما أو خبرًا، دون أن يُجري مقابلة وموازنة بينه وبين نظائره؛ وكذلك كان يقابل بين مصادر النّص أو الخبر ليتوصل إلى الأمر الصحيح، فهو حين يراجع أمرًا ما

يلجأ فيه إلى الموازنة كما نجده في تقديمه لكتاب (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) إذ قال: «وعلى ما عُرف به الدكتور من الإتقان وتحرِّي الدقة في تحرير ما يحققه وضبطِه، فقد أخذت أقابل عمله بهذه الأصول مبالغة في الاستيثاق، ثم لم أدع المقابلة بطبعة القاهرة التي قام عليها الأستاذ عبد العزيز أحمد»(٦٥). وكنا قبل قليل أشرنا إلى مقابلته لتحقيق رسالة الغفران بمصادر التراث .

فحُبُّ الإتقان، ونشدان الكمال، وظهور النّص على حقيقته كان وراء منهجه الدقيق في تتبُّع مقابلة نصّ من النّصوص وموازنته بغيره، فضلاً عن الحياد والنزاهة والأمانة العلمية، والاتّصاف بالموضوعية. فلو أخذنا تحقيقه لديوان ابن الدمينة لرأينا أنه «ساق النصوص المتضاربة التي أشارت إلى موطن الشاعر، ووازن بينها وقارنها بنصوص أخرى، واستشهد بأبيات من شعر الشاعر حتى توصَّل إلى حقيقة لم يَجْلُها باحث قبله، فقال: والرأي الذي صح عندنا وتضافرت الأدلة والقرائن على نُصرته أن موطن ابن الدمينة إنما كان في الأصقاع الواقعة جنوبي الحجاز مما يلي اليمن»(٦٦). فأي رواية مهما كان شأنها لابد أن تُعارَضَ بالروايات الأخرى، وبأقوال الأئمة كما سنراه بعد قليل.

٤– الدقة والأمانة العلمية: قبل أن يكون التحقيق منهجًا ثقافيًا ونقديًّا ولغويًّا فهو منهج خلقي منضبط على أصول وقيم، ويعدُّ الأستاذ النفاخ أحد أعمدة الدقة والأمانة العلمية في منهجه؛ لا يتحرَّج من الاعتراف بخطئه إذا أخطأ؛ أو بعدم عثوره على بيت أو خبر بعد تعقبه ليالِيَ وأشهرًا، وهو القائل: « لم أعثر على البيت في مختلف المصادر الأدبية، على حين جاء البيت مع آخر قبله في كثير من كتب الأدب واللغة، وقد عدَّد الأستاذ منها طائفة

حسنة»[٦٧].

وهو يردُّ كل رواية إلى موضعها، ويكتفي منها بالقدر الذي يَسُدُّ حاجته منها، دون أن يخلط بينها وبين غيرها، أو يشوِّه طبيعتها، أو يزيِّف في فحواها، فهو يُعيد كل رأي إلى صاحبه . ولا ضير علينا أن نثبت تعليقه على رواية بيت من الشعر، ومن ثم نسبته؛ إذ نسبه الأستاذ البصام إلى عِمرة بنت النعمان الأنصارية؛ وهو :

وهل هند إلا مُهْرةٌ عربيةٌ سُلاَلةُ أَفْراسٍ تجلَّلها بَغْلُ

فبعد أن سرد اختلاف المصادر في نسبة الشعر لعمرة أو لهند أو لحميدة، قطع في نسبته إلى حُمَيدة بنت النُّعمان – على حين لم يقطع الأستاذ البصام في ذلك – ثم قال : « إذ الظاهر أن ما رأوه الصواب – أي (نَغْل) بالنون – لم ترد به رواية قط؛ وأن رواية (تجلَّلها بَغْل) هي المحفوظة، ولا رواية غيرها؛ رواه كذلك أبو عبيدة؛ والجاحظ، ثم سائر من أنشد هذا الشعر من أصحاب اللغة والأخباريين من أهل المشرق، على أنه يعتذر لصاحبة هذا الشعر بأنها لما جعلت المهرة العربية مثلاً لها في خلوص نسبها جعلت البغل مثلاً لرَوْح في ائتشاب نسبه، ولم تُرد أنه مثله من كل وجه»[٦٨]. وكان رَوْح بن زِنْباع فيمن تزوَّج حميدة، وفيه قالت الشعر السابق[٦٩].

٥– الاعتداد بالأئمة الأثبات، والأصدقاء الثقات: كان – رحمه الله – شديد الاعتداد بالأئمة الأثبات القدامى الأقدم فالأقدم يُحيل على آرائهم وكتبهم؛ وإن كان لا يتوانى في أي قضية تعنُّ له أن يعرضها على بعض الأصدقاء الثقات ممن يرى فيهم النَّجابة والإفادة .

فأي رواية لأي نص لابد أن تعارض بأصح الروايات وأقدمها فيقول: «

وكانت الخُطة التي اصطنعتها في هذا العمل أن أثبت كل قصيدة من أصح رواياتها مخرجًا؛ أو أتمها وأحسنها سياقة، ولم أدع أن أعارض الرواية التي أخذت بما تيسر لي الوقوف عليه من سائر الروايات، وإثبات اختلافها في الحواشي، ثم علَّقت على هذه القصائد شروحًا قد تطول وقد تقصر وفق ما تدعو إليه الحاجة. وجعلت معوَّلي في ذلك على أقاويل الأئمة الأَثبات من المتقدمين في شروحهم على دواوين الشعراء وكتب الاختيار، وما نقلته عنهم أمهات كتب الأدب واللغة، حتى إذا اختلفوا في شيء أشرت إلى اختلافهم وربما قدّمت قولاً على قول إذا بدا لي وجه للترجيح»[٧٠].

هكذا؛ اتصف – رحمه الله – بالثقافة الموسوعية؛ والوعي العالي؛ ورهافة الحساسية والفهم للتراث، وتتبُّع المصادر، والدقة والأمانة، والتمييز بين النص والخبر. وذلك كله أساس التحقيق، ولكل آلياته الخاصة. وكان يهتم بأصول البحث المنهجي؛ وطرائق استخدام المصادر والروايات، والصلات بين أنماط العلوم والفنون.

ولعل من أهم آليات المنهج السديد ألا يظن المرء بنفسه الظن الحسن؛ فالشك العلمي مَنْجاة من الزلل؛ وهذا ما كان يمارسه الأستاذ قولاً وفعلاً .

فما من رأي عنَّ له إلا عرض قضاياه الشائكة على أهل الرأي؛ والعلم والاختصاص لم يتحرَّج في ذلك؛ كما تبيَّنا في غيرما موضع مما تقدَّم. ولم يدّع الكمال وإن أخذ نفسه به، بل إنه لم يتردد يومًا في أن يسأل كثيرًا من الأصدقاء الأثبات عن مسألة ما، ويتراجع عن رأيه إذا قدّم له الصديق المسؤول ما فيه الشفاء؛ وهذا ما حدثني به الأستاذ الفاضل الدكتور إحسان النّص.

ولعلي قد شاهدت في بيت الأستاذ – غير مرة – حوارًا بينه وبين

الدكتور عدنان درويش؛ وكان الدكتور عدنان يحتدُّ في النقاش؛ على حين يظل الأستاذ هادئًا؛ وكأنه حقًّا طالب علم بين يدي معلم.

وفي ضوء ذلك كله قد ظهر لنا بكل جلاء عظمة أثره في الحياة الثقافية فكان تاج عصره ومفخرته لكل المنصفين من أهل العلم ...

ولكنْ يمكننا أن نتوقف عند إشارات سريعة موجزة لبيان أثره في الحياة الثقافية، وإن كان المجال لا يتسع له هنا .

٧– أثره في الحياة الثقافية :

تربَّع الأستاذ على عرش العلم والبحث العلمي في زمانه، ومازالت له هذه المكانة وذاك التأثير في النفوس؛ لأنه أخذ نفسه بمعاني الحياة السامية؛ ونشر العلم وفق منهج الأئمة الأثبات، فانتهت إليه جملة من العلوم لم ينازعه فيها منازع؛ وصارت كلمته لا تردّ في بابها.

وقد نازعته همته إلى أن يجدِّد منهج الأجداد في التلمذة، لكي تتعاقب الأجيال فيما بينها، ولئلا تنقطع جسور الثقافة، هذا المنهج الذي اعتمده رجالات العلم في الغرب، على حين عَزف عنه جهابذة العلم لدينا ... !!

ولذلك كله فتح مكتبه، وبيته لشُداة العلم؛ بل فتح لهم قلبه فتربَّعوا فيه؛ وظن بهم الظن الحسن[٧١]. فكان العالم والطالب؛ والصديق والمريد يجتمعون معًا، وكل منهم يسعى لالتقاط الدرر الثمينة، وهو لا يضنّ بعلم ولا يبخل بنصيحة أو عون، ولذلك يقول فيه الأستاذ عبد الهادي هاشم: «وقد يلقى زائره عنده طائفة من طلابه لم يقنعوا بما قرؤوه له أو سمعوا منه في محاضراته»[٧٢]، يبث في نفوسهم محبة العربية، والتزام الفُصحى، فطُبعوا على غراره.

لقد ترك أثره في أصدقائه، وأهل العلم؛ قبل مريديه وطلابه، ونهلوا من معين علم غزير، وعبّوا ما وسعهم ذلك كما يقول الدكتور الفحام : «وكنت كثيرًا ما أستشيره وأسائله في قضايا لغوية ونحوية شَمَسَتْ واستعصَتْ، فيُلِيِّن أَبيَّها؛ ويستدني قاصيها؛ فأحس أنه البحر علمًا ومعرفة». ثم يقول: «كان يستقبل طلابه وزائريه في منزله المعمور دائمًا، حيث كان يلتقي العالِم قد جاء يستفتي في مشكل صادفه. وكان يفِد إلى مجلسه كبار العلماء الذين يزورون دمشق يأتونه قاصدين، حبًا لِلِقائه، وتطلعًا إلى فوائده»(٧٣).

ولعل من أبرز آثاره في أهل العلم أيضًا أنه ما بخل بعلمه عليهم وكان يرسل إليهم بتعليقاته التي عنَّت له حين قرأ هذا الكتاب أو ذاك. «وما أكثر ما كتب وصحَّح للآخرين، يبذل ذلك دون منّ، ولولا أن أشار عدة مؤلِّفين في كتبهم إلى ما قدَّم لهم، وشكروا له جميل ما صنع من أجلهم، لما علمنا ذلك» ؛ كما هو عليه كتاب (ديوان الردة) — مثلاً(٧٤).

وإذا كنت قد أشرت إلى الكثير من مؤثراته سابقًا؛ فإنني أرى أن أعظم أثر تركه هو هذا المنهج في التحقيق؛ منهج العلاَّمة محمود شاكر، والأئمة الأثبات.

ويظل أثر الأستاذ في طلبته ومريديه أعظم منه في غيرهم، وأكبر من أن تحيط به أوراق، فكل يتحدث عنه بمقدار تأثره به، ومدى الإفادة التي اختزنها في ذاته، ونقلها بأمانة إلى آثاره.

فكم من أجيال متعاقبة امتدت قوافلها على مدار سنوات أربعين؛ وهي تتلقف اللغة والأدب؛ والفقه والعروض؛ ومصادر التراث وتحقيقه، وتقف على الدراسات الإسلامية فتأخذ بألبابها ما يقدِّمه لها ولما أخلص لطلبته ومريديه

وأصدقائه، وأهل العلم، تفانَوا في حبّه، وتلقَّفوا منه كل كلمة بثقة واعتزاز لا يندُّ عنهم حرف مما يقول(٧٥).

فالأستاذ – رحمه الله – ترك أثره في كل من تعامل معهم، خلقًا وسلوكًا وعلمًا لم يتذمر يومًا، ولم يغلق بابه في وجه طالبي العلم، لهذا يقول أخوه نزار: «أما داره فكانت دار علم يؤمُّها العلماء وطالبو العلم من شتى أصقاع العالم، ومن كل حدب وصوب على اختلاف اختصاصاتهم. وهذا ما شاهدته على مدى ثلاثين عامًا؛ وكثيرًا ما كنت أنتظر عدة أيام لأظفر بفرصة أخلو بها إليه للتحدُّث في أمر من الأمور العائلية التي تخصُّه مباشرة .

وهذا لم يكن ليتيسر لي في حضور رواد علمه. ولا أذكر أنني استطعت حمله على إغلاق بابه يومًا واحدًا في أَمَرّ أيام مرضه وأقساها؛ وكنت ألحظ أنه كان يستعيد قوته ونشاطه عندما يقوم بشرح مسألة علمية لقاصديه؛ إذ يجدون عنده حلاً لكل معضلة، وشرحًا مفصلاً لكل مشكلة»(٧٦).

وقد كان طلبته في الجامعة يتزاحمون في محاضراته؛ فمن لم يجد مقعدًا افترش الأرض، وكل منهم يصغي إلى كل كلمة تنبس بها شفتاه، إذ كان آسرًا في طريقة حديثه عن هذه القضية أو تلك، أو عن هذا الشاعر أو ذاك، أو حين يتتبَّع مصادر التراث ويقابل فيما بينها ولا يمكنه أن يترك ذلك حتى يستقصيه ولو انتهى الوقت المخصص للمحاضرة؛ علمًا أنه كان منضبطًا في بداية دخوله حتى تضبط الوقت على سَمْته .

وقد كان بعض طلبة الجامعة يتحلقون حوله بعد المحاضرة؛ ثم ترى عددًا منهم يتسابقون إلى مكتبه وقد حملوا الكثير من الأسئلة، ويتلقاهم بكل أريحية حتى يطمئن كل واحد منهم إلى ما قدم به إليه، وهناك فئة أخرى من الطلبة

رأت أن ما يأخذونه من زاد علمي في الجامعة لا يكفيهم، على قيمته، فيطلبون المزيد، فيرون في بيت الأستاذ ملاذًا لهم، فإذا بهم يتوجهون إليه، ليجدوا فيه رجلاً دمثًا ليِّن العريكة يستقبلهم بكل محبة ومودة . وصار البيت يغَص بالزوار؛ فلا تستطيع الأرائك القليلة العدد، وكراسي الخيرزان المحدودة أن تفي بالغرض، فكانوا يفترشون أرض الغرفة الصغيرة.

وهذا حاله أبدًا مع كل طلبة العلم، كانوا جميعًا يرون فيه العالم الزاهد، والباحث الصادق الأمين كما في قول أمين قاعة الباحثين في المكتبة الظاهرية الأستاذ إبراهيم الزيبق: «نازعتني نفسي إلى زيارته في بيته، وطلبت من صديقين كانا من طلابه في الجامعة أن يصطحباني إلى زيارته حين يزورانه.

قرعنا الباب بقلب خافق، هذه أول زيارة لي لعالم اسمه يملأ السمع؛ وتخيَّلت فيما تخيلت بيتًا واسعًا، وأثاثًا مترفًا، ومكتبة ضخمة؛ ووجهًا يطل علينا مترفّعًا متجهمًا. وإذا الباب يُفتح ويطل علينا الأستاذ بوجه طلق تزيده قوة النظرات جمالاً وهيبة. ودلفْنا عبر ممر ضيّق إلى غرفة هي إلى الصغر أقرب؛ قد صُفّت فيها أرائك قديمة، ما إن جلست على واحدة منها حتى انبعث منها أنين البلى، وأقبل علينا الأستاذ النفاخ بوجه يطفح بالبشر وشعرت أنه قريب مني حقًا...»[٧٧].

ثم يسرد قصة مجلس له مع صديقيه الطالبين السابقين (محمد نعيم العرقسوسي؛ وبسام الجابي)؛ إثر محنة ممضّة أَلمت بالأستاذ، فاعتزل في بيت حميه؛ وكان السيد محمد نعيم العِرْقسوسي قد حقَّق كتابًا ونشره بعنوان (توضيح المشتبه). وقد وصل الكتاب إلى الأستاذ، فكان سلوته في محنته مع أنه كتاب يضْبط «أسماء رواة الحديث وأَنسابهم وألقابهم وكناهم بالحركات

والحروف؛ لا يقتنيه إلا مُحَدِّث أو مُحَقِّق، ولا يصبر القارئ له إلا على قراءة أسطر كيما يتهدَّى إلى ضَبْط اسم أو نسبة كتاب هو بالمعجم أشبه، تكون فيه سلوة !!.

وفي غمرة دهشتنا رأينا الأستاذ يستلُّ أوراقًا من بين صفحاته، فيها تصحيح ما بدا له من أخطائه، وراح يقدِّمها إلى أخينا نعيم قائلاً باعتذار: الكتاب بحاجة إلى قراءة ثانية متأنية، وهذه الملاحظات هي ما عنَّ لي في أثناء قراءته وأنا بعيد عن مكتبتي»[٧٨].

فالأستاذ – رحمه الله – ترك أثرًا عظيمًا لا يبلى في نفوس الناس، مريدين وغيرهم؛ وتجلَّى علمه وفضله منهجًا وسلوكًا، ومعارف يقدِّمها لهم ولو تكلَّف الإنسان الحديث عن كل ما يعرفه عنه في هذا الجانب لضاق المجال به، وإن تنكَّر له العديد من الناس غير الأسوياء. فقد عرفت فيما عرفت أنه نُكب بأحدهم، أو عدد غير قليل منهم؛ لأنه أخذهم بظنة نفسه الكريمة فخيّبوا ظنه. وهذا ما أشار إليه غير واحد من أصدقائه وطلبته[٧٩].

أما أنا فأدين له بالفضل ما حييت؛ إذ أثره باق في نفسي وحياتي من قبل ومن بعدُ، وربما تتقاطع ملامح تجربتي معه بتجارب أخرى لأصدقاء لازموه في حياته أكثر مني؛ وكان أثره فيهم أعظم؛ بيد أنني سأقصُّ بسرعة بعض ما وقع لي معه.

فقد عرفت الأستاذ في السنة الأولى من الجامعة، فتلقَّيت على يديه علم العروض والمكتبة والأدب القديم؛ ثم كانت السنة الثانية وحظيت بشرف الاطلاع منه على كتاب (الكامل) للمبرِّد. وقد جعله سبيلاً إلى آفاق معرفية ونقدية ولغوية كثيرة، مما كان له أعظم الأثر في نفسي. ولما درَّست في جامعة

قطر مقرر (التراث الأدبي) كان منهج الأستاذ، ومعارفه ركيزة لي في ذلك، فالنّص لم يكن غايته؛ وإنّما هو وسيلة نظر إلى غيره من كتب المصادر التراثية واللغوية ...

ثم كان لي ولزملائي شرف اللقاء معه في السنة الثالثة في مادة علوم اللغة العربية، ولنتقابل هذه المرة مع كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري، وهنا أدركنا مزية الأستاذ، فكان الفارس الذي لا يُشق له غبار، وتناول جملة من القضايا لا يقدر عليها إلا مثله، شرحًا وتفسيرًا، ومناظرة ومعارضة بين ما ورد في المغني وما جاء لدى المتقدمين.

وإذا كان اللقاء قد تقطَّع بيننا في أسابيع قليلة في دبلوم الدراسات العليا فإنَّه لم ينقطع يومًا في مكتبه أو بيته، وكنت دائمًا ألحف بالسؤال وكان دائمًا لا يبخل بالإجابة العلمية الدقيقة، ضمّني إلى نفسه ووسعني بفضله وعلمه.

ومهما أنس لا أنس تلك الأيام التي مرت بي عند تسجيل درجة الدكتوراه؛ فقد مضت الشهور في البحث عن موضوع ما؛ ثم استقر الأمر على اختيار (الحيوان في الشعر الجاهلي)، وتلبَّث الأستاذ عند العنوان، ورغب في تغييره، ليكون أكثر تشويقًا وترغيبًا وجاذبية، من دون أن يختزل أدنى شيء مما اتفق على مادته؛ كأن يتحول إلى (صورة الحيوان...) أو (مشهد الحيوان...) ولما لم تستقم الحال؛ سجّل الموضوع بالعنوان الأسبق، ثم نما البحث بين يديه، حتى استوى على سوقه، ومن ثم طبع قسمان منه، وما يزال الثالث ينتظر، تبعًا لأبواب الرسالة دون أن يتغير منها شيء.

وأخيرًا أقول: إذا كان مريدو الأستاذ وطلبته قد توَّجوه بلقب (علاَّمة الشام) فما خاب ظنُّهم فيه؛ ولا خدعتهم فطرتهم، فقد فتح لهم بوابات المعرفة

في محاضراته وفي مكتبه؛ ثم في بيته، يستقبلهم على كل هيئة وفي كل حين، ولو كان مريضًا، لم يعرف الكَلال والمِلال، فراحتُه في تنوير عقول الأجيال، وإزالة غبار السنين عنها؛ وإنارة عتمة الطريق لها في عصر يسود فيه التزوير الفكري والثقافي، والنفاق الاجتماعي، والرياء.

كان – رحمه الله – ملء العين، ودفء القلب، بل كان صفوة الأصفياء في الخُلق الكريم، والمثل الرفيعة. نشد الكمال وأحبه؛ ومارس الوطنية والتفاني في سبيل الأمة عطاءً وبذلاً فكان المجلي والسابق.

فإذا كان الموت تحفة المقربين إلى الله من أهل الصلاح، فطب نفسًا يا أبا عبد الله؛ فرسمك الذي فارق الدنيا لم يزل باقيًا في قلوب طلبتك وأهل العلم وعقولهم؛ وسيظل علمك مهوى أفئدتهم ذكرى هدي ونور، ولن نَفِيَك حقك مادامت الحياة.

رحمك الله يا سيدي، وأسكنك فسيح جنانه مع من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ...

والحمد لله رب العالمين

الحواشي

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق؛ من كلمة (للأستاذ العالم الفاضل الدكتور شاكر الفحام) مج ٦٧ – ج٣ – ص(٥٢٣– ٥٢٤).

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير (١٩) .

(٣) الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٨) والرثاء في الجاهلية والإسلام (١٧٩) .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق؛ من كلمة (للأستاذ الفاضل الإنسان الدكتور عبد الكريم الأشتر) مج ٦٧- ج٣- ص(٥٤٤- ٥٤٥).

(٥) المرجع السابق ص(٥٤١- ٥٤٢).

(٦) مجلة الفيصل ص(١٠٦) العدد ٢٩٥؛ من مقال للأستاذ (إبراهيم عمر الزيبق) أمين قاعة الباحثين في المكتبة الظاهرية.

(٧) رسالة الغفران ٣٦٦؛ والبيت مؤلف من بيتين هما السابع والتاسع في ديوان النابغة ص(١٥٤ و١٥٥)، على اختلاف في رواية بعض الألفاظ، ويقول فيهما :

كما لقيَتْ ذات الصَّفَا من حَليفها وما انفكّت الأمثال في الناس سائرَهْ

فواثقها بالله حين تراضيا فكانت تَدِيْه المال غِبًّا وظاهِرَهْ

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – (باب التعريف والنقد) مج٣٣- ج١- ص(١٥١).

(٩) المرجع السابق مج٣٢- ج٤- ص(٦٨٦).

(١٠) المرجع السابق – مقال (نظرات في نظرات) – مج٦٧- ج٣- ص٥٨٧.

(١١) المرجع السابق – من كلمة للأستاذ المفكر المرحوم (عبد الهادي هاشم) في حفل استقبال الأستاذ النفاخ – مج٥٣- ج١- ص(٢١٤).

(١٢) المرجع السابق – على ترتيب المقبوسات – مج٦٧- ج٣- ص(٥٢٦- ٥٢٧ و٥٢٨- ٥٢٩).

(١٣) المرجع السابق – مج ٦٧- ج٣- ص(٥٣٧).

(١٤) المرجع السابق – مج ٣٢- ج٤- ص(٦٨٥).

(١٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٥٤- ج١- ص(٢٤٠)؛ وقد أثبتُّ فحواها وجزءًا منها؛ وانظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (ص٣).

(١٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٦٧- ج٣ ص(٥٣٨ و٥٤٠) (على ترتيب المقبوسين المذكورين)؛ والحديث في (الجامع الصغير ١/ ٢٥٠ برقم ١٨٦١).

(١٧) انظر المرجع السابق – مج٦٧– ج٣– ص(٥٢٤– ٥٢٥) فيما قاله الأستاذ الدكتور شاكر الفحام؛ وص(٥٤٥) فيما قاله الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر؛ وانظر ما يأتي (ص١٩) حاشية (٥٤)، أما كلمة الأستاذ الدكتور إحسان النّص فقد ألقاها إلي في جلسة بمكتبه في مجمع اللغة العربية يوم الثلاثاء ٤/ ٦/ ٢٠٠٢م.

(١٨) انظر الكلمات التي قيلت في حفل استقباله، (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق– مج٥٣– ج٣– ص(٢٠٨ وبعد)، والكلمات التي قيلت في حفل تأبينه – (المرجع نفسه: مج٦٧– ج٣– ص(٥٢٢ وبعد–) وانظر المرسوم التشريعي لتعيينه، في (المرجع نفسه): (مج٥٢–ج١– ص٢٤١)؛ وانظر فيه (مج٥٩– ج٢– ص٤٣٢– ٤٣٣ ومج٦٣– ج٣ ص٥٤٧– ومج٦٥– ج٣– ص٣٤٦) حول مهمات تكليفه باللجان.

(١٩ و٢٠) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٦٧– ج٣– ص(٥٢٣و ٥٢٥) ثم (٥٢٨) ومج ٥٣– ج١– ص(٢٢١).

(٢١) المرجع السابق – مج٦٧– ج٣– ص(٥٥٤).

(٢٢) مجلة الفيصل – ص(١٠٥) العدد ٢٩٥.

(٢٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٥٣ – ج١– ص(٢١٣).

(٢٤) المرجع السابق – مج٦٧– ج٣ ص(٥٢٥– ٥٢٦) ومج٥٣– ج١– ص(٢١٤).

(٢٥ و٢٦ و٢٧) المرجع السابق – (وعلى الترتيب) مج٦٧– ج٣ ص(٥٤١) – ومج٦٧– ج٢– ص(٣٥١ و٣٥٣).

(٢٨ و٢٩ و٣٠) المرجع السابق – (وعلى الترتيب) – مج٥٩– ج٣ – ص(٦١٥)؛ ومج٣٣– ج١– ص(١٤٧)، ومج٦٧– ج٣– ص(٥٤٥).

(٣١) مجلة الفيصل – ص(١٠٦) العدد ٢٩٥.

(٣٢) الأغاني (١٧/ ١٧٩ و١٨٠ و١٨٣).

(٣٣) التصوف في الإسلام (٤٨) .

(٣٤ و٣٥ و٣٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – (وعلى الترتيب) – مج٦٧– ج٣ – ص(٥٤٦)؛ ومج٦٧– ج٢ – ص(٣٥١)، ومج٦٧– ج٣– ص(٥٤٥).

(٣٧) ديوان العباس بن مرداس السلمي (١٧٣).

(٣٨ و٣٩ و٤٠) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - (وعلى الترتيب) - مج٦٧ -ج٢ - ص(٣٥١)؛ ومج٥٣- ج١- ص(٢٠٩- ٢١٠)، (وانظر ما يأتي حاشية ٦٠)، ومج٣٣- ج١ - ص(١٤٨).

(٤١) اعتمدنا على ما أورده الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ومن ثم زدنا فيه بعض الآراء؛ انظر المرجع السابق (مج٦٧- ج٣ - ص(٥٣٤ - ٥٣٦) .

(٤٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٤٣) .

(٤٣) انظر مختارات من الأدب الجاهلي (١٧٢- ٢١٥) وقد صرَّح المؤلف بذلك .

(٤٤ و٤٥ ثم ٤٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٣٢)؛ ومج٤٧ - ج١ ص(٩٢ - ١٣٠).

(٤٧ و٤٨) انظر مقدمة شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - (وعلى الترتيب) ٣- ٨ و٦.

(٤٩ و٥٠) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مقالات للأستاذ النفاخ) - مج٦٧ - ج٣ - ص٥٣١)؛ ومج٥٧ - ج٣ - ص(٤٨٤).

(٥١) انظر المرجع السابق - مج٥٣ - ج١ - ص(٢١٣- ٢١٤)، ومج٦٧ - ج٧ - ص(٥٢٨)؛ وديوان الردة ص(٥ - ٦)، إذ أهدى د. علي العتوم كتابه إلى الأستاذ، وقَرَّظه، وانظر حاشية (٤٣).

(٥٢ و٥٣ ثم ٥٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) - مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٢٨)؛ وص(٥٢٥) وراجع حاشية (١٧).

(٥٥) هناك غير ما لقاء جرى مع الأستاذ في مكتبه بمجمع اللغة العربية وكان يؤكِّد ذلك تباعًا.

(٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج٥٣ -ج١ - ص(٢١٩)؛ ومج٣٢ - ج٤ - ص(٦٨٥- ٦٨٦)؛ ومج٣٣ - ج١ - ص(١٥٤)؛ ومج٥٩ - ج٣ ص(٥٨٧)؛ وانظر ما ورد في (مج٦٧ - ج٣ - ص(٥٣١) .

(٦٠) راجع حاشية (٣٩) مما تقدم .

(٦١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج٦٧ – ج٣ – ص(٥٤٠).

(٦٢) كتاب القوافي – للأخفش – ص(٦).

(٦٣ و٦٤) انظر المرجع الأسبق (وعلى الترتيب) مج٦٧ – ج٣ – ص(٥٣٨) ومج٥٩ – ج٣ – ص(٥٨٧ و٦١٦ – ٦١٧).

(٦٥) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف – ص(٦) .

(٦٦ و٦٧ و٦٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) – مج ٥٣ – ج١ – ص(٢١٦)؛ ومج٥٩ – ج٣ – ص(٥٨٨– ٥٨٩ و٦١٤ و٦١٥).

(٦٩) انظر خبر (حميدة بنت النعمان) مفصلاً في (الأغاني ٩/ ٢٢٧ وبعد) وروي فيه البيت:

وهل أنا إلا مُهْرَةٌ عربيَّة سليلةُ أفراسٍ تجلَّلها بَغْلُ

(٧٠) مختارات من الشعر الجاهلي – ص(٥) .

(٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (وعلى الترتيب) مج٥٣ – ج١ – ص(٢١٣) ومج٦٧ – ج٣ – ص٥٢٦ – ٥٢٧) و(٥٣٩ و٥٥٥ و٥٢٨)، وراجع حاشية (٧٩) مما يأتي، وانظر ديوان الردة – ص(٥ – ٦).

(٧٥) انظر مضمون الحاشية (٧٣ و٧٤) في موضعه؛ وديوان الردة – ص(٥ – ٦).

(٧٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٧– ج٣– ص (٥٥٥– ٥٥٦)، وص (٥٥٣– ٥٥٤) .

(٧٧ و٧٨) انظر في ذلك كله مجلة الفيصل ص(١٠٣ – ١٠٤ ثم ١٠٥ – ١٠٦).

(٧٩) انظر المرجع الأسبق – (٥٤٣) إذ حدَّثنا الدكتور الأشتر عن الناسك المتبتل الذي تعرَّض لمحن قاسية باندحار المثل النبيلة والظن بالناس أنهم أهل للثقة كشخصه؛ «فهذا الذي كان يجعل منه هدفًا سهلاً للطامعين فيه. كانت أبواب بيته مفتوحة لكل طارق؛ حتى ربما سلَّم لِبعضهم مفاتيحَها ليدخلوه إذا غاب عنه» . ثم يبيِّن الأخ الصديق الدكتور الدالي (ص٥٥٤) حقيقة بعض من وثق بهم ولكنه نُكب فيهم فقال: «وعرفت فيما عرفت أنه كان منكوبًا في غير قليل ممن أحسن إليهم، ما فعل لهم إلا الخير، وضنّوا بالوفاء، بل إن فيهم من أساء إليه، وتنكَّر له، ومنهم من

أصاب به اليوم علاج ذات نفسه ... كان وفيًّا يُحسن الظن بالناس فيخلفه ظنه في كثير ... وأقامت طائفة على الوفاء له» .

المصادر والمراجع

١- الأغاني- لأبي الفرج الأصفهاني - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - نسخة مصورة عن (طبعة دار الكتب: ١- ١٦) وعن (الهيئة المصرية العامة: ١٧ -٢٤).

٢- التصوف في الإسلام - موفق فوزي الجبر- دار معد ودار النمير - دمشق- ط١ - ٢٠٠٠م.

٣- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار خدمات القرآن بالأزهر .

٤- ديوان ابن الدمينة - صنعة ثعلب وابن حبيب - تحقيق أحمد راتب النفاخ - دار العروبة - القاهرة - ١٩٥٩م.

٥- ديوان الردة - د. علي العتوم - مكتبة الرسالة الحديثة - عمان/ الأردن - ط١ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٦- ديوان العباس بن مرداس السلمي - تحقيق د. يحيى الجبوري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٧- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر- ١٩٧٧م.

٨- الرثاء في الجاهلية والإسلام - د. حسين جمعة - دار معد - دمشق - ١٩٩١م.

٩- رسالة الغفران - للمعري - تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) - دار المعارف بمصر - ط٨ - ١٩٩٠م.

١٠- شرح ديوان كعب بن زهير - صنعة االسكري - نشر دار القومية للطباعة - القاهرة - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١١– شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف – لأبي أحمد العسكري – تحقيق د. السيد محمد يوسف – مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ط١ – ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٢– الشعر والشعراء – لابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف بمصر – ١٩٦٦م.

١٣–كتاب القوافي – لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش – تحقيق أحمد راتب النفاخ – دار الأمانة – بيروت – ط١ – ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

١٤–كتاب القوافي – لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش – عُني بتحقيقه د. عزة حسن – وزارة الثقافة – دمشق – ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٥– مجلة الفيصل – العدد (٢٩٥) – محرم ١٤٢٢هـ/ مارس/ إبريل ٢٠٠١م.

١٦– مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلدات والأجزاء) كما هو مبيَّن فيما يأتي:

١– مج٣٢– ج٤– ص(٦٨٥) وبعد – لعام ١٩٥٧م (رسالة الغفران) .

٢– مج٣٣ – ج١– ص(١٤٦) وبعد – لعام ١٩٥٨م (رسالة الغفران) .

٣– مج٤٢ – ج٤ – ص(٧٥٨) وبعد – لعام ١٩٦٧م (المحتسب لابن جني).

٤– مج٤٣ (–ج١– ص(٧٩) وبعد/ وج٢– ص(٣٦٩) لعام ١٩٦٨م (المحتسب لابن جني).

٥– مج ٤٧– ج١– ص(٩٢) وبعد – لعام ١٩٧٢م (كتاب القوافي للأخفش). وج٤ – ص(٨٦٣) وبعد – لعام ١٩٧٢م (تعقيب على أرجوزة في العروض).

٦– مج٤٨ – ج٤ – ص(٨٤٠) وبعد لعام ١٩٧٣م (كتاب إعراب القرآن للزجَّاج).

٧– مج٤٩ – ج١ – ص(٩٣) وبعد – لعام ١٩٧٤م (كتاب إعراب القرآن للزجَّاج).

٨– مج٥٢ – ج١– ص(٢٤١) لعام ١٩٧٧م (مرسوم تعيينه عضوًا بالمجمع).

٩– مج٥٣ – ج١ – ص(٢٠٨) وبعد لعام ١٩٧٨م (حفل استقباله)

١٠– مج٥٤ – ج١ – ص(٢٤٠) وبعد – لعام ١٩٧٩م (عبد العزيز الميمني الراجكوتي).

١١– مج٥٧ – ج٣ – ص(٤٧٢) – لعام ١٩٨٢م (حركة عين المضارع من فَعَل).

١٢- مج٥٨ - ج٤ - ص(٦٥٧) وبعد - ١٩٨٣م (كتاب المحبة لله سبحانه).
١٣- مج٥٩ - ج٢ - ص(٢٤٥) وج٣- ص(٤٦٣)- ١٩٨٤م (كتاب المحبة لله).
١٤- مج٥٩ - ج٣ - ص(٥٨٧) وبعد - ١٩٨٤م (نظرات في نظرات).
١٥- مج٦٠ - ج٢ - وج٣ - لعام ١٩٨٥م (نظرات في نظرات).
١٦- مج٦٠ - ج٣ - لعام ١٩٨٥ (فقيد المجمع الأستاذ عبد الكريم زهور عدي).
١٧- مج٦٠ - ج٤ - لعام ١٩٨٥ (استفتاء وجوابه).
١٨- مج٦٣- ج١- ص (٥٤٧) وج٣ - (٥٨٧)- ١٩٨٤م (قرارات للمجمع بشأن الأستاذ).
١٩- مج٦٥ - ج٣ - ص(٣٤٦) وبعد - ١٩٩٠م (قرارات للمجمع بشأن الأستاذ).
٢٠- مج٦٦ -ج٤- ١٩٩١م (تعليقات على أشعار اللصوص وأخبارهم).
٢١- مج٦٧- ج٢ - ص٣٤٩ - (انتخاب الأستاذ النفاخ في بعض اللجان) . وص (٣٥١) - (الأستاذ أحمد راتب النفاخ في ذمة الله). - وج٣ -(٥٢٢)- لعام ١٩٩٢م - (حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ) .

١٧- مختارات من الأدب الجاهلي - د. عبد الحفيظ السطلي - مطبوعات جامعة دمشق - دمشق - ط٥ - ١٩٩١ - ١٩٩٢م.
١٨- مختارات من الشعر الجاهلي - اختارها وعلَّق عليها أحمد راتب النفاخ - مكتبة دار الفتح - دمشق- ط١ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع
في دورة عام ٢٠٠٤م

أعدَّه بإشراف أمين المجمع

أ. عدنان عبد ربه

يعرض التقرير أهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال. ولما كان الكثير من قرارات اللجان، هو وفق الأنظمة اقتراحات، ولا يرقى إلى مستوى القرار إلا إذا عزّز بقرار من المجلس أو المكتب، فقد اقتصرنا على إيراد تلك الاقتراحات، بعد أن أضحت قرارات، في أعمالهما، واكتفينا غالبًا بالإشارة إلى ذلك في أعمال اللجنة المختصة، دفعًا للتكرار الممل.

أعمال مجلس المجمع وأهم قراراته:

١- إقرار «قضايا المصطلح العلمي» موضوعًا للمؤتمر الثالث للمجمع، بناءً على توصية المكتب واقتراح لجنة النشاط الثقافي.

٢- إقرار اقتراح المكتب اتخاذ الخامسة والخمسين حدًّا أعلى لِسِنِّ المرشح لعضوية المجمع.

٣- الترشيح لانتخاب عضوٍ واحد في كل من الاختصاصات الثلاثة الآتية: الهندسة الميكانيكية، العلوم الطبيعية، اللسانيات. وحدد نهاية عام ٢٠٠٤ موعدًا أخيرًا لقبول الترشيحات.

٤- إقرار التقرير الشامل المرافق للتقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠٣، والموافقة على آليات تنفيذ توصياته التي وضعها أمين المجمع بتكليف من المجلس.

٥– تأليف أربع لجان وقتية متفرعة عن لجنة العلوم الطبيعية والزراعية هي:

١– لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية.

٢– لجنة مصطلحات علوم الأحياء النباتية.

٣– لجنة مصطلحات العلوم الجيولوجية.

٤– لجنة مصطلحات العلوم الزراعية.

مهمتها جمع مصطلحات هذه العلوم من الكتب الجامعية السورية، وتقديم اقتراح توحيدها إلى لجنة العلوم الطبيعية والزراعية.

١– تأليف لجنة وقتية لإعداد معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة من السادة: الدكتور زهير البابا، والأستاذ جورج صدقني، والأستاذ شحادة الخوري، والدكتور موفق دعبول، والدكتور عزيز شكري.

٢– أ – مناقشة تقرير السيدين رئيس المجمع ونائبه عن أعمال اتحاد المجامع اللغوية العربية، والطلب إلى ممثلي المجمع في الاتحاد إظهار دور المجمع وعرض توصياته ومقترحاته في اجتماعات الاتحاد.

ب – مناقشة محضر لجنة المعجم التاريخي – التي ألفها اتحاد المجامع – في اجتماعها الثاني المنعقد في القاهرة في المدة من ٤–٦ أيلول/٢٠٠٤م، وإقرار عدم موافقة المجمع على إنشاء مؤسسة لهذا المعجم.

ج– انتخاب الدكتور محمد مروان محاسني ممثلاً للمجمع في اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية رديفًا للدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع.

٢– إقرار اشتراك المجمع في اتحاد الأكاديميات الدولي، وإيفاد الدكتور عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع إلى برشلونه لحضور أعمال الجمعية العامة للاتحاد

في أواخر آيار ٢٠٠٤، وتأليف لجنة برئاسته لدراسة خطة عمل المجمع في الاتحاد الدولي للأكاديميات.

٣- إقرار قواعد الإملاء التي اقترحتها لجنة اللغة العربية وأصول النحو.

أعمال مكتب المجمع وأهم قراراته:

١- الاقتراح على المجلس أهم الأعمال التنظيمية لمؤتمر المجمع الثالث (ينظر قرار المجلس).

٢- الاقتراح على المجلس وضع حدٍّ أعلى لسن المرشح لعضوية المجمع وملء شواغر العضوية على مرحلتين (ينظر قرار المجلس).

٣- مناقشة نتائج مسابقة تعيين عاملين من الفئة الأولى وقائمين بالأعمال، ممن يحملون دبلوم الدراسات اللغوية أو دبلومًا في المعلوماتية. وإقرار نتائجها التي نجح بموجبها:

أ- عامل من حملة الدبلوم اللغوي في اللغة العربية، هو السيد حسين أسود.

ب- عضوان في الهيئة الفنية في اللغة العربية هما السيدان محمود الحسن وسعد الدين المصطفى.

ج- عضو في الهيئة الفنية في المعلوماتية هو السيد بسيم برهوم.

١- الموافقة على تكليف خبراء العمل في لجنة إعداد معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة.

٢- التعاقد مع الأستاذة سكينة الشهابي على تحقيق المجلدين ٦٤ و ٦٥ من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.

٣- الاقتراح على المجلس، قيام المجمع بترجمة المعجم الطبي الذي نشرته الأكاديمية الفرنسية.

٤– إيفاد الآنسة هلا الضحاك للحصول على الماجستير من جامعة دمشق بإجازة دراسية مدة عام بكامل الأجر.

وإيفاد السيد خير الله الشريف، أمين مكتبة المجمع، بناء على اقتراح لجنة المكتبة، إلى القاهرة لتزويد المجمع بمطبوعات مجمع القاهرة ومعهد المخطوطات ودار الكتب القومية، والاطلاع على أنظمة اتحاد المجامع اللغوية العربية الإدارية والمالية.

٥– تحديد يوم الجمعة يوم عطلة أسبوعية لدار الكتب الظاهرية، وتحديد دوام العاملين فيها يوم السبت من التاسعة صباحًا حتى الواحدة ظهرًا.

٦– إقرار طباعة كتاب قواعد الإملاء.

٧– الاشتراك في المعرض الأول لإعادة إعمار مكتبات العراق الذي أقيم في عمان، وإهداء مكتبات العراق العامة، ومكتبات الكليات الجامعية فيه الكتب المتوفرة لدى المجمع.

٨– إقرار مشروع الموازنتين الجارية والاستثمارية للمجمع لعام ٢٠٠٥م.

٩– التعاقد مع المهندس مصطفى حميد لإنشاء مرأب في المجمع بتكلفة قدرها خمس وتسعون وتسعمئة ألف وأربعة عشر مليون ليرة سورية (١٤.٩٩٥.٠٠٠ل.س).

١٠– متابعة ترميم المدرسة العادلية، والموافقة على إقرار ملحق عقد ترميمها البالغ قيمته ٥.٣١١.٩٠٥ل.س خمس وتسعمئة وأحد عشر وثلاثمئة ألف وخمسة ملايين ليرة سورية.

١١– إقرار شراء سيارتين سياحيتين إحداهما لنائب رئيس المجمع والأخرى لأعضاء المجمع. وقد تم شراء سيارة واحدة لنائب الرئيس من مصادرات

الجمارك، التي حصر قرار رئاسة مجلس الوزراء الشراء منها، فصرف النظر عن شراء السيارة الثانية.

١٢- شراء قارئة جديدة لمكروفلمات المجمع، وأربعة حواسيب يخصص واحد منها لدار الكتب الظاهرية لخدمة القراء، وجهاز تلقيم ذاتي لآلة تصوير الوثائق.

٣- لجان المجمع

لجنة المجلة والمطبوعات

أخرجت اللجنة من المجلة المجلد الثامن والسبعين. أما الكتب التي أقرت نشرها فهي:

أ – تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: أنجز طبع المجلد (٦٢) ولا يزال المجلد (٦٣) في مطبعة دار البعث، وأما المجلدان (٦٤) و (٦٥) فهما في التنضيد.

ب-كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي (٣١٦-٣٧٩هـ(تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي، وقد أنجز طبعه. وكتاب قواعد الإملاء، في مطبعة البعث لما ينجز طبعه. وأما ديوان أبي النجم العجلي ٥٢١هـ /٦٤٢م صنعة محمد أديب جمران فلم ينجز بعد تنضيده.

هذا ومن أبرز القرارات التي اتخذتها اللجنة في هذا العام:

- طباعة البحوث المقدَّمة في كل مؤتمر في كتاب مستقل بدءًا من مؤتمر تيسير تعليم النحو.
- تحديد حدٍّ أعلى لعدد صفحات البحث الذي يُنشر في مجلة المجمع، مقداره ثلاثون صفحة، أو نشْره في أجزاء إن كان عدد صفحاته كبيرًا، ويقبل التجزئة.

● تكليف الأستاذ عاصم بيطار مهمة التصحيح الأخير، لأعداد المجلة والكتاب الخاص بمؤتمر تيسير تعليم النحو، ومنحه لقاء ذلك تعويض المراجعة العلمية واللغوية المنصوص عليه في قرار رئيس مجلس الوزراء ذي الرقم ٥١٠١ لعام ٢٠٠٤.

● استعراض مقترحات الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري المتعلقة:

أ– بمهام مقرر لجنة المجلة، ب – وبنظام العمل في اللجنة،ج– وببنية ما تنشره المجلة، فأقرت ما تم الاتفاق عليه منها، وسينشر في المجلة.

٢– لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

١– وافقت اللجنة على طبع كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن.

٢– ودرست كتاب المنقذ من الهلكة في دفع مضار السموم المهلكة، تأليف ابن تغلب، ووافقت على تكليف الدكتور محمد زهير البابا تحقيقه.

٣– لجنة المعجمات اللغوية:

– تابعت اللجنة استكمال خطة العمل في الجزء الخاص بالملابس من مشروع معجم المعاني، واقترحت على المجلس تأليف لجنة من ثلاثة خبراء للعمل في هذا الجزء من المشروع.

٤–لجنة المكتبة :

– كان أهم ما قامت به: تحديد مدة إعارة الكتب (للأعضاء حصرًا) بثلاثة أشهر قابلة للتجديد.

– والعمل على استكمال تزويد المكتبة بمؤلفات وأعمال السادة أعضاء المجمع.

– ووضع مجموعة من المراجع الأساسية في مكاتب الأعضاء الراغبين في ذلك.

- ووضع مكتبتي المجمع والظاهرية المدخلتين في الحاسوب على حواسيب السادة الأعضاء.
- وعرض الدوريات والكتب الجديدة الواردة إلى المجمع في قاعة المجلس وتعيين مسؤولٍ عنها.
- ووضع جهاز حاسوب لخدمة القراء في دار الكتب الظاهرية.
- والموافقة على شراء زهاء ٦٠٠ كتاب للمجمع والظاهرية.

٥– لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية:

أهم ما قامت به: إنهاء المرحلة الأولى من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية، وهي مرحلة النظر في المصطلحات التي استخدمتها الجامعات الأربع أو بعضها واختيار الأفضل منها، والإعداد لعرض المشروع على الجامعات لتضع ملاحظاتها عليه.

٦ – لجنة النشاط الثقافي:

– أقامت اللجنة موسمًا ثقافيًا ألقى فيه الدكتور عبد السلام العجيلي محاضرة بعنوان « صار جِدًّا مالهونا به »، والأستاذ الدكتور مروان المحاسني محاضرة بعنوان «الذاتية الثقافية»، والدكتور عبد الكريم اليافي محاضرة بعنوان «الاختصاص والموسوعية وعلوم اللغة العربية». واقترحت «قضايا المصطلح العلمي» موضوعًا للمؤتمر الثالث، وتولت متابعة إقامته وتقويم بحوثه. واقترحت اللجنة أيضًا «قضايا اللغة العربية والمجتمع» موضوعًا للمؤتمر الرابع،كما اقترحت موعد انعقاده في المدة من ١٤– حتى ١٧ تشرين الثاني ٢٠٠٥م.

٧ – لجنة اللغة العربية وأصول النحو:

كان أهم ما قامت به من أعمال: وضع قواعد الإملاء وإحالتها على

مجلس المجمع (الذي أقرها في جلسته العاشرة)، والاقتراح على المكتب طباعتها في كتيّب وتوزيعه.

٨– لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية:

درست اللجنة سير العمل في لجانها الفرعية الأربع، (ينظر في أعمال المجلس)، وأقرت أسلوب تجميعِ المصطلحات من الكتب الجامعية المعنية والعملِ على توحيدها. كما شرعت تدخل محتويات هذه الكتب من المصطلحات إلى الحاسوب وهي خطوة أولى في الخطة.

٩– لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها:

١– وجهت اللجنة باسم رئيس المجمع رسالة إلى مديرة وحدة الوثائق في هيئة الأمم المتحدة بڤينا، عرّفت فيها بعمل المجمع في وضع المصطلحات وضمنتها تحري إمكان الاستفادة من خبرات الوحدة في تدريب بعض العاملين في المجمع.

٢– جرى الاتفاق على أن تتطرق لجان المصطلحات الدائمة والوقتية إلى دراسة السوابق واللواحق بحسب استعمالها في كل علمٍ من العلوم، ثم تقدِّم ما توصلت إليه تلك اللجان إلى لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها.

٣– قررت اللجنة الاكتفاء بتكليف عاملين اثنين رصد الألفاظ الجديدة في الصحف الدمشقية اليومية الثلاث، وذلك في المرحلة الأولى من المشروع، وإحالتها على رئيس اللجنة لفرزها حسب الاختصاص بغية دراستها، تساعده على ذلك أمينة اللجنة. وقد أقرت اللجنة عددًا من المقابلات العربية لألفاظٍ أجنبية وردت في تلك الصحف.

٤- جرى تبادل الرأي بشأن مشروع الذخيرة اللغوية، الذي وافق اتحاد المجامع على القيام به وأوصت الجامعة العربية بدفع العمل فيه، ورئي أن تقترح اللجنة على مجلس المجمع المشاركة في هذا العمل في خطة المجمع القادمة.

٥- اطلعت اللجنة على المصطلحات الواردة في كتاب (في عصور حضارتنا وتوصيفها) لعماد يوسف قدسي، فأبدى أعضاؤها تقديرهم للجهد المبذول وبعض ملاحظاتهم عليه.

٦- تداول الأعضاء الرأي بشأن مشروع تعريب «معجم الأكاديمية الوطنية للطب بفرنسة» مضمونِ كتاب الأمين العام للأكاديمية، واستقر الرأي على اقتراح مواصلة العمل مع المجلس الدولي لحصول المجمع على الحق في ترجمته؛ والتشاور مع هيئات ذات علاقة بالموضوع للوصول إلى صيغة تعاون معها، يتولى فيها المجمع الإشراف على العمل. واقترحت اللجنة تكليف الأستاذ الدكتور مروان المحاسني متابعة المشروع في الأكاديمية والمجمع.

١٠- اللجان الوقتية المتفرعة عن اللجان الدائمة

ألف المجلس عددًا من اللجان الوقتية لإنجاز أعمال مختلفة أهمها:

أ- اللجنة الوقتية لإعداد معجم ألفاظ الحضارة

كان أهم ما قامت به، جمع المراجع التي يمكن الاستفادة منها في إعداد المعجم، وتحديد أسلوب العمل فيه. ثم وزعت الفصول الخاصة بالقسم الأول منه على أعضائها، واقترحت تكليف خبراء العمل في إعداده، كما اقترحت خطة العمل في عام ٢٠٠٥م.

ب- اللجان المتفرعة عن لجنة العلوم الطبيعية والزراعية (ينظر في قرارات المجلس).

قدم خبراء كل لجنة من اللجان الأربع مسارد مصطلحاتها، ويقوم العاملون في الدائرة الفنية في المجمع بإدخال المصطلحات في الحاسوب. ولم تستكمل بعد اللجنة الوقتية لمصطلحات العلوم الزراعية مسارد الكتب الجامعية في اختصاصها.

٤– دار الكتب الظاهرية

– دخل الدار في هذه الدورة /٢٧٥/ كتاب منها /١١٩/إهداء. وبذلك يصبح مجموع كتب الدار ٧٦٩٧١ (واحدًا وسبعين وتسعمئة وستة وسبعين ألف) كتاب.

أما المجلات، فقد دخل الدار في هذه الدورة /٢١٣/مجلة عربية ضمن /٢٧/عنوانًا، منها /١٣٩/مجلة أهديت إلى الدار من خارج القطر و/١٧٠/ دورية بلغة أجنبية، وبذلك يصبح عددها في الدار ٣٩٩٢٦ (ستًا وعشرين وتسعمئة وتسعة وثلاثين ألف) مجلة ودورية.

– جردت في هذا العام ممتلكات الدار من الكتب والمجلات للتحقّق من سلامتها من النقص، وجرى تجليد بعض الكتب وتجديد بضعة آلاف بطاقة فهرسة تالفة.

– بلغ عدد القراء الجدد المشتركين في الدار في هذه الدورة/٣٠٨/ مشترك، وبذلك يصبح مجموع المشتركين في الدار (٤٧٢٨) مشترك. ويبلغ عدد رواد المكتبة في اليوم الواحد ما بين عشرة رواد صيفًا ومئة رائد شتاءً. ويرتاد الدار عدد كبير من المواطنين والسائحين للاطلاع على معالمها التاريخية، وآثارها العمرانية.

– ما تزال أعمال الترميم جارية في المدرسة العادلية.

٥– مؤتمر المجمع:

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، عقد المجمع مؤتمره الثالث بعنوان «قضايا المصطلح العلمي» وذلك في المدة من ١٠–١٢ تشرين الأول عامَ ٢٠٠٤ في قاعة محاضراته. وقد شارك في المؤتمر باحثون من مختلف الأقطار العربية.

أقيم حفل افتتاح المؤتمر في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٠٠٤/١٠/١٠، وحضره عدد من السادة الوزراء والسفراء العرب ورئيس المجمع وأعضاؤه، وأعضاء المؤتمر وأساتذة الجامعات، وجمهور من المثقفين. وألقيت في الحفل كلمات الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، وزير التعليم العالي، ممثل السيد رئيس الجمهورية راعي المؤتمر،والأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، والأستاذ أحمد شفيق الخطيب، ممثل الباحثين المشاركين في المؤتمر. وستنشر قراراته وتوصياته مع بحوثه في كتاب مستقل.

٦– مكتبة المجمع:

جرى إغناء مكتبة المجمع هذا العام بـ/١١٨٤/ كتاب، منها /٥٨٩/ كتاب شراء و/٥٩٥/ إهداء. وبذا يصبح عدد الكتب العربية في المكتبة /٢٨١٥٦/ كتاب.

كما زودت المكتبة الأجنبية بـ /١٧٧/كتاب، ودخل قسم المجلات والدوريات العربية /١١٠/مجلة ودورية، ودخل قسم المجلات والدوريات الأجنبية /٤٠/ مجلة ودورية.

٧– حفلات الاستقبال:

أقام المجمع في الشهر الأول من هذا العام حفلي استقبال في قاعة المحاضرات في المجمع لعضويه الجديدين: الأستاذ عاصم البيطار والأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري.

احتفل المجمع باستقبال الأستاذ عاصم البيطار خلفًا للأستاذ الدكتور عادل العوا في جلسة علنية عقدها مساء الاثنين ٢٠٠٤/١/١٢، قدمه فيها وتحدث عن سيرته العلمية الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري.

كما احتفل المجمع باستقبال الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري في جلسة علنية عقدها مساء الأربعاء ٢٠٠٤/١/٢٨ ، خلفًا للأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم، وقد قدمه فيها وتحدث عن سيرته العلمية الدكتور موفق دعبول.

٩– موازنة المجمع:

– بلغ مجموع الاعتمادات المخصصة (الجارية والاستثمارية) لعام ٢٠٠٤/ ٣٧.٩١٥.٠٠٠/ خمسة عشر وتسعمئة ألف وسبعة وثلاثين مليون ليرة سورية.

– وبلغ مجموع ما أنفق من هذه الاعتمادات في عام ٢٠٠٤/ ٣٤.٣١٩.٦٥٣/ ثلاثًا وخمسين وستمئة وتسعة عشر وثلاثمئة ألف وأربعة وثلاثين مليون ليرة سورية.

- وبلغ الاعتماد المتبقي من الموازنة /٣.٥٩٥.٣٤٧/سبعًا وأربعين وثلاثمئة وخمسة وتسعين ألفًا وخمسمئة ألف وثلاثة ملايين ليرة سورية. وحال دون إنفاقه صعاب طارئة كالتي حالت دون صرف مبلغ /٧٠٠٤٧٠/ليرة من مخصصات شراء وسائط النقل (ينظر أعمال وقرارات المكتب). وكانت النسبة المئوية للإنفاق ٩٠.٥٢ ٪.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٥م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أبحاث المؤتمر السنوي الثاني والعشرين لتاريخ العلوم عند العرب**/ إعداد: د. مصطفى موالدي، إشراف: د. علاء الدين لولح – حلب: جامعة حلب، ٢٠٠١.
- **اتجاهات البحث اللساني**/ ميلكا إفيتش، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد –ط٢– القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- **اتجاهات الشباب والمراهقين نحو العمل**... / د. كلثم علي غانم الغانم – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٤).
- **أثر وسائل التقنية في تطوير تعليم العربية** / د. رضوان الدبسي – أبوظبي: جمعية حماية اللغة العربية، ٢٠٠٢.
- **الاثنينية** / مجموعة من الأساتذة – جدة: عبد المقصود محمد سعيد خوجة، ٢٠٠٣ – ج(٢٠).
- **الإدارة العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات**/ د. هند بنت عبد الرحمن آل عروان – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣– (السلسلة الأولى ٣٧).
- **الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**/ د. عبد الرحمن بن علي العريني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.
- **استطلاع آراء المواطنين حول الإنفاق الخيري في دولة الكويت**/ الأمانة

العامة للأوقاف – الكويت: الأمانة، ٢٠٠٣.

- **الاستيطان الصهيوني**/ د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.
- **إطلالة على حياة عالم مصري في عامه التسعين: د. محمود حافظ**/ مجموعة من الأساتذة – القاهرة: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤.
- **اقتصادنا**/ محمد باقر الصدر – طهران: مكتب الإعلام الإسلامي، ٢٠٠٤.
- **الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات ١٩٩٧–٢٠٠٠م**/ د. محمد فتحي عبد الهادي – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثالثة ٤١).
- **الأوائل**/ ابن أبي عاصم، قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ – (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق: دار الحديث النورية).
- **الباب الصرفي وصفات الأصوات...**/ د. وفاء كامل فايد – ط١ – القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠١.
- **الببليوغرافية الوطنية الأردنية**/ المكتبة الوطنية – عمان: المكتبة، ٢٠٠٣.
- **بحوث في المعجمية العربية: المعجم اللغوي**/ د. عبد الله الجبوري – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤.
- **البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة**/ شريعتمدار – قم: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣ – ج٢.
- **بناء القصيدة في العصر المملوكي**/ د. يوسف أحمد إسماعيل – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢٢٠).

- **التاريخ السياسي لإمارة بني مسافر**.../ د. سليمان عبد العبد الله الخرابشة – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٥).
- **التاريخ الشفهي: حديث عن الماضي**/ د. روبرت بيركس، ترجمة: عبد الله ابن إبراهيم العسكر – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.
- **تاريخ مدينة دمشق**/ ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق: مجمع اللغة العربية، مج ٦٢.
- **التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم**/ جان ريمون، ترجمة: محمد خير البقاعي – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٤هـ – (سلسلة كتاب الدارة ٥).
- **تراث العرب السياسي**/ تحرير: د. فيصل الحفيان – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠٣– (سلسلة ندوة قضايا المخطوطات ٥).
- **التراث العربي المخطوط في فلسطين**/ تحرير: د. فيصل الحفيان – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١– (سلسلة ندوة قضايا المخطوطات ٤).
- **تراث العرب والمسلمين في العلاقات الخارجية**/ تحرير: د. فيصل الحفيان – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠٣– (سلسلة ندوة قضايا المخطوطات ٦).
- **تراكب الأصوات في الفعل الثلاثي الصحيح: دراسة استقصائية في القاموس المحيط**/ د. وفاء كامل فايد – القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩١.
- **تعريفات الراغب الأصفهاني**/ د. عمر عبد الرحمن الساريسي – عمان: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.
- **توثيق الترجمة والتعريب**/ علي سليمان الصوينع – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثانية ٤٢).

- **ثبت الإمام السفاريني الحنبلي.../** قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ – (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، مدرسة محراب الحنابلة بالجامع الأموي).
- **جزء فيه سبعة مجالس من أمالي الإمام محمد بن عبد الرحمن المخلص/** قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤– (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، الجامع الأموي).
- **جزء فيه ستة مجالس من أمالي شيخ الحنابلة القاضي أبي يعلى الفراء/** قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، جامع الحنابلة).
- **الحكومة الإلكترونية بين التخطيط والتنفيذ/** د. فهد بن ناصر بن دهام العبود – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٣ – (السلسلة الثانية٤).
- **دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي/** أحمد شوقي بنبين – ط٢ – مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٤.
- **دليل المجلات السعودية المحكمة/** دارة الملك عبد العزيز – الرياض: الدارة، ١٤٢٥هـ - (١٥٩).
- **دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التكنولوجية/** عبد اللطيف محمد الصريخ – الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٤.
- **ديوان محمد بن الطُلْبه اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني/** شرح وتحقيق: محمد عبد الله بن الشبيه بن ابّوه – نواكشوط: أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابّوه، ١٩٩٩.

- **رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام**/ سعد بن أحمد الربيعة – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣ – (الكتاب الرابع، العدد ١٤٤).
- **الرسالة السمرقندية في الاستعارات**/ أبو القاسم السمرقندي، تحقيق: عدنان عمر الخطيب – دمشق: دار العصماء، ٢٠٠٥.
- **رسالة في آداب الاختلاط بالناس**/ الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. عمر عبد الرحمن الساريسي – عمان: دار البشير، ١٩٩٨.
- **زكي المحاسني: المربي الأديب والشاعر الناقد**/ سماء زكي المحاسني – دمشق: دار القلم، ٢٠٠٤ – (سلسلة علماء ومفكرون معاصرون٢٣).
- **سلوك تدخين السجائر لدى طلبة الجامعة**/ د. بدر محمد الأنصاري – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٧).
- **السموأل وأخباره والشعر المنسوب إليه**/ مختار الغوث – ١٩٩٤.
- **شرح عيون الإعراب**/ الفزاري، تحقيق: د. وفاء كامل فايد – القاهرة: ١٩٨٦.
- **شعر عبد الله بن أيوب التيمي**/ تحقيق: د. حمد بن ناصر الدخيل – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١.
- **طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبد العزيز**/ عبد الرحمن بن عبد الله الشقير – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٣.
- **الطب النبوي**/ ابن السني، إشراف وتقديم: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي، د. أحمد رجائي الجندي – الكويت: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٤ – (سلسلة المخطوطات الطبية ١).
- العربية والبحث اللغوي المعاصر/ **د. رشيد عبد الرحمن العبيدي – بغداد:**

المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤.

- **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**/ د. سعيد بن فايز إبراهيم السعيد – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣.
- **علم التوثيق الشرعي**/ د. عبد الله بن محمد بن سعد الحجيلي – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ – (السلسلة الأولى ٣٦).
- **الفائزون بجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية دورة ٢٠٠٢**/ عبد الإله عبد القادر – أبو ظبي: مؤسسة سلطان العويس، ٢٠٠٤.
- **الفهارس المفصلة لمجلة معهد المخطوطات العربية**/ صنعة: محمد فتحي عبد الهادي، د. فيصل الحفيان – القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠٠١.
- **فهرس المخطوطات الأصلية**/ جامعة الكويت – الكويت: إدارة المكتبات في الجامعة، ٢٠٠٣ – ٣ج.
- **فهرس المخطوطات الطبية في المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية**/ د. عبد الرحمن عبد الله العوضي – الكويت: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٣.
- **في الخيمة الأخرى**/ د. طلال ناجي – بيروت: الأوائل، ٢٠٠١.
- **في عصور حضارتنا وتوصيفها: مصطلح مقترح**/ عماد يوسف قدسي – دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٤.
- **قائمة المخطوطات الطبية المصورة لدى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية**/ المنظمة – الكويت: ٢٠٠٣.
- **قائمة المطبوعات لدى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية**/ المنظمة –

الكويت: ٢٠٠٣.

- **القرآن الكريم**/ ترجم معانيه إلى البوسنية: د. أسعد دراكوڤيتش وآخرون — سراييڤو: ٢٠٠٤.
- **قراءات نقدية في شعرية القصيدة العربية الحديثة في الكويت...**/ د. محمود جابر عباس الجنابي — الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ — (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٩).
- **قصيدة الرثاء...**/ د. وفاء كامل فايد — القاهرة: جامعة القاهرة، ٢٠٠٠.
- **قضية التعريب في مصر**/ د. محمود حافظ — القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٧.
- **قضية اللاجئين وحق العودة**/ د. طلال ناجي — بيروت: مؤسسة الرؤى، ٢٠٠٢.
- **كتاب جمل الغرائب للنيسابوري وأهميته في علم غريب الحديث**/ د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي — الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ٢٠٠٤.
- **كتاب في الجبر والمقابلة**/ شجاع بن أسلم، تحقيق: د. سامي شلهوب — حلب: جامعة حلب، ٢٠٠٤.
- **كتب المسلسلات عند المحدثين**/ د. عبد اللطيف بن محمد الجيلاني — الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ — (السلسلة الثالثة ٥٢).
- **كشافات النصوص التقليدية والمحسبة...**/ د. أماني زكريا الرمادي — الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣ — (السلسلة الثالثة ٥٤).
- **اللغة الأم**/ جماعة من المؤلفين — تيزي وزو (الجزائر): دار هومة، ٢٠٠٤.
- **اللغة العربية في دولة الإمارات العربية المتحدة ومناهج تعليمها**/ د. رضوان

الدبسي – ط١ – الشارقة: جمعية حماية اللغة العربية، ٢٠٠٣- ج١.

- **المباحث في علم الأصول**/ محمد حسن القديري – طهران: مركز الإعلام الإسلامي، ٢٠٠٤ – ج٢.
- **محاضرات في الصهيونية**/ د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى، ٢٠٠٢.
- **محاضرات في القضية الفلسطينية**/ د. طلال ناجي – بيروت: مؤسسة الرؤى، ٢٠٠٢.
- **مختصر جامع العلوم والحكم**/ ابن رجب الحنبلي، صنفه: محمود الأرناؤوط –ط١- دمشق: دار الثقافة والتراث، دار المأمون للتراث، معهد الفتح الإسلامي، ٢٠٠٣.
- **مدخل إلى علم الاقتصاد**/ د. علاء شفيق الراوي – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤ .
- **مدخل إلى علم النفس**/ د. طه النعمة، د. صباح العجيلي – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٤.
- **مرآة حياتي**/ العماد مصطفى طلاس – دمشق: دار طلاس، ٢٠٠٤ – العقد الرابع.
- **مستقبل اللغة العربية**/ د. عبد العزيز بن عثمان التويجري – سلا: إيسيسكو، ٢٠٠٤.
- **مشيخة المسند محمد بن إبراهيم البياني**/ تخريج: ابن رافع السلامي، قابله: محمد بن ناصر العجمي – بيروت: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤ – (سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة في جوامع ودور الحديث بدمشق، دار الحديث النورية).

- **مصادر المياه ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في دولة الكويت**/ د. عبيد سرور العتيبي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤- (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٨).
- **المعجم الكبير: المنهج والتطبيق**/ مجمع اللغة العربية – القاهرة: المجمع، ١٩٨١.
- **معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي**/ أحمد شوقي بنبين، مصطفى طوبي – مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٣.
- **مقاربات منهاجية**/ د. صالح بلعيد – الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٤.
- **منهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة** / مجمع اللغة العربية – القاهرة: المجمع، ١٩٩٥.
- **موت النص: جدلية التحقيق والتخييل**.../ د. محمد أبو الفضل بدران – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٤ – (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، الرسالة ٢١٦).
- **نساء ورجال في الأدب والسياسة وإصلاح المجتمع**/ د. ليلى الصباغ – ط١- دمشق: إشبيلية للدراسات والنشر، ١٩٩٥.
- **النفوذ الصهيوني في العالم بين الحقيقة والوهم** .../ د. طلال ناجي – بيروت: مركز دراسات الغد العربي، ٢٠٠٤.
- **نقوش ثمودية جديدة من الجوف، المملكة العربية السعودية**/ سليمان بن عبد الرحمن الذييب – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣.
- **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**/ أحمد بن الأمين الشنقيطي – ط٤ – القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٩.

ب– المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	(٩٣٣ ، ٩٣٤، ٩٣٥،	٢٠٠٤م	سورية
٢ – الحياة التشكيلية	(٦٩)	٢٠٠٤م	سورية
٣– دراسات تاريخية	(٨٥، ٨٦)	٢٠٠٤م	سورية
٤– رسالة معهد التراث	(٧٦)	٢٠٠٤م	سورية
٥– صوت فلسطين	(٤٤٠، ٤٤٢ ،٤٤٣)	٢٠٠٤م	سورية
٦– الضاد	(٩، ١٠)	٢٠٠٤م	سورية
٧– عالم الذرة	(٩٤)	٢٠٠٤م	سورية
٨– الفكر السياسي	(٢٠)	٢٠٠٤م	سورية
٩– المجلة البطريركية	(٢٣٧، ٢٣٨)	٢٠٠٤م	سورية
١٠– مجلة جامعة تشرين	(١٢، ١٣) مج (٢٤)	٢٠٠٤م	سورية
١١– مجلة الشريعة	(٤٦٧، ٤٦٨)	٢٠٠٤م	الأردن
١٢– الأمن والحياة	(٢٦٨)	٢٠٠٤م	السعودية
١٣– عالم الكتب	(١+٢) مج (٢٦)	٢٠٠٤م	السعودية
١٤– المجلة العربية	(٣٣٣، ٣٣٤)	٢٠٠٥م	السعودية
١٥– البيان	(٤١٢، ٤١٣)	٢٠٠٤م	الكويت
١٦– مجلة العلوم	(٤، ٥، ٨، ٩) مج (٢٠)	٢٠٠٤م	الكويت
١٧– آفاق الهند	(٩، ١٠) مج (١٧)	٢٠٠٤م	الهند
١٨– الرابطة	(١–٢) مج (٢٩)	٢٠٠٤م	اليونسكو

ج– الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

1- Books:

- The Merchant of Venice/ by: Shakespear.
- King Henry IV/by: Shakespear.
- The Tempest/ by: Shakespear.
- King lear/ by: Shakespear.
- The Merry Wives of Windsor/ by: Shakespear.
- Timon of Athens/ by: Shakespear.
- Love's Labour's Lost/ by: Shakespear.
- The Poems/ Edited by: F.T. Prince.
- The Comedy of Errors/ by: R.A. Foakes.
- The Development of Shakespere's.
- Imagery/ by: Wolfgang H. Clemen.
- The True Voice of feeling/ by: Herbert Read.
- Poetry and Experience/ by: Madeish.
- All's Well That Ends Well/ by: G.K. Hunter.
- Julius Caesar/ by: T.S. Dorsch.
- Othello/ by: M.R. Ridly.
- Marxism and The Linguistic philosophy.
- Sonnets and Verse/ by: H. Belloc.
- James Joycés Ulysses/ by: Stuart Gilbert.
- The Two Gentlemen of Verona/ by: Shakespear.

2 – Periodicals:

- معارف : Vol. (175 – 176) No. 2- 3, 2005 (لغة فارسية) .
- Resistance, No. (1-9) , 2005 .
- Self – Realization, Fall, 2005.
- S G I Quarterly, No. 42, 2005 .
- Korea and World Affairs, Vol. XXIX, No. 1.

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثمانين

(المقالات)

الشرق والغرب والتواصل بينهما	د. عبد الكريم اليافي	٢٤٧
تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي	د. عبد الله واثق شهيد	٢٥٧
نور الدين محمود في شعر معاصريه	د. أحمد فوزي الهيب	٢٧٥
أبنية المصادر بين الوضع والاستعمال	أ . محمود الحسن	٣٠٥
جماليات اللون في مخيلة بشار بن برد الشعرية	د. عدنان عبيدات	٣٣٥
فهرس أصحاب المقالات في مجلة اللسان العربي (ق٦)	أ. عدنان عبد ربه	٣٦٧
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢٢)	د. وفاء تقي الدين	٣٩١

(التعريف والنقد)

علاّمة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	٤٢١

(آراء وأنباء)

التقرير السنوي لعام ٢٠٠٤ م	٤٧٣
الكتب والمجلات المهداة في الربع الأول من عام ٢٠٠٥	٤٨٥
فهرس الجزء	٤٩٧